

مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ  
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ  
بُؤَيْيْفِ الْقُرْضَاوِيِّ

غير مرخصة للطباعة

المحور الحادي عشر

خطب الجمعة

١٧٥

خطب الشيخ القرضاوي

١٢

إعداد

المكتب العلمي للشيخ

## من الدستور الإلهي للبشرية

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

[الأنفال: ٤٩].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ

فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ

فَعَسَىٰ أَوْلِيَاكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ

مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].



## من مشكاة النبوة الخاتمة

عن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنها ستكون فتنة. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، مَنْ تركه مِنْ جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه». رواه الترمذي.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة». متفق عليه.





## التوحيد أعلى شُعب الإيمان

### الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

#### التوحيد دعوة الأنبياء جميعًا:

في الجمعة الماضية تحدَّثنا عن التوحيد في القرآن، توحيد الله تبارك وتعالى، إفراد الله **وَعَبَدَ إِلَّا اللَّهَ**، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

هذا التوحيد الذي بعث الله به الأنبياء جميعًا، كلُّ كتاب أنزل وكلُّ نبي أرسل إنما أرسل بعقيدة التوحيد، ألا يُعبد إلا الله **وَعَبَدَ**، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ومن قرأ القرآن الكريم وجد الرسل جميعًا من عهد نوح يدعون إلى التوحيد، من عهد نوح بدأ النَّاس يعبدون الأوثان.

حينما خلق الله آدم وأوحى إليه ليعلم أولاده بما يُحب الله منهم بأوامره ونواهيه، لم يكن النَّاس يعرفون الوثنيَّة؛ لأنَّ الإنسان فُطر على

التوحيد، إنما جاءت الوثنيّة بعد ذلك، ولذلك فنوح أوّل نبي جادل قومه في التوحيد، وقالوا له: ﴿يَنُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنَابِمْآ تَعْدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

كان أوّل ما قال لهم نوح: ﴿يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وكلّ الأنبياء بعده قاموا بتبيان هذه الدعوة: هود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وموسى، وعيسى، إلى أن انتهى الدور إلى خاتم النبيين وخاتم المرسلين، سيّدنا مُحَمَّد ﷺ.

الله تعالى أوحى إلى موسى، أوّل ما كلمه قال: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

وعيسى المسيح ﷺ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١].

### ضلال الشُّرك:

ضلّت البشريّة طوال تاريخها حينما عبدت من دون الله، أو عبادت مع الله آلهة أخرى في الأرض أو في السماء، ممّا يعرف الناس ومما لا يعرفون، عبدوا مخلوقات مغيبة عنهم: الجنّ، والملائكة، وعبدوا الأشياء الحسية التي فيها مصدر نفع لهم؛ مثل: الأنهار والشمس والقمر، والحيوانات مثل: العجل والبقر، والنبات والشجر، أو الأشياء التي فيها قوّة مثل: الجبال الشامخات، أو التي يخافونها مثل: الشياطين.

عبد الناس كلّ شيء، حتّى الأعضاء التناسليّة، عبدوا الذّكر!

ولذلك عاش النَّاس في أوهام الشُّرك وضلالاته، الوثنيَّة بطبيعتها وكر للضلالات والأباطيل والخرافات، ولذلك الكهنة الذين يشرفون على الأصنام والأوثان يعبثون بعقول النَّاس، يتحكّمون في ضمائر الخلق وفي عقولهم، فيذهب إليهم النَّاس حتّى الإنسان المتعلم.

ثقوا بأنّ المتعلمين عند هذه الأضاليل يفقدون عقولهم العبقريّة، في الهند الطبيب والمهندس وأستاذ الجامعة كلُّهم يُقدِّسون البقر ويعبدونه، لا فرق بين أمِّي وبين من حاز أعلى درجات العلم.

الشُّرك يدمّر عقليّة الإنسان، ويحرمه من التفكير السليم السديد، كيف تعبد ما تصنعه، كما قال سيّدنا إبراهيم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ \* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصّافات: ٩٥، ٩٦].

وحيثما حطّم الأصنام وجعلها جُذادًا، وبحثوا عن الفاعل، من المجرم الذي حطّم آلهتنا هذه؟

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ \* قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ نحاكمه على الملاء ونفضحه ثمّ نعاقبه ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ الآلهة محطّمة أمامهم وأمامه ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ الذي ترك الفأس على رأسه ﴿فَسأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ فهزهم هذا ﴿فَسأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ تسألونني أنا: من الذي عمل ذلك لماذا؟ اسألوهم هم. ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ في لحظة من اللحظات، يمكن للإنسان أن يرجع إلى نفسه، نفسه الضائعة منه، التائهة منه، يرجع إليها، ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال بعضهم لبعض في الصحيح، ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ لم تستمر لحظة اليقظة، وهذا الوعظ الإنساني لم يستمر طويلاً، ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ أنت تعرف أن

هؤلاء لا ينطقون. ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ [الأنبياء: ٦٠ - ٦٧].  
ألكم عقول تفكرون بها؟!

### النُّبُوتَاتُ جَاءَتْ لِتُعِيدَ الْإِنْسَانَ إِلَى فِطْرَتِهِ:

ولكنَّ الشُّرَكَ - كما قلتُ لكم - يسلب عقل الإنسان منه، يجعله لا يفكر، ومن هنا جاءت النُّبُوتَاتُ تردُّ النَّاسَ إلى رُشدِهِم، تعيد الإنسان إلى عقله إلى فطرته؛ ليعبد الله وحده، وكانت معركة طوال التاريخ بين الأنبياء وأقوامهم.

انظروا: سيِّدنا هود يقول لقومه: اتركوا هذه الأصنام وهذه الأشياء، يقولون له: ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾، كيف جاء بهذه الخصلة الغريبة، وهذه الصفة الغريبة (لكي نعبد الله وحده)! يعني: التوحيد هذا أصبح جريمة تهمة، ﴿ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَنَا فَأَنَّا يَمَّا تَعَدْنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴿ [الأعراف: ٧٠، ٧١].

هذه الآلهة المزعومة مجرد أسماء أنتم سمَّيْتُمُوهَا آلهة، هي ليست آلهة، هي لا تبصر ولا تسمع، ولا تعطي ولا تمنع، ولا تضرُّ ولا تنفع، ولا تخلق ولا ترزق، ولا تملك موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

﴿ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾.

كلُّ الأنبياء وكلُّ الرسل جاؤوا لإقرار عقيدة التوحيد، لتحرير البشر من هذه العقيدة التي أضلَّت النَّاسَ، كما قال سيِّدنا إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَسِيتُ النَّاسَ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٣٦] هذه الأصنام أضلن كثيرًا من النَّاسِ.

ثم جاء محمد ﷺ بالرسالة الخاتمة، وبالرسالة العالمية العامة؛ ليكمل دور الأنبياء.

جاء بالتوحيد الخالص بعد أن ضلّت البشرية عن التوحيد، ولم يعد في الأرض حين بُعث محمد ﷺ أمة خالصة التوحيد، حتّى الأمم الكتابيّة، اليهود هم أقرب الأمم إلى التوحيد، ولكنهم حرّفوا الألوهيّة وحرّفوا في النبوّة، وشبّهوا الله بخلقه، وجعلوا الله وعجل في توراتهم يجهل ويندم ويحزن ويغار من بعض خلقه، ولم يجعلوه إلهاً للخلق، ولكن جعلوه ربّاً لإسرائيل، نحن نقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وهم يقولون: «رب إسرائيل»، فحرّفوا وبدّلوا في حقيقة الإله.

النصرانيّة بدّلت التوحيد إلى التثليث، وجعلوا الإله أقانيم ثلاثة: «الأب، والابن، والروح القدس»، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ من هذا التثليث؟! ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣، ٧٤].

### عناصر التوحيد:

الأرض كلّها ضلّت عن التوحيد، فجاء محمد ﷺ بالتوحيد الخالص الذي بيّنته سورة الأنعام بمراتبه الثلاث:

أول عناصره: ألا تبغي غير الله ربّاً، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَنْزَرُ وَرَبُّنَا أَعْلَمُ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

هذا هو العنصر الأوّل.

والعنصر الثاني: أَلَا تَتَّخِذُ غَيْرَ اللَّهِ وَلِيًّا ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ [الأنعام: ١٤].

والعنصر الثالث: أَلَا تَبْتَغِي غَيْرَ اللَّهِ حَكَمًا، كما قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغَى حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴿ [الأنعام: ١١٤].

### توحيد الحاكمية:

فهذه عناصر التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية - أو كما أسَمَّيه: الخالقية - وتوحيد الإلهية، وتوحيد الحاكمية؛ ألا يكون هناك حاكم مطلق يُشعر للناس في كلِّ شيء، يحلُّ ويحرِّم، ويأمر وينهى، إلاَّ اللهُ وَجَلَّ، ﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسْبِينِ ﴿ [الأنعام: ٦٢]، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ [القصص: ٨٨]، ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴿ [الأنعام: ٥٧]، ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴿ [يوسف: ٤٠].

وكلمة الحُكْم تعني: الحكم الكوني القدري، والحكم الأمري التشريعي، كلُّ منهما حُكْم، هو سبحانه الذي يحكم، فلا يجوز أن يُحَلَّ ويحرِّم للناس إلاَّ ربُّ النَّاسِ ملك النَّاسِ، اللهُ تعالى يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَكًا بَعِيدًا ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿ [النساء: ٦٠، ٦١].

التحاكم إلى الطاغوت هو من مظاهر الشُّرك، ولكن يجب التحاكم

إلى الله، إلى ما أنزل الله وإلى الرسول، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

توحيد الحاكمية لا بد منه لتستكمل التوحيد، وكذا كل عناصر التوحيد.

﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ وإذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿[التور: ٤٧، ٤٨] عن حكم الله ورسوله، ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [التور: ٤٩] يأخذون بحكم الله وشرع الله فيما يروق لهم، فيما كان في صالحهم، وما عدا ذلك يرفضونه ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ آرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ إنما كان قول المؤمنين إذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿[التور: ٥٠، ٥١].

هذا شأن المؤمنين ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

أما غير المؤمنين فيرفضون حكم الله وتشريع الله وتشريع السماء.

وهذا ما يرفضه الإسلام.

لا بد أن يأخذ التوحيد حقه، فهناك توحيد الحاكمية بجوار توحيد الألوهية والرُّبوبيّة، اقرؤوا آخر سورة من القرآن: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ \* مَلِكِ النَّاسِ \* إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٣].

هذه إشارة إلى العناصر الثلاثة للتوحيد:

﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾: تشير إلى توحيد الرُّبوبيّة.

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾: تشير إلى توحيد الحاكمية، هو الذي يحكم ويأمر  
ويُشرع وحده.

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾: تشير إلى توحيد الإلهية، توحيد العبادة، لا يُعبد إلا  
الله وحده.

هذه هي عناصر التوحيد الذي جاء بها الإسلام؛ ليحرر الناس من  
العبودية لغير الله وحده.

### أفرايت من اتخذ إلهه هواه:

التوحيد أعظم ما جاء به الدين العظيم، تحرير الإنسان من العبودية  
لغير الله، تحرير الإنسان من العبودية لذاته، فهناك أناس يعبدون ذواتهم،  
يعبدون أنفسهم، يدور حول نفسه، وكما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «شُرُّ إله  
عُبد في الأرض الهوى»<sup>(١)</sup> أن يعبد الناس أهواءهم.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا \* أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ  
أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ  
بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

عبادة الذات، عبادة الأهواء، هذه هي الوثنية الذاتية، أن تصبح  
نفس الإنسان وثناً يدور الإنسان حوله، ولا يفكر إلا فيها، ولا يهتم إلا  
بها ومصالحها وملذاتها وشهواتها، فهذا شرُّ إله عُبد في الأرض،  
الذات والهوى.

(١) انظر: المدخل لابن الحاج (١١٦/٣)، نشر دار التراث.



## أشكال من الوثنيّة:

وهناك وثنيات كثيرة، هناك الوثنيات الدّينيّة التي تملأ الأرض، معظم الأرض وثنيّة، وثنيات في آسيا وإفريقيا، في الهند تُعبد أصنام شتّى، الهندوس يعبدون براهما، والبوذويون يعبدون بوذا، يعبدون آلهة شتّى، وفي إفريقيا آلهة بالآلاف، وهذه الوثنيّة الدّينيّة التي أضلّت الناس. وللأسف بعض المسلمين أصابهم رذاذٌ منها، من هذه الوثنيّة الدّينيّة، الذين يذهبون إلى القبور ويدعون أصحابها ويستغيثون بهم، ويطلبون منهم الشفاء للمريض، ويطلبون الغنى للفقير، والأولاد للتي لا تحمل إلى آخره، كأنّ هؤلاء الأموات يتحكّمون في الكون.

وبعضهم قال: إنّ بعض الأولياء يملكون الكون.

بعض الناس يقولون: في هذه الدُّنيا أقطاب أربعة اقتسموا العالم، كل واحد له ربع: أحمد البدوي، وأحمد الرفاعي، وعبد القادر الجيلاني، وإبراهيم الدسوقي.

هذه خرافات ما أنزل الله بها من سلطان، الأمر كلّهُ لله، لا يملك أحد إلاّ الله وحده التدبير في هذا الكون.

فهذه الوثنيّة الدّينيّة التي نرى مظاهرها، مظاهر الشُّرك أكبره وأصغره عند كثير من الناس.

وبجوار هذه الوثنيّة الدّينيّة هناك وثنيّة سياسيّة، الذين يُقدِّسون الملوك والرؤساء والأمراء والحكّام، فهذه وثنيّة الخواص، وتلك وثنيّة العوام، وثنيّة العوام تقدّس الأموات، ووثنيّة الخواص تقدّس الأحياء، وثنيّة العوام أنّهم يذهبون إلى قبور هؤلاء ويستغيثون بهم، وهؤلاء يذهبون إلى قصور هؤلاء ويلتمسون منهم النفع والبركة إلى آخره.

ولذلك قال شيخنا أبو الحسن الندوي رَحِمَهُ اللهُ فِي مقالة له: يا عِبَاد القصور، رفقا بعباد القبور.

الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْقُصُورَ وَيَقْسُونَ عَلَى مَنْ يَذْهَبُونَ إِلَى الْقُبُورِ، يَقُولُ لَهُمْ: رَفَقًا بِعِبَادِ الْقُبُورِ.

### التوحيد سبيل الطمأنينة:

الإسلام حريص على تحرير الإنسان من كل وثنية، سياسية، أو دينية، أو اجتماعية، أو ذاتية، يريد للإنسان أن يكون لله وحده، ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

الله وحده، لا لمخلوق، لا لغير الله عَزَّوَجَلَّ، لا يعطي نصفه لله ونصفه للآخرين. لا، التوحيد لا يتجزأ، الله تعالى يقول: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

عبد له سيّد واحد، وعبد له عدّة سادات، مُلَّاك يشتركون فيه، واحد يأمره وواحد ينهاه، واحد يقول له: اذهب شرقاً، والثاني يقول: غرباً، فيحترار من يُرضي منهم، إذا أرضى زيّداً أسخط عمراً.

وعبد له سيّد واحد، عرف ما يُرضيه، وما يُسخطه، فعاش في رضا من نفسه، وفي سكينه من روحه، فهذا ما ذكره القرآن: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ يا ليتهم شركاء مُتَّفِقُونَ وإنما متشاكسون، كل واحد يأمر بضد ما يأمر الآخر، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾.

من مزايا التوحيد أن يجعل نفسية الإنسان نفسية سوية، نفسية مُطْمَئِنَّة، نفسية متوازنة غير مضطربة ولا متناقضة؛ لأنه عرف غايته و عرف طريقه، ومن عرف الغاية و عرف الطريق أمن، شعر بالأمن الذي قال الله تعالى فيه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

لا يخاف إلا الله، غير المُوَحَّد وغير المؤمن مصادر خوفه كثيرة جدًا، يخاف من كل شيء، كما قال الله تعالى: ﴿سَنَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١] فتراه يخاف من العفريت، ومن الشياطين، ويخاف من المرض، ويخاف من الموت، ويخاف من كل شيء.

أمَّا المؤمن فلا يخاف من شيء، حتَّى الموت لا يخيفه، يعلم أنّ الموت سيأتي في أوانه، ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَآ جَآءَ أَجْلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

المؤمن يعلم أنّ الرزق مقسوم والأجل معلوم، فلا يخاف، ويعلم ما بعد الموت من حساب وعقاب، وجنة ونار، ويعرف هذه الأمور كلّها، فيطمئن قلبه، وتسكن نفسه، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا ءِيمَنًا مَّعَ ءِيمَنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

التوحيد يُودِّي إلى هذه النفس المُطْمَئِنَّة، النفس القويّة، إنّها نفس توكلت على الله، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]، عزيز لا يذلُّ من اهتدى إليه، وحكيم لا يضيع من وثق بتدبيره، ولذلك سيّدنا هود قال لقومه: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود: ٥٥]، ويقول: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَآ مِنْ دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

التوحيد يصنع هذه النفوس المطمئنة المتوازنة السوية التي لا تشعر بقلقٍ ولا بيأسٍ ولا بكآبة، لا يئس، الدنيا تلتهب من حوله، والظلمات تكتنفه من كلِّ جانب، وهو يرى النور، بصيص النور، يرى أن الفجر قادم بعد الليل، بعد الظلام، سينفجر الفجر وستطلع الشمس، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

هكذا يعتقد الإنسان المؤمن، فإنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون.

### التوحيد هو مهمتك في الحياة:

إن التوحيد هو مهمّة الإنسان في الحياة، لماذا خلق الله الناس؟

خلقهم ليعرفوه ويعبدوه، بعض الناس تذكر حديثاً قدسياً: «كنتُ كنزاً خفياً فخلقتُ الخلقَ ليعرفُوني»<sup>(١)</sup>، وهذا الحديث غير ثابت، يعني ليس له سند ولا أصل، ولكن معناه في القرآن، معنى هذا الحديث نقرؤه في كتاب الله، حيث يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ لماذا خلق السماوات والأرض وما بينهما؟

قال: ﴿لِنَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

فهذا العالم كله خلق ليعرف الناس ربهم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، ﴿لِنَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، فإذا عرفتموه عبدتموه، وهذا معنى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(١) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٢٢/١٨): «ليس من كلام النبي ﷺ، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف». وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلئ والسيوطي وغيرهم. انظر: كشف الخفاء للعجلوني (٢٠١٦)، تحقيق عبد الحميد بن أحمد هندراوي، نشر المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

هذه غاية الفرد ومهمّة الفرد، وهي كذلك مهمّة الأمة، الأمة الإسلامية مهمّتها أن تنشر عبادة الله وحده، أن تنشر التوحيد في كل مكان، وهذا ما كان يعلمه الصحابة رضوان الله عليهم حينما كانوا يحاربون الفرس والروم، ويدعون الناس إلى عبادة الله وحده، كانوا يعلمون أنهم إنّما يقومون برسالتهم في هداية العالم، كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، بهذه الآية كان النبي ﷺ يختم رسائله إلى أهل الكتاب، إلى قيصر، وإلى المقوقس، وإلى النجاشي، وإلى أمراء النصارى من العرب ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤] لا نتخذ الملوك - أهل الدنيا - أربابًا، ولا نتخذ الأحرار والرهبان أربابًا، ليس هناك ربّ إلا الله، يُشرع للناس، ويُحلُّ لهم ويُحرّم عليهم.

عرف الصحابة ذلك، فلمّا لقي ربيعي بن عامر - مندوب سعد بن أبي وقاص إلى رُسْتَم قائد قوَّاد الفرس - رستم، وقال له رستم: من أنتم؟ ما الذي أخرجكم من دياركم؟ كنتم تأتون إلينا فنعطيكم بعض المال وترجعون، فما الذي جعلكم تأتون إلينا لتحاربونا؟

فقال له ربيعي بن عامر، ذاك الصحابي الذي لم يدخل مدرسة ولا جامعة، وإنّما تعلم في مدرسة مُحَمَّد ﷺ، قال له هذه الكلمات: «إنّ الله ابتعثنا لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سَعَتِهَا، ومن جَوْرِ الأديان إلى عدل الإسلام»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

الصحابة كانوا يشعرون أنّهم مبعوثون كما أنّ نبيهم مبعوث برسالة، هم مبعوثو رسالة نبيهم، النبي ﷺ قال لهم: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَشِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»<sup>(١)</sup>.

هم مبعوثون، «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد»، عبادة الملوك وعبادة الأحرار والرهبان والأباطرة والأكاسرة والقياصرة، «إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها»، الإسلام جاء ليوسع على الناس الحياة ويحلّ لهم الطيبات، جاء بحسنة الدنيا وحسنة الآخرة، «ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»، ما جارت به الأديان على الناس، وكان من أوصاف النبي ﷺ عند أهل الكتاب أنه ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فهذه مهمّة الأمة، مهمّة الفرد هي التوحيد، ومهمّة الأمة هي التوحيد. بالتوحيد نستقبل مواليدنا، حينما يولد لك مولود يأمرك الإسلام أن تُؤذّن في أذنه؛ حتّى يسمع هذه الكلمات التي جعلها الإسلام شعاراً، الأذان والإقامة والتشهُد وغيرها، «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، إلى آخر الأذان»، حتّى يكون أوّل ما يسمعه المولود، أوّل ما يترقّ أذنه هو شهادة أن لا إله إلا الله، بها يستقبل الحياة، وبها يؤدّع الحياة، آخر ما يسمع الإنسان المسلم وهو على فراش الموت «لا إله إلا الله» «لقنوا موتاكم - أي: محتضركم - قول: لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>؛ ليخرج من الدنيا وآخر ما يسمعه: لا إله إلا الله، كما كانت أوّل

(١) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الجنائز (٩١٦)، وأحمد (١٠٩٩٣)، عن أبي سعيد الخدري.

ما سمعه وهو طفل لا يعقل ما يسمع، أوّل ما سمع: لا إله إلا الله، وآخر ما سمع: لا إله إلا الله.

### نبي التوحيد:

الإسلام دين التوحيد، ومحمد نبي التوحيد، وقد جاء ﷺ يحمي حمى التوحيد من كلّ ما يشوّهه أو يُكدر صفاءه، حتّى بعض الألفاظ التي يمكن أن يفهم منها شركًا، قال له الرجل مرّة: ما شاء الله وشئت.

قال الرسول: «أجعلني لله ندًا؟ قل: ما شاء الله وحده»<sup>(١)</sup>.

وقال له بنو عامر: أنت سيّدنا.

فقال: «السيد الله».

قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا.

فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجربنكم الشيطان»<sup>(٢)</sup>.

حتّى هذه الألفاظ يُحذر منها؛ حتّى لا يقع الناس في الشرك وهم لا يشعرون.

منع الحلف بغير الله، والنذر لغير الله، والذبح لغير الله، والتبرك بالأشجار والأحجار، وتعليق التمامم والرقى بغير اسم الله وذكر الله، «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»<sup>(٣)</sup>. والتولة: نوع من أنواع السحر تصنعه

(١) رواه أحمد (١٨٣٩)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. والنسائي في الأيمان والنذور (٣٧٧٣)،

والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (١٣٩)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١٣٥٩٦)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وصحّحه الألباني في الصحيحة (١٠٩٧)، عن أنس.

(٣) رواه أحمد (٣٦١٥)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)،

كلاهما في الطب، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٨٤٥)، عن ابن مسعود.

المرأة، تذهب إلى الساحر أو الكاهن يعمل لها «حجاب» لكي يُجِبَّها زوجها، أو يعمل الرجل سِحْرًا لكي تُجِبَّه المرأة.  
كلُّ هذا رفضه الإسلام، «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

الإسلام يريد للنَّاسِ، لأهله، للمُؤَحِّدين، لأُمَّة الإيمان، لأُمَّة لا إله إلاَّ الله؛ أن تعتمد على السنن التي أقامها الله في الكون، وتأخذ بالأسباب والمسببات، ولا تعتمد على أسباب خرافية غير ما شرعه الله وَجَبَّ.

### بالتوحيد نصر الله الأمة:

وبهذا قامت أمة الإسلام الأولى، وانتصرت على ممالك الأرض، الممالك التي كانت أقوى منها عددًا وأكثر منها عددًا، وأعظم منها من الناحية المادية، لم يكن المسلمون بمدينة الفرس ولا حضارة الروم، ولكن كان عندهم التوحيد، لا إله إلاَّ الله.

فبهذا انتصروا، وبهذا أقاموا حضارة ربانية إنسانية أخلاقية، علَّمت العالم كله أكثر من ثمانية قرون من الزمان.

بهذا التوحيد الذي جاء به القرآن يجب أن نعتصم، وأن نستمسك بعروته الوثقى لا انفصام لها.

فاستمسك بهذه العروة الوثقى، ففي هذا عزُّنا في الدنيا وسعادتنا في الآخرة، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

\* \* \*

(١) رواه أحمد (١٧٤٠٤)، وقال مخرَّجه: حسن. والحاكم في الطب (٢١٦/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وجوَّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٥٢٤١)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٢٦٦)، عن عقبة بن عامر.

## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

### قانون ازدراء الأديان:

في أوروبا وأمريكا في هذه الأسابيع حديث عن قانون يُريد بعض الأوربيين أن يصدر ليحمي الأديان من الازدراء ومن السبّ والسخرية والإهانة، وذلك بعد أن شاهد العالم وقائع حدثت وكان لها آثارها، وكانت هذه الوقائع معظمها ضدّ المسلمين ودين المسلمين ونبى المسلمين وقرآن المسلمين وتاريخ المسلمين وحضارة المسلمين؛ فالمسلمون هم الحائط الهين الذي يطمع فيه الطامعون، ويدوس كرامتهم الدائسون؛ لأنّ المسلمين لم يعد هناك من يدافع عنهم.

قد عرفنا ما حدث أيام الرسوم الدانمركيّة الكاريكاتيريّة التي أساءت إلى رسول الله ﷺ، وسخر به وبأمّته، وجعلته إنساناً ليس له همٌّ إلاّ النّساء، وليس له غرض إلاّ قتل النّاس وسفك الدماء، على غير واقع السيرة النّبوية تامّامًا، وهاجمها المسلمون في كلّ مكان، وطلبت منظمّة المؤتمر الإسلامي من الأمم المتّحدة أن تُصدر قانوناً يُحرم الاعتداء على الأديان، بالسبّ أو الشتم أو الإهانة، وكاد هذا القانون أن يجد الأصوات اللازمة ليصدر، ولكن - للأسف - أمريكا - وفتّش عن أمريكا في كلّ أمر ذي خطر، وفي كلّ شرٍّ - وقفت ضدّ هذا، وقالت وزيرة الخارجية الأمريكيّة «هيلاري كلينتون»: إنّ هذا يحرم البشريّة من حقّها، وهو حقّ التعبير عن الرأي.

وأنا أعجب كيف يكون السبّ والشتم والإهانة تعبيرًا عن الرأي؟!!

لو أنّ إنساناً شتم آخر وقال: أنت ابن كلب، الله يلعن أباك.. أو ما شابه، هل هذا من حرية الرأي؟ هل هذا رأي؟

السب والشتم وإهانة الخلق رأي يعبر عن فكرة، هذا إساءة، نحن نقول على ذلك: قلّة أدب، ونقول على من يفعله: هذا إنسان قليل الأدب.

فما لقلّة الأدب وما للتعبير عن الرأي؟!!

ولكنّ السيّدة كليتون تعتبر هذا من حرية الرأي، وترى أنّه لا ينبغي أن يصدر قانون مُقيّد لحرية الرأي، تُهان الأديان وأنبياء الله ورسله باسم حُرّيّة الرأي والتعبير.

أمّة الإسلام في آخر إحصاء مليار وخمسمائة وسبعون مليوناً، هذه الأمّة ليس لها قيمة ولا منزلة، تُنتهك حرّياتها، ويُساء إلى نبيّها وإلى قرآنها وإلى دينها باسم حُرّيّة التعبير.

نحن ننكر هذا وندينه، ونقول بملء فينا: إنّ هذا لا يدخل في حُرّيّة التعبير، ليس له علاقة بحُرّيّة التعبير في قليلٍ ولا كثير، من أراد أن ينقد الإسلام ويقول: التثليث أفضل من التوحيد لكذا ولكذا، فأهلاً ومرحباً؛ فالإسلام يأمر بالحوار الجادّ المُثمر، خاصّة مع أهل الكتاب ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

أمّا من يشتم مُحمّداً ﷺ، أو يذكره في صورة فيها مسخّرة ومهزّأة فهذا ليس من حُرّيّة التعبير في شيء.

### منع المآذن:

هناك أمر آخر - أيضاً - يدور الحديث عنه في أوروبا في هذه الأيام: المآذن، مآذن المساجد، كان المسلمون يقيمون مساجدهم، وفي كثير من



البلاد سُمح لهم أن تكون للمساجد مآذن، وبعض البلاد سمحت لهم، ثم نكسوا على رؤوسهم كما نكس قوم إبراهيم على رؤوسهم، فأرادوا أن يمنعوا المآذن، وقالوا: هذه شعارات دينية، نحن لسنا بلادًا إسلامية حتى تُرفع هذه الشعارات.

نعم، ولكن عندكم مسلمون يحملون جنسية البلد، وبعض البلاد المسلمون فيها بالملايين، كما في ألمانيا وإنجلترا وفرنسا، وفي بعض البلاد بمئات الآلاف، فما الذي يُغضبك أن تقوم مئذنة تُعلن التوحيد (الله أكبر الله أكبر)، حتى ولو لم تعلن، هي شعار فعلاً، لماذا تمنع الناس من إظهار شعائرهم؟!

المآذن شيء له أهميته، أنا حينما أدخل بلدًا وأجد فيه مئذنة أعرف أن هناك مسجدًا، أستطيع أن أصلي فيه بعض الصلوات، وأستطيع أن أصلي فيه الجمعة، وأستطيع أن ألقى فيه إخواني، فهي إذن علامة مميزة، ثم هي تشعر الناس بالراحة، تشعرهم بأنهم في مجتمع متسام، الناس فيه متساوون، المسلم مثل غيره، الآخرون يبنون كنيسة، والكنيسة لها برج، ويظهر البرج للناس، لماذا تمنعني من هذا؟

هذا معناه أنك تثير ضغائن الناس، تريد أن تغرس الحقد في نفوسهم، تريد للأقلية المسلمة ألا تحترم الأكثرية، ألا تكون موالية لها، أنت تمنع الناس أن يكون ولاؤهم للدولة التي يعيشون فيها، وإذا كثرت هذه الأشياء كثرت الضغائن وكثرت الكراهية.

فهذا - للأسف - ما يحدث في بعض البلاد، ونحن ندعو الأوروبيين جميعًا أن يكونوا متسامحين، وأن يعاملوا المسلمين كما يعاملون سائر

النَّاسِ؛ حَتَّى تَشِيْعَ الْمَحَبَّةَ، وَحَتَّى تَشِيْعَ الْأَخُوَّةَ وَالسَّلَامَ بَيْنَ الْجَمِيعِ،  
وَفِي هَذَا الْخَيْرِ لِلْكَلِّ، مَوَاطِنِينَ وَغَيْرِ مَوَاطِنِينَ، مَسِيْحِيِّينَ وَمُسْلِمِينَ.

وإلى هذا ندعو، وإلى هذا يدعو الإسلام الذي يعتبر البشريَّة كلَّها  
أسرة واحدة، أبوهم واحد وربُّهم واحد، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ  
مِنْ نَفْسٍ وَنَجْدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ  
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أعتقد أن كلمة ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ هنا هي الأرحام البشريَّة العامَّة، وليست  
الأرحام الخاصَّة.

اللهم هبِّ لنا من أمرنا رشداً.

اللهم لا تكِلنا إلى أنفسنا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ.

اللهم طَهِّرْ أَقْوَالَنَا مِنَ اللَّغْوِ، وَطَهِّرْ أَعْمَالَنَا مِنَ الْعَبْثِ، وَطَهِّرْ أَنْفُسَنَا  
مِنَ الْحَقْدِ، وَطَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ الْغَشِّ، وَطَهِّرْ أَلْسِنَتَنَا مِنَ الْكُذْبِ، وَأَعِينَنَا مِنَ  
الْخِيَانَةِ، وَعِبَادَاتِنَا مِنَ الرِّيَاءِ، وَحَيَاتِنَا مِنَ التَّنَاقُضِ.

اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التُّقى،  
ونفوسها على المَحَبَّةِ، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا  
لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا  
حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ  
لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].



اللهم لا تهلكننا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من  
لا يخافك ولا يرحمنا.

واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم ولّ أمورنا خيارنا، ولا تولّ أمورنا شرارنا، واجعل يومنا خيرًا  
من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها،  
وأجزنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله  
وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ  
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

\*\*\*





## الإيمان والأخوة

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

#### أعلى شُعب الإيمان:

لا زلنا في حديثنا عن الإيمان، وشُعب الإيمان، ومعالم الإيمان. و«الإيمان بضع وسبعون شُعبة» - كما قال رسول الله ﷺ - أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان<sup>(١)</sup>. وقد تحدّثنا عن أعلى الشُعب، عن شُعبة التوحيد، الذي هو أساس هذا الدين، وروح الوجود لهذه الأمة، بل هو أساس الأديان جميعاً، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

#### التوحيد أساس الرسالات السماوية:

التوحيد هو أساس الرسالات السماوية جميعاً، ما أنزل الله كتاباً، ولا بعث الله رسولاً، إلا من أجل هذا الأمر العظيم، الذي حقّت من أجله

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

الحاقّة، ووقعت له الواقعة، ونُصبت له الموازين، ونُشرت من أجله الدواوين، وقامت سوق الجنة والنار.

التوحيد، ألا يُعبد إلا الله، أن تسقط كل الآلهة المزعومة، وكل الأرباب المدّعين من دون الله، فلا ربّ غير الله، ولا إله إلا الله. هذه هي الشُّعْبَةُ الأولى.

### لا إيمان بغير أُخُوَّة:

وأريد أن أُحدّثكم اليوم عن شُعبَة أخرى من شُعب الإيمان، فكما أن الإسلام جاء بتوحيد المعبود، جاء كذلك بتوحيد العابدين، بتوحيد المؤمنين. ولهذا كان من أعظم شُعب الإيمان: الأُخُوَّة، الأُخُوَّة بين المؤمنين، أن يعتبر كلُّ مؤمن أخاه في الإسلام أخاً له، وعضواً منه، وجزءاً لا يتجزأ من كيانه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، أي: ما المؤمنون إلا إخوة، بهذا الأسلوب الحصريّ القصريّ، إنّه لا إيمان بغير أُخُوَّة؛ فالأُخُوَّة صنو الإيمان ودليله، وهكذا قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ»<sup>(١)</sup>، وقال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ»<sup>(٢)</sup>.

### أُخُوَّة الإيمان تعلو أُخُوَّة النسب:

لقد أدرك سُوَيْدُ بْنُ حَنْظَلَةَ هذا المعنى وهو يقسم أن وائل بن حُجْر أخوه، ليُنقذه بذلك من عدوّه، قال: خرجنا نريدُ رسول الله ﷺ، ومعنا وائل بن حُجْر فأخذه عدوّ له، فتحرّج الناس أن يحلفوا، فحلفتُ أنا أنّه

(١) رواه مسلم في النكاح (١٤١٤)، عن عقبة بن عامر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

أخي، فخلّى سبيله، فأتينا رسول الله ﷺ، فأخبرته أنّ القوم تحرّجوا أن يحلفوا وحلفتُ أنا أنّه أخي، فقال: «صَدَقْتَ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ»<sup>(١)</sup>.

بل إنّ بعض الصّحابة اعتبر أخاه في الإسلام هو الأخ الحقيقيّ، أمّا أخوه من نسبه، أخوه لأبيه وأمّه، فلم يعتبره أخاه، فقد فرّق بينهما الكفر، فهذا مسلم، وذلك مُشرك، هذا مُوحّد، وذلك وثنيّ.

مصعب بن عمير في غزوة بدر وجد أخاه أبا عزيز بن عمير في الأسرى، مع أحد الأنصار، فقال للأنصاريّ: اشدّد يدك عليه؛ فإنّ أمّه ذات مال وفير. أي: شدّد في طلب الفدية، بدل أن تطلب ألفاً اطلب ألفين، وبدل أن تطلب ألفين اطلب أربعة، فأّمه غنيّة.

فقال له أبو عزيز: يا مُصعب، أهذه وصاتك بأخيك؟

فقال: يا أبا عزيز، إنّهُ اليوم أخي دونك. أنت لم تعد أخي؛ لقد فرّق بيني وبينك إصرارك على الكفر، أمّا هذا الأنصاريّ فهو أخي<sup>(٢)</sup>.

### المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

أخوة الإسلام جمعت بينهما، ولذلك آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، المهاجرون من عرب الشمال، من العدنانيّين، والأنصار من الأوس والخزرج من القحطانيّين، من عرب الجنوب، أصلهم من اليمن، ومع هذا آخى النبي ﷺ بين الفريقين، أهل المدينة الأصليّين، والذين وفدوا عليهم من

(١) رواه أحمد (١٦٧٢٧)، وقال مخرّجوه: جدة إبراهيم بن عبد الأعلى، لم نجد لها ترجمة، وبقية رجاله ثقات. ورواه أبو داود في الأيمان والتّذوّر (٣٢٥٦)، وابن ماجه في الكفّارات (٢١١٩)، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٧٢٢)، عن سويد بن حنظلة.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٦٤٦/١)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

المهاجرين، وبرزت هذه الأُخوة في الحياة، لم تكن مجرد أُخوة، ولكنها وصلت إلى ما هو أعلى، إلى أن يعامل الإنسان أخاه كما يعامل أهله وأقاربه.

### الأُخوة الإيمانية درجتان:

فهناك درجتان، درجة الحب، أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وهذا من كمال الإيمان، وقد قال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»<sup>(١)</sup>، أي: ويكره له ما يكره لنفسه.

وهناك درجة أرقى، ومرتبة أسمى، هذه المرتبة هي: مرتبة الإيثار، أن تُقدّم أخاك المؤمن على نفسك، أن تجود له بالشيء وأنت في أشد الحاجة إليه، أن تجوع ليشبع، أن تتعب ليرتاح، أن تسهر لينام، أن تتلقى ضربات السهام، وطعنات الرماح على صدرك لتحميه وتحفظ له حياته.

فهكذا كان الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم، وهكذا وصف الله الأنصار، حينما قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ لا كبعض الناس الذين يعتبرون كل من وفد إليهم دخيلاً عليهم، أو منافساً لهم، أو مقاسماً لهم في رزقهم، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ لا يحسدونهم، ولا يحقدون عليهم، وأكثر من ذلك: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، أي: مجاعة، ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

### الأُخوة الإنسانية:

الأُخوة من الإيمان، أُخوة الإسلام، الأُخوة أُخوتان: هناك الأُخوة الإنسانية العامّة؛ فالبشر كلهم إخوة بعضهم لبعض، بحكم العبوديّة لله

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

تعالى، والنبوة لآدم، كما جاء في الحديث: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ»<sup>(١)</sup>.

ولهذا كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بعد فراغه من الصلوة، يشهد لله شهادات، يشهد لله بالوحدانية، ويشهد لنفسه بالعبودية والرسالة، ثم يقول: «اللهم رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ»<sup>(٢)</sup>.  
هذه الأُخُوَّةُ البشريَّةُ العامَّةُ.

### الأُخُوَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ:

ولكن هناك الأُخُوَّةُ الدينيَّةُ الخاصَّةُ، أُخُوَّةُ أهل العقيدة، هذه هي الأُخُوَّةُ التي لا تنفصم عراها، وبخاصَّةِ أُخُوَّةِ أهل الإسلام، فلا رباط أقوى من رباط العقيدة، ولا عقيدة أقوى من عقيدة الإسلام، «المسلم أخو المسلم، يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه»<sup>(٣)</sup>، ويستر عورته، ويعينه عند الشدَّة، ويحفظه في الغيبة، ويفديه بنفسه وماله، ويتألَّم له إذا تألَّم، ويفرح له إذا فرح.  
هذا هو شأن الإنسان المسلم.

ولهذا يقول ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، يَأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ كَمَا يَأْلَمُ الْجَسَدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ»<sup>(٤)</sup>.

- (١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عن سمع خطبة النبي ﷺ.
- (٢) رواه أحمد (١٩٢٩٣)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الصلاة (١٥٠٨)، والطبراني (٢١٠/٥)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٢٥)، عن زيد بن أرقم.
- (٣) رواه أبو داود في الأدب (٤٩١٨)، وابن وهب في جامعه (٢٣٧)، والبخاري (٨١٠٩)، وحسن إسناده الحافظ في بلوغ المرام (١٥٤٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٢٦)، عن أبي هريرة.
- (٤) رواه أحمد (٢٢٨٧٧)، وقال مخرَّجوه: صحيح لغيره. عن سهل بن سعد.

وفي الحديث الآخر الذي رواه النعمان بن بشير: « المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه اشتكى كله، وإن اشتكى عينه اشتكى كله»<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ آخر: « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوًا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»<sup>(٢)</sup>.

وحدة عضوية بين المؤمنين، كما لا يفصل عضو عن عضو في الجسد، ولا جهاز عن جهاز، الجسد كله كيان واحد، الجهاز الهضمي يوصل إلى الجهاز الدموي، إلى الجهاز التنفسي، تعاونه الأجهزة الأخرى، كلها متكامل وتتكافل؛ حتى يحيا الجسد ويبقى.

كذلك المؤمنون، كذلك أهل الإسلام، يألم أحدهم لألم أخيه، كما يُسرُّ لسرور أخيه، لا يستطيع الإنسان المسلم أن يعيش وحده، ويقول: نفسي نفسي، أنا وليخرب العالم، ليكن ما يكون.

لا، ليس هذا من الإسلام ولا من الإيمان في شيء، إن كنت مؤمناً حقاً فلا بد أن تألم لألم إخوانك، وتحزن لأحزانهم، هذا ما يقتضيه الإسلام والإيمان.

### ما تقتضيه الأخوة الإسلامية:

ليس من الإسلام ولا من الإيمان أن تعيش ترفل في ثيابك، تلبس أحسن الثياب، وتتناول أطيب الطعام والشراب، وتعيش بأفضل مأوى، وعندك من وسائل الحياة والكماليات والتدفئة ما عندك، وهناك من إخوانك المسلمين من لا يجد القوت الضروري، من لا يجد المأوى،

(١) رواه مسلم في البرِّ والصلة (٢٥٨٦) (٦٧)، وأحمد (١٨٣٩٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦) (٦٦).

من لا يجد ما يتدفأ به، من يعيش تحت الصقيع، من يعيش في الجليد، ليس من الإيمان ولا من الإسلام.

المؤمن يألم لألم إخوانه، عاطفته تتسع لجميع أهل الإسلام، فهو يعيش معهم بقلبه، بوجدانه، بعاطفته، يضحك إذا ضحكوا، ويبكي إذا بكوا، وينزف منه الدم حين يُجرح منهم جريح، أو يؤسر منهم أسير، أو يُقتل منهم شهيد.

هذا هو شأن المسلم، وهذا هو مقتضى أخوة الإيمان، أن يتراحم أهل الإسلام فيما بينهم، وأن يتعاونوا فيما بينهم على البرِّ والتقوى، وأن يتلاحموا ويتضاموا ويتضامنوا، وإلا أكلوا جميعاً، أكلوا قطعة قطعة، إذا أسلم بعضهم بعضاً، ولم يبال بعضهم بما نال البعض الآخر، سيؤكلون جميعاً، ويُقتلون جميعاً.

### المسلمون متعاونون:

المسلمون متعاونون، النَّبِيُّ ﷺ يقول فيما رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري: «المؤمنُ للمؤمن كالبُنَيان يشدُّ بعضُهُ بعضاً»، وشبَّكَ بين أصابعه<sup>(١)</sup>.

هكذا بين النَّبِيُّ ﷺ بالقول وبالإشارة الحسيَّة، أراد أن يؤكِّد هذا المعنى لدى أصحابه.

كما أنَّ اللبنة وحدها ضعيفة، مهما كانت قويَّة في نفسها، مهما كانت من حجر أو من صخر، فهي لبنة لا قيمة لها، إنَّما القيمة حينما تكون

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الصَّلَاة (٤٨١)، ومسلم في البرِّ والصَّلَاة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

جزءًا من بنيان، تُضَمُّ اللبنة إلى اللبنة، والحجر إلى الحجر، يتكوّن منها جدار متين، وينضمُّ إلى الجدار جدار آخر، حتّى تتكوّن حُجْرَة، وتنضمُّ الحُجْرَة إلى حُجْرَة أخرى، حتّى يتكوّن طابق، وتتكوّن الطوابق بعضها مع بعض، حتّى يتكوّن من ذلك صرح عظيم، أو عمارة ضخمة، لن تستطيع أن تنال من أيّ لبنة منها؛ لأنّ اللبنة في وسط البناء صارت قويّة، لا يستطيع أحد أن ينال منها.

ولهذا كان النَّبِيُّ ﷺ يقول: «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإنّ الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد»<sup>(١)</sup>.

وهكذا إنّما يأكل الذئب من الغنم القاصية، الشاردة، المنفردة عن القطيع، البعيدة عنه؛ فالشاة في وَسَطِ القطيع مَحْمِيّة به، لا يستطيع الذئب أن يصل إلى القطيع، ويهاجمه مرّة واحدة، إنّما ينتظر الشاة الشاردة، التي انفردت بعيدة عن القطيع؛ ليختطفها ويلتهمها.

### الروابط بين المسلمين:

المسلمون بنيان مرصوص يشدُّ بعضه بعضًا، شدّ بينهم العقيدة الواحدة، والشريعة الواحدة، والمنهج الواحد، أمّة ربّها واحد، هو الله ﷻ، كتابها واحد، هو القرآن العظيم، قائدها واحد، هو رسول الله ﷺ، قبلتها واحدة، هي الكعبة البيت الحرام، عقيدتها واحدة، هي التوحيد، منهجها واحد، يتمثل في شريعة الإسلام، وما أحلت من حلال، وما حرّمت من حرام، أمّة واحدة.

هذه هي الأمّة الإسلامية.

(١) رواه أحمد (١١٤)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الفتن (٢١٦٥)، وقال: حسن صحيح غريب. عن عمر بن الخطاب.

فينبغي أن تتعاون الأمة الإسلامية، أن تتضام وتلاحم، تتساند ولا تتعاند، أن تتعاقد ولا تتعارض، ألا يعيش بعضها لنفسه، «مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يَصْبِحْ وَيَمْسِ نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَالْأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

إنما انتصر المسلمون يوم انتصروا على العالم باتحادهم، وتضامهم وتكاتفهم وتعاونهم، اجتمعوا على الإسلام فجمعهم الله، اعتصموا بحبل الله جميعاً فعصمهم الله، فتحوا الدنيا وأقاموا فيها دولة العدل والإحسان، وشادوا حضارة العلم والإيمان، فلما تفرقوا وتخاذلوا، وظهرت النزعات الانفصالية هنا وهناك، ولم تعد تلك الدولة العظيمة، التي وصلت إلى الصين في المشرق، وإلى الأندلس في المغرب، ولما لم تعد تلك الدولة الواحدة، طمع فيها أعداؤها، ودخلوا عليهم من حيث تفرقوا، هاجمهم التتار من الشرق، والصليبيون من الغرب.

### الاتِّحَادُ يُقَوِّي الْقَلَّةَ:

ولم ينجحوا إلا يوم وُجد مَنْ يُوحِّدُهُمْ مِنْ شَتَاتٍ، وَمَنْ يُحْيِيهِمْ مِنْ مَوَاتٍ، وَيُوقِظُهُمْ مِنْ سُبَاتٍ، وَمَنْ يَجْمَعُهُمْ مِنْ فُرْقَةٍ، كَمَا فَعَلَ صَاحِبُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيُّ، إِنَّمَا تَقْوَى هَذِهِ الْأُمَّةُ بِالتَّوْحُدِ، بِالتَّضَامِ وَالتَّوَاصُلِ، وَالتَّعَاوُنِ فِيمَا بَيْنَهَا، الْإِتِّحَادُ يُقَوِّي الْقَلَّةَ، وَالتَّفَرُّقُ يُضْعِفُ الْكَثْرَةَ.

سأل أحد الدعاة بعض تلاميذه يوماً: كم كان عدد أصحاب النبي ﷺ يوم بدر؟

(١) رواه الطبراني في الصغير (٩٠٧)، وفي الأوسط (٧٤٧٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤): فيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. ويشهد للحديث ما تقدم في مكانة النصيحة من الدين. عن حذيفة بن اليمان.

قال: كانوا نحو ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.

قال: هذا هو العدد الظاهر، أمّا العدد الحقيقي فكلُّ واحد من هؤلاء بثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، كلُّ واحد يقاتل بقوة الآخرين، لو أنّ اثنين من الأعداء، أو ثلاثة كانوا في طريق، وقابلهم لصوص أو قُطّاع طريق، فكلُّ واحد يقاتل عن نفسه فقط، ولكن لو كانوا ثلاثة من الإخوة، فإنَّ كلَّ واحد منهم يقاتل عن نفسه وعن إخوانه، ففي ضميره روح الجماعة، وكذلك كان أصحاب النَّبِيِّ ﷺ، كلُّ واحد منهم يقاتل بقوة إخوانه، ويقَاتِل عن إخوانه، فإذا أردتَ العدد الحقيقي، اضرب ثلاثمائة وثلاثة عشر، في ثلاثمائة وثلاثة عشر.

### الكثرة وحدها لا تكفي:

إنَّ المسلمين اليوم يبلغون أكثر من ألف ومائتي مليون، مليار وخُمس مليار، أو مليار وربع مليار، من أهل الإسلام، في قارَّات الدُّنيا، ولكن لا وزن لهم، العبرة ليست بالكثرة، إنَّها كثرة كغناء السيل، العبرة بالتضامُّ والتلاحم، أن يكونوا كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويُجبر عليهم أقصاهم، وهم يدُّ على من سواهم، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ على مُضْعِفِهِمْ، ومُتَسَرِّبِهِمْ على قاعدِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

هذا هو شأن المسلمين، التضامُّ والتلاحم، أن يكونوا جسداً واحداً، أن يكونوا بنياناً مرصوصاً، يشدُّ بعضه بعضاً.

(١) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال مخرَّجوه: صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧٣)، عن عبد الله بن عمرو.

## الإسلام يجمع والنزعات تفرق:

ولكنّ مشكلتنا اليوم أنّ المسلمين متفرّقون، فرّقتهُم نزعات إقليمية، ونزعات عنصريّة، فكلُّ يقول: وطني وطني، أو قومي قومي، أو مذهبي مذهبي، أو طبقتي طبقتي، هذه المفرّقات، فوارق إقليمية، وفوارق عنصريّة، وفوارق أيديولوجيّة، وفوارق طبقيّة، فوارق متنوّعة جعلت الأمة الواحدة أمّاً شتّى، الله أرادها أمة، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

## الإحساس بوحدة الأمة:

ولكنّ أعداء الإسلام أرادوا أن يجعلوها أمّاً، ولذلك دائماً يقولون: الأمم الإسلاميّة، ليس هناك أمم، هناك أمة، أمة لا إله إلا الله، أمة محمّد ﷺ، أمة الإجابة.

وهذا في وجدان كلّ مسلم، حتّى المسلم الأمّيّ العاديّ يقول: يا رب انصر أمة محمّد، يا رب أصلح أمة محمّد، يا رب ارحم أمة محمّد، يا رب أعزّ أمة محمّد.

هذا تجده عند المسلم في المشرق، والمسلم في المغرب، المسلم العربي، والمسلم العجمي، الإحساس بوحدة الأمة موجود عند شعوب المسلمين وجماهير المسلمين.

ولكننا نفتقد هذا الإحساس عند من يُسمّون: «النخبة»، الذين تثقّفوا بثقافة الغرب، والذين لقّنوا فكر الغرب، الذين قتلتهُم هذه السموم الفكرية، فلم يعودوا ينتمون إلى هذه الأمة، يعيشون على ترابها وكأنّهم ليسوا منها، هؤلاء من ناحية، وأكثر الذين يحكمون هذه الأمة من ناحية أخرى.



## تخاذل العالم المتحضّر من قضية البوسنة والهرسك:

وهذا سرُّ ما نجده اليوم من تخاذل يندى له الجبين، وتذهب النَّفس من أجله حسرات، وتذرف العيون عليه عبرات، ما نجده اليوم في الموقف المتخاذل من قضية البوسنة والهرسك.

إخوتنا الذين يُقتَلون، ويُعذَّبون، ثمَّ يُجَوَّعون، وتُهتَك منهم الأعراض، وتُنْتَهَك منهم الحُرُمات، على مرأى من العالم المتحضّر ومسمع، أمام نظام العالم الجديد، الذي جيّش الجيوش يوماً من أجل التحرير كما زعموا، كذبوا، والله لو لم يكن لهم مصلحة ما فعلوا شيئاً من هذا.

ما موقف هذا العالم؛ الأمم المتّحدة، ومجلس الأمن، والدول الأوربيّة، والولايات المتّحدة الأمريكيّة، ما موقف هذا العالم، الذي يزعم أنّه حارس حقوق الإنسان، وراعي حرّيّاته، ما موقف هذا العالم ممّا يجري هناك لإخوتنا وأخواتنا، وأبنائنا وبناتنا، في البوسنة والهرسك؟

## معركة صليبيّة لمحو الإسلام في أوروبا:

لماذا لم يخفّ هذا العالم المزعوم، وذاك النّظام العالميّ، لنجدة إخواننا وأخواتنا؟ أنتقصهم القوّة؟ لماذا وجدوا القوّة من قبل، ووجدوها من بعد حينما ذهبوا إلى الصومال؟ وهاهم يهدّدون السودان بالغزو، لماذا لا يخفّ هؤلاء ويتسارعون لنجدة هؤلاء المظلومين؟

لن يفعلوا، لا لشيء إلاّ لأنّ هؤلاء مسلمون، مسلمون في أوروبا، فالإسلام يُقلِّقهم، إنَّهم يُسمُّونه: «الخطر الأخطر»، وما هو بالخطر إلاّ

على الظلم والطغيان، إنَّه رحمة الله للعالمين، ولكنها المعركة الصليبيَّة ضد الإسلام وأهله - أيها الإخوة، معركة صليبيَّة ضد هؤلاء المستضعفين في الأرض.

هؤلاء ليسوا بالأصوليين، ولا بالإرهابيين، ولا بالمتطرِّفين، إنَّهم أناس عاديُّون، ما كانوا يعرفون من الإسلام إلاَّ أقلَّ القليل، وبعضهم كان لا يعرف من الإسلام شيئاً، ولا أقلَّ القليل، ما قُتِلوا ولا ذُبِّحوا ولا عُذِّبوا، إلاَّ لأنَّهم يحملون شهادة لا إله إلاَّ الله، ولا بدَّ لهذه الكلمة أن تُمحي، أترضون - أيها المسلمون - أن يمحي الإسلام من تلك الأراضي، ونحن صامتون؟

### تخاذل العرب والمسلمين من قضية البوسنة والهرسك:

إنَّ موقف العرب والمسلمين موقف مخزٍ، ماذا يقول هؤلاء أمام الله يوم القيامة حينما يُسألون: ماذا قدَّمتم لإخوانكم؟ بل ماذا يقولون للتاريخ؟ وماذا يقولون أمام ضمائرهم، إن كان عندهم شيء من ضمير؟ ألا يتحرَّك المسلمون في العالم؟ ألا يفعلون شيئاً من أجل هؤلاء؟

قلتُ من قريب: لو أنَّ النَّاس تحركوا، ولو فقط قاطعوا مجرَّد مقاطعة اقتصادية، أو مقاطعة دبلوماسية، سحب السفير، منع الطيران الصربيِّ أو الكرواتيِّ من الهبوط في مطارات المسلمين، أيُّ تحرُّك، أيُّ احتجاج، أيُّ صراخ، يُشعر النَّاس أنَّنا موجودون، وأنَّ أُمَّة الإسلام لم تمت.

الأمر خطير - أيها الإخوة، إخوتنا يتعرَّضون للإبادة، صحيح أنَّهم صمدوا صمود الأبطال والله، استطاعوا أن يعيشوا على ما هو أقلَّ من القوات الضروري.

**صور تُدْمِي القلب:**

ذهب بعض الإخوة القَطْرِيِّين إلى سراييفو، وبقي فيها نحو شهر، وجاء فيها بمجموعة من الصور، عرضها عليّ، والله إنَّ القلب ليتقطع، رأيتُ صورة لآناس منهم يبحثون في صناديق القمامة، عن شيء يمكن أن يؤكل، مع أنَّهم قلَّما يرمون في القمامة شيئاً، ولكنَّهم يبحثون، مناظر متكرِّرة لمن يُفتِّش في القمامة لعله يجد لقمة، أو حبات أرز، أو أيَّ شيء سقط من النَّاس، ونحن نُلقي في درامات القمامة بقايا الخراف واللحوم والأرز، وهناك من لا يجد القوت، من يئنُّ من الجوع أنين الملسوع.

**اتفاق الغرب الصليبيِّ على المسلمين:**

يا أيُّها الإخوة، نحن نعيش في الأَسِرَّة، وفي البيوت المريحة، وإخوتنا هناك يكادون يهلكون من البرد، لقد اتَّفَق الغرب الصليبيُّ أن يُتركوهم للشِّتاء القارس، شتاء الثلوج والزمهير، أن يُكَمِّل ما صنعه الصِّرْب والكُرَّوات، الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت، اجتمعت المذاهب المسيحيَّة كُلُّها على هؤلاء، رغم ما بينهم من خلاف، الأرثوذكس مثل اليونان والروس، والكاثوليك مثل الكروات وفرنسا وغيرها، والبروتستانت مثل إنجلترا وأمريكا، كلُّ هؤلاء اجتمعوا على المسلمين، وقالوا: سيقضي عليهم البرد في هذه السنة، في السنة الماضية كان هناك بعض الأشجار يقطعونها ويتدفَّؤون بها، وفي هذه السنة لم يعودوا يجدون ما يستدفئون به.

**شتاء الثلوج في البوسنة والهرسك:**

رأيتُ بعض الصور وبعض النَّاس الكبار يحفر حفرة حول جذع الشجرة، ومعه منشار يقطع به كلَّ يوم شيئاً من جذع الشجرة، عسى أن

يصل إلى شيء يأخذه ليقطعه ويتدفأ به، والآن - كما حكى أخونا فهمي هويدي في مقاله الأسبوعي - بعض العربات التي تجرّها الخيول تأتي بالخشب من المناطق الأخرى، وتبيع المتر المكعب بثلاثمائة وعشرين دولارًا، قابلة للزيادة، وراتب الوزير هناك يساوي سبع دولارات، فمن أين للناس أن يشتروا هذا الخشب؟!

البرد القارس، الثلوج، شتاء تلك البلاد، لقد قال بعض الناس قديمًا عن هزيمة نابليون أمام الروس: إنَّ الروس لم يهزموا نابليون، إنّما هزمه الجنرال يناير، يعني شتاء يناير، ثلوج يناير، ومن الآن نوفمبر وديسمبر ويناير وفبراير، ثلوج وراء ثلوج، كيف يعيش هؤلاء؟!

### واجبنا تجاه إخوتنا في البوسنة والهرسك:

أيُّها المتدفِّون بلُحْفِكُمْ، أيُّها النائمون على أسرَّتكم، أيُّها المتدفِّون بماكلكم ومشاربكم، تذكروا أنّ إخوة وأخوات لكم لا يجدون قوتًا، ولا يجدون غطاءً، ولا يجدون ما يتدفِّون به هناك، في ذلك البرد القارس.

إنَّ علينا أن نفعّل شيئًا لهؤلاء، أن نُثبت أُخُوَّةَ الإيمان، أن نُثبت أنّ المؤمنين إخوة، أن نُثبت أنّهم كالبنيان المرصوص، أنّهم كالجسد الواحد، فنقدّم ما نستطيع، وكلُّنا يستطيع، لو تنازل بعضنا عن بعض الكماليّات التي ينفقها، لاستطعنا أن نُقدّم الكثير والكثير لهؤلاء.

إنَّ هؤلاء يحتاجون موادَّ إغاثية سريعة، تنقذهم من هذا الشتاء، أو تنقذ ما يمكن إنقاذه، في هذه الآونة، فهم محتاجون إلى كلِّ شيء، إلى

الغطاء، إلى (البطانيّة)، إلى الجمرة التي تدفئهم، إلى الدواء الذي يُسعفهم، إلى الغذاء الذي يملأ شيئاً من معدتهم الخاوية، محتاجون إلى كل شيء.

وهم محتاجون في الوقت نفسه إلى شيء من السّلاح، يدافعون به عن أنفسهم، فقد صمّم القوم على أن يقتلوهم، وهم صمّموا على أن يقاوموا، وأن يصنعوا السّلاح بأيديهم، وأن يغنموه من عدوهم، على رغم قلّة إمكاناتهم، ولكنّ الله معهم، الله معهم، وملائكته تؤيّدهم، والإيمان في قلوبهم يحركهم، ولن يضيعوا - إن شاء الله.

علينا - أيّها الإخوة - أن نثبت وجودنا، ونشدّ على أيدي هؤلاء، ونعينهم بما نستطيع، ممّا تملك أيدينا، وقد ملّكنا الله الكثير.

يا أيّها الإخوة، اذكروا هؤلاء إذا نمتم، واذكروهم إذا طعمتم، واذكروهم إذا استمتعتم بأنواع الحياة، اذكروا هؤلاء الذين يعيشون على ما هو أقلّ من الضرورة، لا مستوى الكفاف، بل ولا مستوى الضرورة، إنهم يعيشون على أقلّ من مستوى الضرورة، هؤلاء يريد أعداؤهم أن يفنّوهم، ويريدون من هذا الشتاء أن يكملّ عليهم، ولكنّ الله من ورائهم محيط.

لقد صنعوا منهم قنابل بشريّة، أخذوا بعض أسرى المسلمين، وربطوا فيهم بعض الألغام، ووثّقوا أيديهم وكتفّوهم، ثمّ رموا بهم في مواجهة المسلمين، فإذا بهؤلاء يتناثرون أشلاء، تنفجر هذه الألغام الناسفة فيهم، وتقضي عليهم، وتمزّقهم إزباً إزباً، هذا ما صنعه الكروات، كما صنعه الصرب، وكما يصنعون دائماً.

## الظلم إلى نهاية:

إننا نعتقد - أيها الإخوة - أن هذا الظلم، وهذا العدوان هو الذي يكتب على هؤلاء الهزيمة، فإن الله لا يمكن في سنته أن ينصر ظالماً على مظلوم، « ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ ﷻ: وَعِزَّتِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ »<sup>(١)</sup>.

يا أيها الإخوة، ساعدوا هؤلاء، ساعدوهم على أن يعيشوا، ساعدوهم على أن يقاوموا، ف«من جهَّز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخيرٍ فقد غزا»<sup>(٢)</sup>.

إنَّ كلَّ ريال يدفع، أو دينار يُبذل، أو شيء يصل إلى هؤلاء، إنما هو جنديٌّ يقاتل عنك في الدنيا، ومحامٍ يجادل عنك أمام الله يوم القيامة، حينما يسألك: ماذا صنعت لإخوانك؟ فتقول: يا رب، بذلتُ ما استطعتُ أن أبذله.

هناك من بذل رُوحه، كأحد الشباب القطريِّ رحمه الله ورضي عنه من آل السليطي، وهناك من بذل ماله، على الأقلِّ ابذُل من مالك، المال أهون الأشياء، ابذلوا أيها الإخوة، وابذلنَّ أيتهنَّ الأخوات، ابذلوا ولن يترككم الله أعمالكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، ﴿هَآأَنَتُمْ هَآؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

(١) رواه أحمد (٩٧٤٣)، وقال مخرَّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، وحسنه الألباني لغيره في التعليقات الحسان (٨٧١)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٥)، عن زيد بن خالد الجهني.



أسأل الله تبارك وتعالى أن يُوفِّقنا لنصرة إخواننا؛ حتَّى يُحقَّ الحقَّ،  
ويُبطل الباطل ولو كره المجرمون.

أقول قولي هذا - أيُّها الإخوة - وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه  
هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\*\*\*



## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

### أسبوع لنصرة مسلمي البوسنة والهرسك:

تقيم لجنة قطر لكافل اليتيم والمشاريع الخيريّة أسبوعاً من أجل إخواننا وأخواتنا في البوسنة والهرسك، فعلينا أن نثبت - فعلاً - أننا إخوة في الإيمان، وإخوة في الإسلام، وأن نقف مع هؤلاء، وأن نشجّع هذا الأسبوع بكلّ ما نستطيع، بكلّ ما نقدر عليه.

هناك الصناديق، وهناك الإيصالات، وهناك إخوة يتلقّون التبرّعات طوال هذا الأسبوع، وهناك حسابات مفتوحة، وهناك مكتب اللجنة نفسه، وهناك قنوات لإيصال هذا على لجنة كافل اليتيم، فجدودوا يا أيّها الإخوة، وأنفقوا ممّا رزقكم الله، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

\*\*\*

## التوكل

### الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كنا قد تحدَّثنا عن شُعب الإيمان، وتحدَّثنا عن بعض الشُّعب، واليوم نتحدَّث عن شُعبة أخرى وهي: التوكل على الله تبارك وتعالى.

#### معنى التوكل على الله:

والتوكل على الله: أن تجعل الله تعالى وكيلاً لك، تسلّم إليه زمام أمورك، وتفوض إليه كلَّ شؤونك، وهو عملٌ من أعمال القلوب، وخلق من أخلاق الإيمان، ومنزلة من أعظم منازل الدين، حتّى قال الإمام ابن القيم: هو نصف الدين، والنصف الثاني: الإنابة، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة<sup>(١)</sup>.

التوكل استعانة بالله ولجوء إلى الله وَعَجْزِكَ، واعتصام بحصنه الحصين وركنه الركين في مواجهة الأزمات والملّمات التي تلّم بالإنسان.

(١) مدارج السالكين (١١٨/٢)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

## أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالتوكل:

ولهذا أمر الله تعالى به رسوله ﷺ في عشر آيات من كتابه، فقال سبحانه:

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ٨١].

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩].

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: ٢١٧].

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴾ [الفرقان: ٥٨].

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: ٩].

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١].

﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣].

## التوكل من أخلاق الأنبياء:

التوكل هو خلق رسول الله ﷺ، وهو خلق الأنبياء والرسل من قبله.

الأنبياء والرسل واجهوا أقوامهم المكذبين لهم بمقام التوكل على الله ﷻ،

﴿ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا

بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [إبراهيم: ١٠]، فكان ردُّ الرسل عليهم: ﴿ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ \* وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا

وَلَنْصَبِرَ عَلَىٰ مَا أَدَّيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١١، ١٢].

بالصبر والتوكل يواجه الأنبياء أقوامهم المعاندين.

فالتوكل خلق المؤمنين، وخلق النبيين جميعاً.

نوح عليه السلام قال لقومه: ﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

وكذلك قال هود لقومه: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ \* إني توكلت على الله ربي وربكم \* [هود: ٥٥، ٥٦]، وكذلك قال موسى لقومه: ﴿يَقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ \* فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين \* ونجنا برحمتك من القوم الكافرين \* [يونس: ٨٤ - ٨٦].

كل الأنبياء كانوا متوكلين على الله وَعَجَّلَ في مواجهة الباطل المتجبر المدجج بالقوة، المسلح بالمال.

### التوكل والأسباب:

وليس من شأن التوكل ترك الأسباب؛ التوكل عملٌ من أعمال القلوب، فلا ينافي أن تأخذ الجوارح بالأسباب التي قدرها الله والتي شرعها لعباده. ولهذا حينما جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ناقته وقال: يا رسول الله، أددع الناقة وأرسلها طليقة حرّة، وأتوكل على الله؟ أم أقيدها وأتوكل؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اعقلها وتوكل»<sup>(١)</sup>.

هذا نص حاسم في مراعاة الأسباب.

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٧)، وقال: غريب من حديث أنس، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأبو نعيم في الحلية (٣٩٠/٨)، عن أنس، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠٤٤)، ورواه ابن حبان في الرقائق (٧٣١)، وقال الأرنؤوط: حسن. والحاكم في معرفة الصحابة (٧٢٢/٣)، بلفظ: «قيدها وتوكل». وجود الذهبي إسناده، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٣٢)، عن عمرو بن أمية.

## ترك الأسباب مناف للسنة:

أمّا الذي يُحكى عن بعض الصوفية الذين غلبت عليهم أحوالهم فتركوا الأسباب، فهذا مناف لسنة رسول الله وسنة الأنبياء من قبله. فرسول الله ﷺ قد أعدّ العدة، وهيئاً الأسباب، وعمل كل ما يستطيع في حياته.

في غزواته أرسل العيون والطلائع لاستكشاف أمر الأعداء، وكان إذا أراد غزوة ورى بجهة غيرها حتى يعمي على الأعداء فلا يعرفون إلى أي جهة يقصد، لم يخالف ذلك إلا في غزوة تبوك لخطرها وبُعد الأعداء عنه. كان هذا شأنه ﷺ، وكان يظهر بين درعين أحياناً (يلبس درعين في الحرب)، وقد اختبأ في الهجرة، واختبأ في غارٍ بعيد عن أعين المشركين ولم يكن في طريق المدينة، في الجنوب لا في الشمال، وادّخر لأهله قوت سنة من الحبوب، هكذا كان ﷺ.

## الرسول والأخذ بالأسباب في أمور الدنيا والدين:

لم يكن يُهمل أمر الأسباب في أمر الدنيا ولا أمر الدين؛ حتى إنّه بعد الهجرة إلى المدينة طلب إحصاء لأصحابه، قال لهم: «أحصوا لي كم يلفظ الإسلام»<sup>(١)</sup>، فأحصوا له، فكانوا ألفاً وخمسمائة رجل. أراد أن يعرف مقدار القوة الضاربة عنده، ليبني خطه على أساسها. وفي بعض الروايات: «اكتبوا لي»<sup>(٢)</sup>، فكان إحصاء كتابياً منظماً، وهو أوّل إحصاء يعرفه التاريخ.

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٤٩)، وأحمد (٢٣٢٥٩)، عن حذيفة.

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٦٠)، عن حذيفة.

وكان ﷺ يُنظّم أمر المستقبل، فما كان يدع الأمور تجري في أعنتها، وإنما يأخذ لكل أمر عُدته التي أمر الله بها، وقد قال تعالى في كتابه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١].

وفي صلاة الحرب - صلاة الخوف - أمر الله المسلمين أن يكون جزء منهم في الصلاة وجزء منهم في مواجهة العدو، وأمر الجزء الذي يصلي أن يأخذ أسلحته معه: ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢]. ولهذا كانت سنة النبي ﷺ اتخاذ الأسباب، وسنة الرُّسل من قبله اتخاذ الأسباب.

### نماذج لبعض الأنبياء في أخذهم بالأسباب:

نجد نوحا ﷺ قد أمره الله تعالى بأن يصنع الفلك؛ ليحمل فيها من آمن معه، ويحمل فيها من كل شيء زوجين.

ونجد يعقوب ﷺ يقول لابنه يوسف وقد قص عليه الرؤيا: ﴿لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

ويقول لأبنائه وهم ذاهبون إلى مصر: ﴿يَبْنَئِي لَّا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]. سواء كان يخاف عليهم

من العين كما قال أكثر المفسرين، أو يخاف عليهم أمراً آخر يتعلق بالسياسة، فهو يريد أن يحتاطوا ولا يدخلوا من باب واحد، وأن يدخلوا من أبواب متفرقة.

ونجد يوسف عليه السلام يضع خطة للخروج بمصر وما حولها من مأزق القحط والمجاعة، فيضع خطة خمس عشرية في خمس عشرة سنة يستطيع بها أن ينجو بمصر وما حولها من أزمة القحط وأزمة المجاعة التي حدثت في تلك الأيام.

وفعلا رسم الخطة، ووضع هو على رأسها لتنفيذها، وقد نجى الله مصر وما حولها ببركة هذا التخطيط مع توكله على الله تبارك وتعالى.

ونجد موسى عليه السلام يُوحى إليه ربه: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ [الشعراء: ٥٢]. لماذا أمره الله أن يسري بهم بالليل؟

ليكون الليل ستاراً لهم.

وهكذا نجد موسى حينما سافر مع صاحبه - مع فتاه يوشع بن نون - يأخذ معه غداءه ويقول: ﴿ءَاِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].

ونجد فتية أهل الكهف يأخذون معهم - حينما أرادوا دخول الكهف - بعض الورق (أي: النقود الفضية) ويقولون حين استيقظوا: ﴿فَاَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيَّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩]، كما أخذوا معهم كلبهم للحراسة.

وهكذا نجد القرآن الكريم مملوءاً بالأمر برعاية الأسباب ورعاية

السُّنن الكونيَّة: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [المُلْك: ١٥]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وهكذا كان المسلمون ينتشرون في الأرض، يعملون ويبيعون ويشتررون قبل الصَّلَاة، فإذا سمعوا النِّداء تركوا البيع وأقبلوا على الصَّلَاة وعلى ذكر الله، فإذا فرغوا من الصَّلَاة انتشروا في الأرض مُبتغين من فضل الله. وحينما رأى عمر بعض النَّاس في المسجد بعد الصَّلَاة قابعين سألهم: من أنتم؟

قالوا: نحن المتوكِّلون على الله.

قال: بل أنتم المُتَأَكِّلون، أمَّا سمعتم قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]؟ لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أنَّ السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضَّة. وعلاهم بدرته وأخرجهم من المسجد<sup>(١)</sup>.

### من ثمار الأخذ بالأسباب:

إنَّ الأسباب مشروعة واتَّخاذ الأسباب ورعايتها أمر مشروع، وهذا ما كان عليه المسلمون في الأزمنة الأولى.

وبرعاية هذه السُّنن واتَّخاذ هذه الأسباب أقاموا حضارة العلم والإيمان، أقاموا أعظم حضارة في التاريخ، حضارة جمعت بين الرِّبانية

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٦٢/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

والإنسانية، حضارة جمعت بين الجانب المادّي والجانب الإيمانيّ  
والجانب الأخلاقيّ.

هذا ما صنع المسلمون حينما وعوا عن الله ورسوله، وفقهوا عن الله  
ورسوله.

هذا هو أمر التوكل:

التوكل أن تأخذ بالأسباب وتدع النتيجة لربّ الأرباب، أن تبذر  
الحبّ وترجو الثمار من الربّ.

هذا هو التوكل على الله تبارك وتعالى.

### متى تدمُّ الأسباب:

ولا تدم الأسباب إلّا إذا كان الإنسان مُعوّلاً عليها وحدها؛ إذا كان  
مُعوّلاً عليها دون مسبب الأسباب؛ إذا كان يعتقد أن راتبه وحده هو الذي  
يطعمه، ويكفيه حاجته، وأنّ رئيسه هو الذي يجلب له الخير، فهذا إنسان  
يتوكل على الوزير، أو يتوكل على المدير، أو يتوكل على الأمير، أو  
يتوكل على الرئيس، أو يتوكل على أرضه، أو يتوكل على دكانه، أو  
يتوكل على معاشه.

لا، ليكن توكلك على الله وَعَلَيْكَ، لا تتوكل على شيء، أو على  
شخص؛ فقد يذهب هذا الشيء، وهذا الشخص، اليوم أو غداً أو بعد  
غد، كما قال ابن عطاء: إن أردت أن يكون لك عزٌّ لا يفنى، فلا تستعزّن  
بعزٍّ يفنى<sup>(١)</sup>.

(١) حكّم ابن عطاء الله بشرح العارف بالله الشيخ زروق صـ ٢١٠، تحقيق د. عبد الحليم محمود  
ود. محمود بن الشريف، نشر دار الشعب، القاهرة.

فمن هنا ينبغي ألا يُعَوَّل الإنسان على الأسباب وحدها، يستخدمها أداة في يده ووسيلة مشروعة، ولكن اعتماد قلبه على الله **وَعَجَّلْ مُسَبِّبَ الْأَسْبَابِ**.

هذا ما ينبغي للإنسان أن يعمل به؛ المسلم يعمل ما يستطيع ويدع الباقي على ربه سبحانه؛ فالقدرة المطلقة تُكَمِّل ما تعجز عنه الأسباب المحدودة.

### صُورَ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ:

نجد موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** حينما أمره الله تعالى أن يسري بعباده ليلاً، فسرى بعباد الله من بني إسرائيل، وخرجوا، وخرج فرعون وجنوده وراءهم، حتَّى وصل موسى البحر، وصار البحر أمامه والعدو من خلفه، ولا حول له ولا طول، ليس معه العدد ولا القوَّة التي يواجه بها فرعون وأجناده. هنا قال أصحاب موسى: **﴿إِنَّا لَمَدْرُكُونَ﴾** [الشُّعراء: ٦١] سيدركنا فرعون وجنوده لا محالة، فماذا قال موسى؟

قال موسى في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: **﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾** [الشُّعراء: ٦٢]. تذكَّر موسى أن الله معه؛ فقد قال له حينما بعثه إلى فرعون: **﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ آسَمِعُ وَأَرَى﴾** [طه: ٤٦]، فقال: **﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾** [الشُّعراء: ٦٢]، سيهديني لحلٍّ ولمخرج، لا أعرف ما هو؟ ولكنني واثق منه، مؤمن به.

هنالك أوحى الله إلى موسى: **﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾** [الشُّعراء: ٦٣]، وماذا تفعل العصا ببحر هائج الأمواج، بحر متلاطم؟

ولكنه نفذ الأمر، فضرب بعصاه البحر **﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾** [الشُّعراء: ٦٣].

وهنا جاء فرعون بجنوده ليجري وراء موسى ويركض من خلفه،  
وعبر موسى بقومه، ثم أطبق البحر على فرعون وجنوده.

على الإنسان المؤمن أن يعمل ما تتيحه له الأسباب ويدع الباقي  
لله سُبْحَانَ اللَّهِ.

### حُسن التدبير مع التوكل:

يتجلّى ذلك في وضع النبي ﷺ في أمر الهجرة؛ فقد رتب فأحسن  
الترتيب، ودبر فأحكم التدبير؛ هيأ الرواحل، وهيأ الرفيق الذي يصحبه  
في الهجرة: أبا بكر، وهيأ الدليل الذي يدلّه على الطريق: عبد الله بن  
أريقط<sup>(١)</sup>، وهيأ المخبأ الذي يختبئ فيه حتى يخفّ الطلب عنه: غار ثور  
في جنوب مكّة، وهيأ من يأتي له بالزاد والأنباء: أسماء بنت أبي بكر،  
وهيأ من يعفي على آثارها حتى لا تتبع أقدامها: عامر بن فهيرة<sup>(٢)</sup>.

فعل كلّ ما يمكن أن يخطر ببال بشر من حُسن الترتيب والتدبير،  
ولكن القوم مع هذا استطاعوا أن يصلوا إلى الغار الذي فيه النبي ﷺ  
وصاحبه أبو بكر، وقال أبو بكر في إشفاق على الدعوة ومصيرها:  
يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا.

يعني: يكفي أحد هؤلاء أن ينظر إلى ما تحت قدميه ليرانا في  
الداخل.

فماذا قال له النبي ﷺ؟

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٢٢٨/١ - ٢٢٩)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت،  
ط ١، ١٩٦٨م.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٤٨٥/١) وما بعدها.

قال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»<sup>(١)</sup>، أو كما قال القرآن: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ما أشبه هذه الكلمة بكلمة موسى: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].  
بين الكلمتين قرون، ولكن كلاهما تصدر من مشكاة واحدة.

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ  
يَجُودُونَ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ  
وَكَالِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

### قوة التوكل على الله وَعَجَلٌ :

إنَّ التوكل على الله وَعَجَلٌ يورث المؤمن قوَّة، هذه القوَّة التي رأيناها في  
محمَّد ﷺ وهو في الغار، وفي موسى ﷺ وهو أمام البحر، ووجدناها  
عند هود ﷺ وقد خوَّفه قومه من المشركين أن تعتريه آلهتهم بسوء فقال  
لهم: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ \* مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ  
لَا تُنظِرُون \* إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي  
عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦].

وجدناها عند شعيب، وقد هدَّده قومه المشركون: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ فماذا قال شعيب؟

﴿قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ \* قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّا عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا  
اللَّهِ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى  
اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨، ٨٩].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)، كلاهما في فضائل الصحابة، عن أبي بكر الصديق.

بهذه القوّة واجه هؤلاء الأنبياء قومهم المشركين.

إِنَّ الَّذِي يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَعَجَّلْ يَعْتَصِمَ بِقُوَّةِ كِبَرِي، هِيَ قُوَّةُ الرَّبِّ الْعَظِيمِ جَبَّارِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ؛ فَهُوَ لَا يَبَالِي بِخَلْقِهِ، وَلَا يَبَالِي بِالنَّاسِ قُلُوبًا أَمْ كَثُرُوا، صَغُرُوا أَمْ كَبُرُوا.

انظر إلى ذلك الشاب الذي ركب سيارته المملوغة وصدّم بها الباص الإسرائيلي وحدث ما حدث من قتل نحو عشرة وإصابة أكثر من خمسين، ما الذي جعله يفعل هذا؟

إِنَّهُ التَّوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَعَجَّلَ، إِنَّهُ لَا يَبَالِي أَوْ قَعِ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ وَقَعِ الْمَوْتِ عَلَيْهِ.

هذه هي قوّة التوكّل على الله وَعَجَّلَ.

وَمَنْ هُنَا كَانَ الْمَتَوَكِّلُ مِنْ أَقْوَى النَّاسِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ؛ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

### التوكّل على الله يورث المؤمن عزّة النَّفسِ:

وَبجَانِبِ الْقُوَّةِ، فَإِنَّ التَّوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ يورث المؤمن عزّة النَّفسِ، يشعره بأنّه عزيز؛ لأنّه متوكّل على عزيز حكيم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]، عزيز: لا يذلُّ من لا ذبَّ بجانبه، حكيم: لا يضيع من وثق بتدبيره، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشُّعراء: ٢١٧].

فهذا هو شأن المتوكّل؛ إِنَّهُ إنسانٌ عزيزٌ؛ إِذَا ذَلَّ النَّاسُ أَمَامَ لِقْمَةِ

(١) رواه ابن أبي الدنيا في التوكّل على الله (٩)، عن ابن عباس. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

العيش أو أمام نفوذ الأقوياء والأغنياء وأهل الحكم والسلطان، فإنه لا يذلُّ، ولا يحني رأسه ولا يطأطئ جبهته إلا لله وَعَجَّلْ.

اجعلُ برِّبِكَ شَأْنَ عَزِّ كَ يَسْتَقِرُّ وَيَثْبُتُ  
فَإِذَا اعْتَزَزْتَ بِمَنْ يَمُوتُ فَإِنَّ عَزَّكَ مَيِّتٌ<sup>(١)</sup>

اجعلُ عزَّتكَ بالله تكن عزيزاً: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]،  
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

### من آثار التوكُّل: الرضا:

فالمتموكل يرضى بما قسم الله له، وبما قضى الله له، ولذلك لما سُئل بعضهم: ما هو التوكُّل؟

قال: أن ترضى بالله وكيلاً: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

إذا رضيت بالله أصابك الرُّوح والفرح كما في قول ابن مسعود: «إنَّ الله وَعَجَّلْ بقسطه جعل الفرح والرُّوح في الرضى واليقين، وجعل الغم والحزن في السخط والشك»<sup>(٢)</sup>.

### ومن آثار التوكُّل: سكينَةُ النَّفْسِ وَطَمَآنِينَةُ الْقَلْبِ:

فالمتموكل آمنٌ إذا خاف النَّاسَ، مطمئنٌ إذا قلق النَّاسَ، راضٍ إذا سخط النَّاسَ، يقف على أرض صلبة، بتوكُّله على الله وَعَجَّلْ، لا يخشى على الرزق، ولا يخشى على الأجل، ولا يخشى على نفسه، ولا يخشى

(١) عزاه عبد المجيد الشرنوبى لبعض العارفين، انظر: شرح الحكم العطائية ص ٧٩ شرح

الحكمة (٨٦)، تعليق عبد الفتاح البزم، نشر دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ط ٢، ١٩٨٩م.

(٢) رواه هناد في الزُّهد (٥٣٥)، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، نشر دار الخلفاء

للكتاب الإسلامي، الكويت، ط ١، ١٤٠٦هـ.

على أحد من أهله، ولا مَمَّنْ حوله مَمَّنْ يحب؛ لأنه يعلم أن الرزق معلوم، والأجل محتوم، وأنَّ أحدًا لا يستطيع أن يأكل من رزقك مثقال حبة، وأنَّ أحدًا لا يستطيع أن يقدم أجلك أو ينقصه ساعة أو لحظة: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

ولهذا حينما ذهب بعض الناس - أيام الفتح الإسلامي - إلى بعض المجاهدين يقولون لهم: كيف تجاهدون وكيف تتركون أولادكم من بعدكم؟

قالوا لهم: «علينا أن نجاهد في سبيله تعالى كما أمرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا»، ويأتون إلى امرأة المجاهد يُخَوِّفونها: ماذا ترك لك أبو فلان؟ وكيف تعيشين؟ ومن أين ترزقين؟

فتقول لهم: إنَّ أبا فلان - تعني: زوجها - منذ تزوّجته عرفته أكَّالًا وما عرفته رزاقًا، فلئن ذهب الأكَّال لقد بقي الرزاق! ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

### ومن آثار التوكُّل: الأمل:

إنَّه يزرع الأمل في القلوب والرجاء في النفوس، فإذا الإنسان المتوكُّل يرى الحياة وقد ابيضَّ سوادها، وأشرق فجرها، وذهب ليلها، وزال غمُّها وكربها، يرى الفرج بعد الكرب، واليسر بعد العسر، والشفاء بعد المرض، وهكذا: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح: ٥، ٦]، وإنَّ دوام الحال من المحال.

وَلَرَبَّ نَازِلَةٍ يُضِيقُ بِهَا الْفَتَى ذَرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ  
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحَكَمْتَ حَلَقَاتِهَا فَرَجَتْ وَكُنْتُ أَظْنُهَا لَا تُفْرَجُ (١)

ولهذا وجدنا إبراهيم عليه السلام حينما جاءتته الملائكة مبشرين له بغلام عليم،  
﴿ قَالَ أَبَشِّرْ تُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ بُشِّرُونَ ﴾ \* قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ  
مِنَ الْفَظِينِ \* قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٤ - ٥٦].

ويعقوب عليه السلام يقول لأبنائه وهم ذاهبون إلى مصر في جولة من  
جولاتهم: ﴿ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ  
إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

بعد مضيّ سنين وسنين على يوسف، لم يئس من أن يجمعه الله  
به، وقبل ذلك قال: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ  
الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ٨٣].

هذا هو شأن المتوكل على الله.

شأن المتوكل على الله وَعَلَى اللَّهِ أنه دائماً في سكينة نفس، أنه قوي، أنه  
عزيز، أنه راض بما قسم الله وَعَلَى اللَّهِ، أنه أمل في رحمة الله وفي غدٍ أفضل.

هذا هو شأن الإنسان المتوكل على ربه وَعَلَى اللَّهِ.

**من عرف ربه توكل عليه:**

فما الذي يجعل الناس يتوكلون بعضهم على بعض، ولا يتوكلون  
على الحي الذي لا يموت؟

(١) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي، انظر: الفرج بعد الشدة (١٥/٥)، تحقيق عبود الشالجي،  
نشر دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

إِنَّ مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ مَتَوَكَّلٌ عَلَى حَيِّ قِيَوْمٍ لَا يَمُوتُ، وَلَا يَغْفُلُ وَلَا يَنَامُ، بِيَدِهِ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، خَزَائِنُ كُلِّ شَيْءٍ بِيَدِهِ. مَنْ عَرَفَ مَقَامَ اللَّهِ وَعَجَّلَ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ وَعَجَّلَ فَإِنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَيْهِ وَيَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يَثِقُ بِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيُخَفِّضُ وَيَرْفَعُ، وَيَعِزُّ وَيَذُلُّ، ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿[الأنعام: ١٧، ١٨].

### ما يمنع النَّاسَ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ:

الجهل بمقام الله تعالى، والجهل بعجز النَّفسِ وعجز الآخرين، هو الَّذِي يجعل النَّاسَ لَا يَعْتَمِدُونَ عَلَى اللَّهِ ﷻ.

الجهل بقيمة الدنيا، وحبُّ الدُّنْيَا والاعتزاز بها، والركون إليها، والركون إلى الخلق، هو الَّذِي جعل النَّاسَ لَا يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ وَعَجَّلَ.

ما أحوجنا نحن المسلمين في هذا العصر إلى أن نضع أيدينا في يد الله ربِّنا، وأن نتوَكَّلَ عليه سبحانه في مقاومة أعدائنا، وتحرير أوطاننا، واستعادة مقدَّساتنا، وتحكيم شريعتنا في أرضنا.

### التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَجْلِ النَّصْرِ وَمُوَاجَهَةِ الْقَوَى الْعَاتِيَةِ:

ما أحوجنا نحن المسلمين إلى أن نتوَكَّلَ على الله ونحن نواجه القوى العاتية؛ فراعنة الأرض، وهوامينها، وقوارينها، والطغاة فيها، لكن معنا القوَّة التي لا تُقهر، والعلم الَّذِي لَا يجهل، والإرادة التي لَا يحدُّها حدٌّ وَلَا يعجزها ضدٌّ، إِنَّمَا أمره سبحانه إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون.

إذا أردنا أن نُحرّر فلسطين، إذا أردنا أن نُحرّر البوسنة والهرسك، إذا أردنا أن نُحرّر الصومال، ونُحرّر إريتريا، ونُحرّر الفلبين، ونُحرّر الحبشة، ونُحرّر الأرض التي يحكمها غير المسلمين، فعلينا أن نتوكل على ربنا ﷻ.

إذا توكلنا عليه فإنه سيعطينا مفاتيح القوة لهذا الكون كله، سيعطينا مفاتيح القوة وسينزل علينا بركات من السماء والأرض، ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَمَنْ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَدِنَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥١، ٥٢].

إنما انتصر رسول الله ﷺ وأصحابه بهذا الإيمان القوي، بالتوكل على الله، بإخلاص العبادة والاستعانة بالله وحده، بمقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: ٥]، بمقام ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

بهذا وحده انتصروا على عدو الله تعالى وعدوهم.

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فعلينا أن نتوكل على الله، وأن نضع أيدينا في يد الله ﷻ، وأن نطلب من الله ﷻ أن يهين لنا من أمرنا رشداً، ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المتحنة: ٤، ٥].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\*\*\*

## خصائص القرآن الكريم وواجبنا نحوه

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا نزال نتحدث عن شعب الإيمان، و«الإيمان بضْعٌ وسبعون شعبة» كما قال رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. ومن شُعَبِ الإيمان، بل من أركان الإيمان: الإيمان بكتب الله ﷻ.

وأعظم كتب الله هو القرآن الكريم الذي ختم الله به الكتب، وجعله الآية الكبرى والمعجزة العظمى لخاتم رسله محمد ﷺ، فهو آية وهداية كما قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧]. فهو بينة، وهو هداية، وهو رحمة، وهو تبيان لكل شيء؛ كما قال الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٨٩].

### القرآن دستور شامل:

لهذا القرآن خصائص، ومزايا ميزته عن غيره من الكتب السماوية،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

فهو كتاب شامل، ودستور جامع، فيه أمر الدين وفيه أمر الحياة، تعرف فيه مبدأك وتعرف فيه مصيرك، تقرؤه فتعرف مم خلقت! ولماذا خلقت! لماذا تعيش! وإلى أين تذهب بعد الموت! وما علاقتك بربك! وما علاقتك بأهلك! وما علاقتك بالناس!

يُعلمك القرآن آداب الحياة؛ حتى الآداب البسيطة في حياة النَّاس، كيف تمشي كما يمشي عباد الرحمن، ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]. ويعلمك كيف تتكلم: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

ويعلمك كيف تزور غيرك: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]، ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨].

وهكذا يعلمك القرآن كيف تتعامل مع الله، وكيف تتعامل مع النَّاس، هذا كتاب شامل، هذا دستور جامع، دستور السماء لهداية الأرض، وكتاب الخالق لإصلاح الخلق، ولهذا قال وَعَجَلْ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

### شؤون الدنيا والآخرة:

أنزل الله آية في القرآن تبين كيف يكتب النَّاس ديونهم تسمى (آية المداينة)، إذا تداين النَّاس كيف يوثقون الديون؛ حتى لا تضيع الحقوق، ولا يتناكر النَّاس، فجاءت أطول آية في القرآن تعلمهم ذلك: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ

كَاتِبُ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ  
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ﴿البقرة: ٢٨٢﴾. إلى آخر  
هذه الآية التي فصلت في هذا الأمر البسيط.

الدنيا كلها متاع قليل، ورزق الفرد من هذه الدنيا قليل جدًا من هذا  
القليل، والدِّين بالنسبة لرزق الإنسان هو قليل من قليل من قليل، ومع  
هذا أنزل الله فيه هذه الآية الطُّولَى، هذا دلالة على عناية الله تعالى بأمر  
الإنسان، ولهذا لا ينبغي أن يقال: إنَّ الدِّين لا علاقة له بالدنيا، ولا علاقة  
له بالحياة. لا، بل الدين هو الذي يوجه الحياة، يوجه فيها السياسة،  
ويوجه الاقتصاد، ويوجه الثقافة، ويوجه التربية، ويوجه السلوك، فالدين  
هو مِلاك الدنيا، ولا معنى للدنيا بغير دين.

كُلُّ دُنْيَا تُبْنَى عَلَى غَيْرِ دِينٍ فَبِنَاءٍ عَلَى شَفِيرٍ هَارٍ<sup>(١)</sup>  
يوشك أن ينهار بأهله!

هذا هو القرآن أوّل خصيصة فيه الشمول، أنه دستور جامع.

### كتاب مُيسَّر:

والخصيصة الثانية في هذا القرآن أنه كتاب مُيسَّر، يسره الله تعالى  
للفهم، ويسره للحفظ، ويسره للعمل، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ  
بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ  
مُدْكِرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠]. ليس فيه غموض كتب الفلاسفة، ليس فيه  
رمزية أولئك الرمزيين والسرياليين الذين يقولون ما لا يفهم، ليس فيه

(١) من قصيدة للشيخ محمد متولي الشعراوي احتفالاً بالعام الهجري ألقاها يوم كنت طالباً في  
المعهد الأزهرى بطنطا.

تعقيد أولئك المعقدين، بل هو كتاب مُيسَّر، كتاب مبين، يسمعه الإنسان العادي فيفهم منه على قدر ما أوتي، كل إنسان يفهم منه على قدر ما آتاه الله من ملكة، وما آتاه من علم، ولكن لا يخلو إنسان من أن يفهم من القرآن، ويأخذ عن القرآن، فهو كتاب مبين! ولذلك جاء في أكثر من آية: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١، الشعراء: ٢، القصص: ٢].

ولذلك سماه الله تعالى نورًا؛ لأنه بين بنفسه، مبين لغيره، ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦]، فالقرآن نور، ﴿فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨].

ولسهولة القرآن وتيسير الله تعالى له نجد الآلاف وعشرات الآلاف ومئات الآلاف من المسلمين يحفظونه، وهذا لا يوجد في كتاب آخر ديني أو دنيوي، ابحت عما يسمونه الكتاب المقدس، المقدس عند النصارى، أو المقدس عند اليهود، لا تجد قسيسًا أو أسقفًا أو كاردينالًا أو حاخامًا أو ما شئت من تلك الرتب الكهنوتية؛ لا تجد واحدًا يحفظ نصف الكتاب المقدس، بله أن يحفظه كله، ولا ربه ولا عُشره، ولكنك تجد من صبيان المسلمين من يحفظ القرآن الكريم!

أنشئت مسابقة للقرآن الكريم في قطر، وشكر الله لوزارة الأوقاف ما صنعت، فتقدم لها المئات ممن يحفظون، ولم يتقدم لها كل من يحفظ، هناك كثيرون يحفظون القرآن ولم يتقدموا، ومع هذا تقدم المئات، فهذا دليل على عناية الأمة بحفظ هذا الكتاب.

هناك أطفال يحفظون القرآن، منذ سنوات جاء هنا صبي من صعيد مصر يحفظ القرآن وهو ابن سبع سنوات، وكنت في بنجلاديش منذ بضعة عشر عامًا فوجدت صبيًا يحفظ القرآن كما أنزل، امتحنته بنفسه فما أخطأ كلمة ولا أسقط حرفًا، والقرآن بلغة غير لغته، وكم وجدنا من إخواننا من الهنود والباكستانيين والبنغاليين والأتراك وغيرهم من يحفظ القرآن وهو لا يعرف كلمة واحدة في اللغة العربية، لو سألته: ما اسمك؟ لا يجيبك؛ لأنه لا يعرف ماذا تقول له! ولكنّه يحفظ القرآن كأنه شريط مسجل، هذه ميزة لهذا الكتاب العظيم لا توجد لكتاب غيره، فهو كتاب مُيسر للحفظ، كما أنه مُيسر للفهم ومُيسر للذكر والعمل.

### كتاب معجز:

من خصائص هذا القرآن العظيم أنه كتاب معجز: جعله الله تعالى المعجزة الأولى لمحمد ﷺ! لم تكن معجزة محمد ﷺ معجزة مادية حسيّة؛ لأنّ المعجزات المادية الحسيّة تنتهي بمجرد وقوعها، كما انتهت معجزة موسى؛ حيث ألقى العصا فإذا هي حيّة تسعى، ولكن أين هي العصا الآن؟ ومعجزة عيسى الذي كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، أين هذا الآن؟ لو كذب بذلك مكذب ما استطعت أن تقول له شيئًا، نحن نؤمن بهذه المعجزات لأنها جاءت في القرآن.

أمّا معجزة محمد ﷺ فهي معجزة عقلية أدبيّة، معجزة لا تنتهي بزمن، ولكنها خالدة باقية يُتحدى بها إلى ما شاء الله، يُتحدى بالقرآن إلى يوم القيامة، فلا يزال التحدي قائمًا بهذا القرآن، نتحدى به العرب، ونتحدى العجم، ونتحدى أهل كل لغة أن يأتوا بمثل هذا القرآن، بمضمون هذا القرآن، بمحتوى هذا القرآن، بما جاء فيه من هداية، ومن

تشریح، ومن بیان، جاء به رجل أمي، في أمة أمية لا تكتب ولا تحسب، هذا الأمي جاء بأعظم كتاب، وجاء بأعظم رسالة تضمنها هذا الكتاب.

(الإعجاز العلمي للقرآن) اكتشفه أهل العلم، أهل الفيزياء والكيمياء والبيولوجي والفلك، وغير هؤلاء من أصحاب العلوم الطبيعية والرياضية، لم يكتشف المشايخ علماء الدين هذا النوع من الإعجاز، إنما اكتشفه علماء الكون وعلماء الطبيعة، وألفوا في ذلك كتباً أي كتب، وكل يوم يُكتشف الكثير من أسرار القرآن لم يكن يعرفها السابقون، هذا دليل على أن هذا القرآن معجز، وأن إعجازه باقٍ ومستمر إلى يوم القيامة.

القرآن كافٍ عن كل آية مادية يقترحها الكفار الذين كانوا يقولون: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٠]. يقصدون الآيات الحسنية الكونية، مثل ما أنزل على الرسل السابقين، رد عليهم القرآن أنه هو الآية الكافية والمعجزة الباقية: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

### كتاب خالد:

من خصائص هذا القرآن أنه كتاب خالد، بل هو الكتاب الخالد وحده، ولا خلود لغيره، الكتب السابقة لم يضمن الله لها الخلود؛ لأنها كانت لأمم خاصة، في مرحلة خاصة، فلم يتول الله حفظها بنفسه، بل وكلها إلى أهلها، استحفظها الأحرار والرهبان فضيعوها، ونسوا حظاً ممّا ذكروا به، وبدلوا كلام الله، وحرفوا الكلم عن مواضعه؛ فلم تبق التوراة التي أنزلت على موسى كما كانت، ولم نر الإنجيل الذي أنزل على عيسى ﷺ، إنما رأينا كتباً ألفها بعض حواريه أو تلاميذهم، كانت أكثر من سبعين إنجيلاً

فحُرقت، ولم يُبقوا منها إلا أربعة منسوبة إلى مؤلفيها متى ولوقا ومرقس ويوحنا، أمّا الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى فليس موجوداً!

### كتاب محفوظ:

الكتاب الوحيد من كتب السماء الباقي على مر الدهور وكر العصور هو القرآن، المسلمون وحدهم هم الذين يملكون الوثيقة السماوية الوحيدة التي تتضمن كلمات الله الأخيرة للبشرية، نحن وحدنا الذين عندنا كلمات الله؛ غير مخلوطة بوهم من أوهام البشر، ولا بباطل من أباطيل البشر، كتاب محفوظ أكد الله تعالى أنه حافظه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. بهذا التأكيد، تأكيد بعد تأكيد، كل هذه التأكيدات تدلنا على أن هذا الكتاب محفوظ.

لا يستطيع أحد أن يزيد في هذا القرآن سورة، ولا آية من سورة، ولا كلمة من آية، في القرآن مائة وأربع عشرة سورة، كلها بدأت بالبسملة إلا سورة واحدة سورة براءة (التوبة)، هل اجترأ أحد في مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد أن يقول: نجعل هذه السورة كغيرها، ونضع البسملة في أولها؟ لا، لا يفعل ذلك أحد في مصحف، ولا يفعل ذلك قارئ، كل قارئ يقرأ سورة من السور يبدأ بسم الله الرحمن الرحيم إلا في سورة براءة، يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١]. هكذا، فالقرآن محفوظ بكلماته.

والقرآن محفوظ بطريقة تلاوته، حتى المد والنغم، هذه تُمدُّ ست حركات، وهذا يُمد أربع حركات، وهذا يُمد مقدار حركتين، هذا مد لازم، وهذا مد غير لازم، وهذا إدغام بغنة، وهذا إدغام بغير غنة، كنا نعرف ذلك ونحن طلاب في الكُتَّاب، وحفظونا (تحفة الأطفال):

لِلنُّونِ إِنْ تَسْكُنُ وَلِلتَّنَوِينِ      أَرْبَعُ أَحْكَامٍ فَخُذْ تَبَيِّنِي  
فَالأَوَّلُ الإِظْهَارُ قَبْلَ أَحْرَفِ      لِلحَلْقِ سِتٌّ رُبَّتْ فلتَعْرِفِ  
هَمْزُ فَهَاءٍ ثُمَّ عَيْنٌ حَاءٍ      مُهْمَلَتَانِ ثُمَّ غَيْنٌ حَاءٍ  
إِلَى آخِرِهِ، وَنَحْنُ صَبِيانُ صَغَارِ، فَالْقُرْآنُ كِتَابٌ مَحْفُوظٌ حَتَّى  
بِطَرِيقَةِ تِلَاوَتِهِ.

وَالْقُرْآنُ مَحْفُوظٌ حَتَّى بِطَرِيقَةِ كِتَابَتِهِ مِنْذَ عَهْدِ عَثْمَانَ الخَلِيفَةَ  
الثَّالِثَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَالصَّحَابَةَ مُتَوَافِرُونَ كُتِبَ المِصْحَفُ بِطَرِيقَةِ مَعِينَةٍ، تَطَوَّرَتْ  
طَرَائِقُ الرِّسْمِ وَالإِمْلَاءِ، وَلَكِنِ المُسْلِمِينَ لَمْ يَجْرؤُوا أَنْ يُغَيِّرُوا الطَّرِيقَةَ  
العُثْمَانِيَّةَ فِي الكِتَابَةِ.

أَضَافَ المُسْلِمُونَ أَشْيَاءَ بَسِيطَةً بَعْدَ قِيلٍ وَقَالَ، مِثْلَ النُّقْطِ وَالشَّكْلِ  
وَوَضَعَ عِلَامَاتٍ بَعْدَ كُلِّ آيَةٍ، وَلَمْ تَكُنْ هَذَا الأَشْيَاءُ مَوْجُودَةً مِنْ قَبْلِ،  
وَلَكِنَ إِلَى اليَوْمِ أَقْرَ المُسْلِمُونَ أَنْ تَبْقَى كِتَابَةُ المِصْحَفِ عَلَى الطَّرِيقَةِ  
العُثْمَانِيَّةِ الصَّحَابِيَّةِ القَدِيمَةِ، تَقْرَأُ الرِّبَا: الرِّبَا. وَالزَّكَاةُ: الزَّكَاةُ، وَالصَّلَاةُ:  
الصَّلَاةُ. وَهَكَذَا، لَا يَجْرؤُ أَحَدٌ أَنْ يَغْيِرَ هَذَا، كُلُّ هَذَا مَبَالِغَةٌ فِي تَعْظِيمِ  
حَرَمَةِ الْقُرْآنِ الكَرِيمِ.

### الْقُرْآنُ لَهُ حَقُوقٌ عَلَيْنَا:

هَذَا الكِتَابُ العَظِيمُ الَّذِي أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيِ المُسْلِمِينَ لَهُ حَقُوقٌ عَلَيْنَا.  
مِنْ حَقِّهِ عَلَيْنَا أَنْ نَتْلُوهُ فَنَحْسِنَ تِلَاوَتَهُ، وَأَنْ نَسْتَمِعَ إِلَيْهِ فَنَحْسِنَ  
الإِسْتِمَاعَ، نَتْلُو الْقُرْآنَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ  
أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١].

وتلاوة القرآن عبادة، ومن قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات، يقول الحديث: «لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»<sup>(١)</sup>. فانظر كم تجمع من الحسنات كلما تلوت كتاب الله **وَجَلِّ!** اتل القرآن ورتله ترتيلاً: **﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ \* فِرَّالِيلَ إِلَّا قَلِيلًا \* نِصْفَهُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا \* أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾** [المزمل: ١-٤]، اقرأه بتمهل وأناة وتعظيم لهذا الكتاب العظيم.

اقرأ هذه القراءة، واعلم أن الله تعالى يستمع إليك خصوصاً إذا رتل وأحسنت الترتيل وأحسنت صوتك بالقرآن، يقول النبي **ﷺ**: «الله تعالى أشد أذناً - أي استماعاً وإنصاتاً - إلى الرجل حسن الصوت بالقرآن، من صاحب القينة إلى قينته»<sup>(٢)</sup>. القينة: الجارية المغنية، الله تعالى يستمع إلى قارئ القرآن، فإذا قرأت القرآن فاعلم أن الله تعالى يستمع إليك.

### عدم هجر القرآن:

لا ينبغي أن تهجر القرآن حتى لا يشكوك الرسول يوم القيامة ويقول: **﴿يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾** [الفرقان: ٣٠]. اقرأوا القرآن كما جاء في الحديث: «فإنه يجيء يوم القيامة شفيحاً لأصحابه»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الترمذي في فضائل القرآن (٢٩١٠)، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣٢٧)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (٢٣٩٥٦)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٤٠)، وابن حبان في الرقائق (٧٥٤)، والحاكم في فضائل القرآن (٥٧١/١)، وتعقبه الذهبي على تصحيحه بقوله: بل هو منقطع. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٥٨/١): إسناده حسن. عن فضالة بن عبيد.

(٣) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٨٠٤)، وأحمد (٢٢١٤٦)، عن أبي أمامة الباهلي.

ولكن ليس المهم مجرد التلاوة، المهم أن تتلو القرآن وتنفع به، أن تزداد إيماناً بتلاوته كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]. حاول أن يزداد إيمانك كلما تلوت القرآن، وكذلك كلما استمعت إلى القرآن.

لا تهمل تلاوة القرآن؛ حتّى وإن كنت لا تجيد القرآن: تعلّم، رأيت كثيراً من الناس لا يجيدون قراءة القرآن، ولكنهم تعلموا ذلك من الجلوس في المسجد فترات طويلة وخصوصاً في يوم الجمعة! ومن فضل الله تعالى أنّ المساجد مليئة بالمصاحف، فهو يمسك بالمصحف ويتلو، ويحاول أن يحسن تلاوته شيئاً فشيئاً، رأيت أناساً كانوا لا يستطيعون التلاوة، ثمّ بعد فترة من الزمن لان لسانهم بالقرآن، والحديث الصحيح يقول: «الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران»<sup>(١)</sup>. فلا تهمل القرآن، حاول أن تقرأ القرآن.

وإذا لم تكن من أهل القراءة - وما أقل هؤلاء - فحاول أن تسمع، من فضل الله تعالى علينا أن هناك محطات مخصصة لتلاوة القرآن الكريم، وهناك أشرطة تملأ الآفاق فيها مصاحف مرتلة كاملة أو جزئية، فحاول بدل أن تسمع الأغاني، وتسمع هذه الأباطيل التي إن لم تكن عليك فليست لك، اسمع بدلها القرآن، وأنت تركب سيارتك ضع شريطاً من هذه الأشرطة في سيارتك واستمع إلى القرآن.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٣٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٩٨)، عن عائشة.

## الانفعال بالقرآن:

التلاوة عبادة، والاستماع عبادة، ولكن إذا تلوت أو استمعت فحاول أن تنفعل بالقرآن، أن تتأثر بالقرآن، كما قال النبي ﷺ: «اتلوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»<sup>(١)</sup>. تكلفوا البكاء، إذا لم تجد الدمع، إذا لم تجد البكاء فتكلفه، ابك على نفسك، ابك أن قلبك قاس جامد، ابك على أنك لا تجد تلك العين التي تدمع، ولا ذلك القلب الذي يخشع.

اتلوا القرآن وابكوا، استمعوا إلى القرآن وابكوا، كما قال الله تعالى في وصف قوم من الناس: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا \* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا \* وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩]. فحاول أن تتأثر بالقرآن، لا تكن القراءة مجرد إجراء الحروف والكلمات على اللسان دون أن تنفذ إلى القلب.

## التأثر بالقرآن:

ثم حاول بعد ذلك أن يكون القرآن مؤثراً في حياتك، موجهاً لسلوكك، ألا تكون في عزلة عن القرآن، ألا تقيم مسافة بينك وبين القرآن، فأنت تقرؤه بلسانك أو تسمعه بأذنك ولكن حياتك في واد آخر،

(١) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٣٧)، وأبو يعلى (٦٨٩)، وقال البوصيري في الزوائد (١٥٧/١): في إسناده أبو رافع، اسمه إسماعيل بن رافع ضعيف متروك. ورواه البزار (١٢٣٥) من طريق آخر، وقال عقبه: فيه عبد الرحمن بن أبي بكر (أحد الرواة) هذا لين الحديث. وجوّد إسناد ابن ماجه العراقي في تخريج الإحياء ص ٣٢٨، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٨٧٧)، عن سعد بن أبي وقاص.

لا، هنا يُخشى أن يكون القرآن حجة عليك، بدل أن يكون شفيعاً لك سيكون حجة عليك.

وكما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: رُبَّ تال للقرآن والقرآن يلعنه<sup>(١)</sup>. ما معنى ذلك؟ إنه يتلو القرآن، وفي القرآن: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]. يقرؤها وهو ظالم فالقرآن يلعنه، أو يكون كاذباً فيلعنه القرآن، أو يقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]. وهو خائن، يقرأ آيات الوعيد وهو من أهلها، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أموالَ آلَتَمَيَّ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، يقرأ وصف هؤلاء وهو منهم، القرآن يلعنه؛ لأن قوله غير فعله، لأن حياته ليست مصداقاً للكتاب الذي يتلوه، ولهذا حق عليه قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ - ٣].

يعينه على ذلك أن يتدبر معاني القرآن، فالقرآن إنما أنزل ليتدبر، يقول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَتَدَبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]. دعوة إلى التدبر، وزجر أن يقرأ القرآن دون أن يتدبره.

التدبر أن يتفهم ما في القرآن من معانٍ ويستحضرها، أن يرى هذا القرآن رسائل من ربه وصلت إليه من فوق سبع سماوات، ليس القرآن كتاب تسلية، القرآن كتاب هداية، القرآن دستور عمل، القرآن منهاج حياة، فلا بد أن يقرأه متدبراً متفهماً هذا المعنى.

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (١/٢٧٤)، من قول أنس.

كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: حامل القرآن لا ينبغي له إلا أن يكون هيناً ليناً مستكيناً، لا غضوباً ولا صخاباً ولا صيآحاً ولا مستكبراً، ينبغي أن يُعرف بليته إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفروطون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبحزنه إذ الناس يفرحون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبخشوعه إذ الناس يختالون<sup>(١)</sup>.

ويقول الفضيل بن عياض العابد الصالح الزاهد: حامل القرآن حامل راية الإسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا أن يلغو مع من يلغو، ولا أن يسهو مع من يسهو؛ تعظيماً لحق القرآن<sup>(٢)</sup>.

### أثر القرآن في أمة الإسلام:

القرآن له حرمة عظيمة، ولهذا صنع القرآن في أمة العرب ما لم يصنعه كتاب؛ لأنهم تلوه وانفعلوا به، تلوه على أنه كلام الله تعالى إليهم، فغيّر ما بأنفسهم، وغيّر حياتهم تغييراً كلياً، نقلهم من الشرك إلى التوحيد، نقلهم من الجاهلية إلى الإسلام، من الظلمات إلى النور، من الفوضى إلى النظام، من التخاذل إلى التعاون، من التشاحن إلى التآخي، من الجهل إلى العلم، من السفه إلى الحلم، من حياة الجاهلية برذائلها ومفاسدها إلى حياة الإسلام بفضائله ومحاسنه.

القرآن هو الذي غيّر هؤلاء، فعلينا أن نقرأ القرآن ونستمع إليه كما كان يستمع إليه الصحابة رضوان الله عليهم، قال بعض السلف: كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة، ثم فتح الله عليّ فصرت أقرؤه كأني آخذه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلوه عليّ أصحابه، ثم ارتقيت درجة فإذا أنا كأنما

(١) رواه ابن أبي شيبة في زهد الصحابة (٣٦٧٣٤).

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩٢/١).

آخذه من فم جبريل يلقيه على النبي ﷺ، ثم رفعتني الله درجة أعلى فإذا بي كأنما أسمع من المتكلم به ﷺ، كأن الله يخاطبني به من فوق سماواته العلا وعرشه العظيم<sup>(١)</sup>. هكذا يترقى الإنسان.

يقول شاعر الإسلام في الهند محمد إقبال رَحِمَهُ اللهُ: ما نفعني شيء كما نفعتنى وصية أوصاني بها أبي، قال: يا بني، إذا قرأت القرآن فاقرأه كأنما أنزله الله عليك، فهكذا كنت أقرأ كتاب الله<sup>(٢)</sup>.

أين هذا من الذين يقرؤون القرآن وقلوبهم في غيبة عنه، لا يفهمونه، ولا يتدبرونه، ولا يتأثرون به؟ وكذلك الذين يستمعون القرآن فلا يستمعون إلا إلى أنغامه، ولا يهتمون بهدايته وأحكامه، لا يعرفون وعداً من وعيد، القارئ يقرأ آيات الوعيد، وما هياً الله لأهل النار من عذاب وسلاسل وأغلال، وهم يستحسنون ويتنادون ويصرخون كأن جهنم ليست بين أيديهم؟!

### العمل بالقرآن:

نحن إذن في حاجة إلى أن نحسن تلاوة القرآن، ونحسن الاستماع إلى القرآن.

كما أننا في حاجة إلى أن نحسن العمل بالقرآن لنكون أمة قرآنية، قرآنية العقيدة والتفكير، قرآنية السلوك والعمل، قرآنية التشريع والنظام، قرآنية الآداب والأخلاق كما كان النبي ﷺ، فقد سُئِلت

(١) قوت القلوب (٩٢/١)، تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) من روائع إقبال للعلامة أبي الحسن الندوي ص ٣١، نشر دار الفكر دمشق، ط ١، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

عائشة عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن<sup>(١)</sup>. فنحن نريد أن نكون قرآنيين.

كثير من المسلمين يتبركون بالقرآن، ويزينون الجدران بآيات القرآن، وربما علقوا القرآن تميمة على الأطفال، أو حرزاً للحبالي من النساء، أو غير ذلك! لا، القرآن أعظم من ذلك، القرآن كتاب أنزله الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

لم يُنزل القرآن لِيُتلى على الأموات، ولكن ليحكم الأحياء، لم يُنزل القرآن لتُزين به الجدران، ولكن ليزدان به سلوك الإنسان، لم يُنزل القرآن ليكون حرزاً للأطفال، ولكن ليكون حرزاً للمجتمعات والأمم من الضلال، أنزل القرآن ليضبط مسيرة الحياة بهدى الله ومنهج الله وحكم الله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، هذا هو القرآن الكريم.

بركة القرآن ليست في أن تعلق آياته على الجدار، أو على صدرك، أو على ابنك، بركة القرآن في أن تتبعه وتعمل به كما قال ﷺ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]. البركة إذن في أن تتبعوه وتتقوا الله باتباعه والعمل به لعلكم ترحمون، هذا هو كتاب الله.

إنَّ القرآن الكريم هو النعمة العظمى على هذه الأمة، كل الأمم ضاعت كتبها، وبيننا نحن هذا النور المبين الذي هو أساس النجاة، هو سفينة الإنقاذ، هو حبل الخلاص من كل الفتن التي نزلت بهذه الأمة،

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١)، عن عائشة.



كما ورد في بعض الأحاديث: «تكون فتنة مُضِلَّة». قيل: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتابُ الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله، وهو حبل الله المتين، والنور المُبين، والصراطُ المستقيم، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هُديَ إلى صراطٍ مستقيم»<sup>(١)</sup>.

نسأل الله وِعَظُّكَ أَنْ يجعلنا من أهل القرآن الَّذِينَ ورد فيهم الحديث: «إن لله أهلين وخاصة». قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن أهل الله وخاصته»<sup>(٢)</sup>.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعًا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، استغفروا الله تعالى فإنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

(١) رواه الترمذي في فضائل القرآن (٢٩٠٦)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. وضعفه الألباني في الضعيفة (٦٣٩٣)، عن علي بن أبي طالب. ومعنى الحديث صحيح، وإن كان إسناده ضعيفًا.

(٢) رواه أحمد (١٢٢٧٩)، وقال مخرَّجوه: إسناده حسن. وابن ماجه في المقدمة (٢١٥)، والنسائي في الكبرى في فضائل القرآن (٧٩٧٧)، والحاكم في فضائل القرآن (٥٥٦/١)، وقال: وقد روي هذا الحديث من ثلاثة أوجه عن أنس هذا أمثلها. ووافقه الذهبي، وصحح إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٢٠٩)، عن أنس.

## الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

### تكريم أهل القرآن:

سنت وزارة الأوقاف في هذا البلد سنة حسنة، وهي عقد هذه المسابقة الكبيرة لقراء القرآن وحفظه القرآن، وتكريم هؤلاء، فطالما كان الناس يقولون: لماذا يُكرّم لاعبو كرة القدم ولاعبو التنس وراكبو الهجن وغيرهم، ولا يُكرّم أهل العلم وأهل القرآن وأهل الفضل؟ فكانت هذه خطوة للإجابة على هذا السؤال الكبير، أن يُكرّم أهل القرآن، أن يُكرّم حفظه القرآن، أن يكون لهم اعتبارهم، وهذا ما ينبغي أن يكون دائماً.

وقد كان النبي ﷺ يُكرّم أهل القرآن، كان يُكرّمهم بطرق أخرى، حتّى إن أحدهم حينما بعث النبي ﷺ بعثاً سألهم وكانوا ذوي عدد: ماذا معكم من القرآن؟ فهذا يقول له: أحفظ سورة كذا. وهذا يقول له: أحفظ سورة كذا وسورة كذا. حتّى جاء إلى رجل من أحدثهم سنّاً وقال له: «ما معك من القرآن؟» قال: معي كذا وكذا وكذا، وسورة البقرة. قال: «أمعك سورة البقرة؟» قال: نعم. قال: «اذهب فأنت أميرهم»<sup>(١)</sup>. كرّمه لتمييزه في حفظ القرآن الكريم.

بل كان حفظ القرآن الكريم أو حفظ بعض السور أحياناً يجعله النبي ﷺ مهراً للمرأة، فقد جاءت امرأة وعرضت نفسها على النبي ﷺ

(١) رواه الترمذي في فضائل القرآن (٢٨٧٦)، وحسنه، وابن ماجه في المقدمة (٢١٧) مختصراً، وابن خزيمة في الإمامة في الصلاة (١٥٠٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٥٤١)، عن أبي هريرة.

ليتزوجها، ولم يرغب فيها، فقال رجل: أنا أتزوجها يا رسول الله. قال: «ماذا معك؟» قال: والله ما عندي شيء. قال: «التمس ولو خاتمًا من حديد». حتى الخاتم من حديد ليس عنده، قال: «أمعك شيء من القرآن؟» قال: معي كذا وكذا من السور. قال له: «زوجناكها بما معك من القرآن»<sup>(١)</sup>. هكذا كان أهل القرآن، فجزى الله خيرًا كل من ساهم في هذا العمل الطيب.

علينا أن نُقبل على القرآن حفظًا وتلاوة واستماعًا وفهمًا وتدبرًا وعملاً به، فوق ذلك كله وأهم من ذلك كله أن نجعل القرآن منهاج حياتنا؛ حتى يكون شفيعًا لنا يوم القيامة، ويكون نورًا لنا في الدنيا.

اللهم اجعل القرآن لنا شفيعًا، واجعله لنا في القبر مؤنسًا، واجعله لنا إلى الجنة دليلًا، واجعله لنا من النار ستيرًا وحجابًا، واجعله لنا في حياتنا نورًا، واجعله لنا في مجتمعاتنا دستورًا، اللهم اجعله حجة لنا لا حجة علينا، اللهم اجعله ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همنا وغمنا!

اللهم اجعلنا قرآنيين، اللهم اجعلنا من أهل القرآن، ومن جند القرآن، ومن العاملين بالقرآن، ومن الداعين إلى منهج القرآن.

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشداً، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين!

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٣٥)، ومسلم (١٤٢٥)، كلاهما في النكاح، عن سهل الساعدي.

اللهم انصر إخوتنا في فلسطين، وانصر إخوتنا في البوسنة والهرسك،  
وانصر إخوتنا في كشمير، وانصر إخوتنا في الصومال، وانصر إخوتنا في  
السودان، وانصر إخوتنا في كل مكان!

اللهم خذ بأيدي إخواننا المجاهدين، وأيدي إخواننا المضطهدين  
والممتحنين، اللهم افتح لهم فتحًا مبيئًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا،  
وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك،  
وانشر عليهم فضلك ورحمتك!

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على  
القوم الكافرين.

\* \* \*





## الهجرة ومحاسبة النفس

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ:

#### سِجِلُّ حِسَابٍ:

نحن اليوم في آخر جمعةٍ من العام الهجري، نحن الآن نودّع عامًا  
لنستقبل عامًا آخر، وهنا ينبغي أن نقف لنحاسب أنفسنا على عامٍ مضى،  
ماذا قدّمنا فيه؟ وماذا صنعنا؟

ينبغي أن نفعل هذا أفرادًا، فيحاسب كلُّ منّا نفسه قبل أن يُحاسب،  
ويزن أعماله قبل أن تُوزن عليه.

وينبغي أن تصنع ذلك مجتمعاتنا، فكلُّ مجتمعٍ يحاسب نفسه، وكلُّ  
بلدٍ يحاسب نفسه، وأن نفعل ذلك باعتبارنا أمةً واحدة، أمةً القبلة، أمة  
القرآن، أمة محمد ﷺ.

ينبغي أن نقف من أنفسنا وقفة الحساب، لنسأل: ماذا صنعنا؟ ماذا  
كسبنا؟ وماذا خسرنا؟

ينبغي أن نقدّم الحساب الختامي لهذا العام المنصرم، وللأسف إنّه  
حساب ليس في صالح هذه الأمة، إنّ الأمة - للأسف - لا تزال مشغولة

بتدمير نفسها بأيديها، وصف الله اليهود - قديمًا - بأنهم يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، فاعتبروا يا أولي الأبصار، ونحن الآن نخرب بيوتنا بأيدينا وأيدي الكافرين، فأين أولو الأبصار الذين يعتبرون؟

### بأسنا بيننا شديد:

انظر إلى الساحة العربيّة، وانظر إلى الساحة الإسلاميّة ماذا ترى؟ لن ترى إلاّ تمزقًا يقطع نياط الفؤاد، لن ترى إلاّ اقتتالًا يمزق الأكباد، أصبحت هذه الأمة وكأنّها المعنية بما وصف الله به اليهود قديمًا، ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]، بأسهم بينهم شديد، أشداء بعضهم على بعض، والله تعالى قد وصف أصحاب رسوله ﷺ الذين نصر الله بهم الدين، وأعزّ بهم الإسلام، ورفع بهم راية التوحيد، وأعلى بهم كلمة الحقّ والعدل والإحسان، وصف هؤلاء الأصحاب بقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

أمّا مسلمو اليوم، فهم أشداء على أنفسهم رحماء بغيرهم، هذا ما نراه - للأسف - بين المسلمين بعضهم وبعض، ومن العقوبات الإلهيّة التي أنذر الله بها الأمم حينما تحيد عن صراطه وتعرض عن منهجه، قال: ﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]. يمكن أن يُنزل عليهم عذابًا من فوقهم أو من تحت أرجلهم، ولكن من العقوبات أن يُلبسهم شيعًا ويذيق بعضهم بأس بعض، هذه هي عقوبة كالخسف والمسح والزلازل التي يُنزلها الله بالأمم ليهلكها ويدمرها.

هذا حال أمّتنا، تمزق واقتتال، كما نرى في هذه المعارك والحروب بين المسلمين بعضهم وبعض، وأبرزها تلك الحرب الغبيّة غير المفهومة



بين العراق وإيران، التي تُسفك فيها الدماء ويدمر فيها الاقتصاد، ويخسر الناس فيها الأرواح والأموال، ولا يُعرف لم هذا كله؟ وإلى متى تستمر هذه الحرب؟ ومتى تنتهي؟

حرب لا غالب فيها ولا مغلوب، ليس فيها إلا الخراب والدمار، ولا يكسب فيها إلا أعداء الإسلام، أعداء الفريقين الذين يبيعون السلاح ويكسبون من ورائه، والذين يستعدون بعد ذلك إلى أن يكسبوا من وراء هذا التدمير كله، فهم يكسبون أثناء الحرب، ويكسبون بعد الحرب، وهكذا.

أمة الإسلام حسابها عسير، مشغولة بنفسها باقتتال بعضها بعضاً، بدل أن تُشغل بدينها، بقضاياها، بمصيرها، لا تزال ندور في حلقة مفرغة، لا زلنا كحمار الرحى، أو كالثور في الساقية، يدور معصوب العينين والمكان الذي ينتهي إليه هو الذي بدأ منه، لا تزال قضية فلسطين كما هي، لا تزال قضايانا المعلقة، القتال في إريتريا، القتال في أفغانستان، القتال في الفلبين، الأقليات الإسلامية المضطهدة التي تُسفك دماؤها هنا وهناك، بل الأكثريات الإسلامية المضطهدة الذين يُقتلون بالمخيمات، تُسفك دماؤهم، وتهتك حرمتهم، ولا ينتصر لهم أحد. ما هذا كله؟

الإسلام حسابها عسير لهذه الأمة، لا تزال قضاياها كما هي، وهي مشغولة؛ لأنها تقاتل بعضها بعضاً، ماذا صنعت لدينها؟ وماذا صنعت لدنياها؟

لم تصنع لدينها شيئاً.

## التبشير النَّصراني وتقاعس المسلمين:

ذهب البابا - بابا الكاثوليك، بابا الفاتيكان - في جولة إلى إفريقيا ليزور مجموعة من الدول الإفريقيّة، ولماذا يزورها؟

لقد كتبت الصُّحف الأمريكيّة بصراحة معلنة عن هدفه من زيارة إفريقيا، قالت: إنّ الغرض من هذه الزيارة أنّ البابا يريد أن يلتقي برجال الكنيسة مباشرة وجهاً لوجه؛ ليحثّهم على مقاومة المدّ الإسلامي في القارة، وأن يعملوا على انحسار الموجة الإسلاميّة ومحاصرتها؛ لتصبح القارة الإفريقية قارة مسيحية.

هكذا أعلنوا بلا موارد وبلا خفاء، إنهم يريدون أن يحسروا الإسلام ويحاصروه.

وهذه هي الجولة الثالثة لهذا الرجل منذ اعتلى كرسي البابوية، وكما قال أحد الصّحفيين في مصر: نحن لا نلوم الرجل على نشر دينه، وهو يمثل ديناً يريد أن ينصره، وأن ينشره، وأن يثبتته، إنّما نلوم الجبهة الإسلاميّة المتقاعسة، التي لا تتحرك كما يتحرك البابا ورجاله، أين الجبهة الإسلاميّة؟ أين علماء الإسلام؟ أين دعاة الإسلام؟ أين شيوخ الأزهر؟ أين.. وأين؟ لماذا لا يتحركون؟ أين التحرك المضاد؟

والتحرك المضاد لا يكون بالكلام ولا بمجرد الإعلان، وإنّما يكون بالعمل والتخطيط والدراسة والتنظيم، العمل الدؤوب الصامت، أين الجبهة الإسلاميّة؟

قرأتُ في مجلة الأُمَّة أن مليوناً من المسلمين في بنغلاديش خلال سنوات معدودة دخل في النَّصرانيّة، استطاع المُنصِّرون أن يُخرجوا هؤلاء من دينهم ليدخلوهم في النَّصرانيّة، ماذا في النَّصرانيّة؟



النَّصْرَانِيَّةَ دِينٍ غَيْرِ مَفْهُومٍ، ابْنُ حَزْمٍ يَقُولُ: لَوْ لَمْ نَرِ هَؤُلَاءِ النَّاسَ بِأَعْيُنِنَا وَلَوْ لَمْ نَسْمَعْهُمْ بِأَذَانِنَا، وَلَوْ لَمْ نَجَادِلْهُمْ بِأَلْسِنَتِنَا، مَا صَدَقْنَا أَنَّ فِي الْوُجُودِ مَنْ يَقُولُونَ: الثَّلَاثَةُ وَاحِدٌ وَالْوَاحِدُ ثَلَاثَةٌ<sup>(١)</sup>، وَأَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ، وَاللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يُؤَاخِذُ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ يَرْتَكِبْهُ وَلَمْ يَحْضُرْهُ، وَهُوَ ذَنْبُ آدَمَ، وَأَنَّ بَنِي الْبَشَرِ فِي عُنُقِهِمْ خَطِيئَةُ آدَمَ، كَيْفَ تَزُرُ وَازِرَةَ وَزَرَ أُخْرَى؟ كَيْفَ يَحَاسِبُ النَّاسَ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ يَعَايِشُوهُ وَلَمْ يَصْنَعُوهُ، وَهُوَ قَبْلَهُمْ بِآلَافٍ وَعَشْرَاتِ الْآلَافِ وَمِائَاتِ الْآلَافِ مِنَ السَّنِينَ؟ عَقِيدَةٌ غَيْرُ مَفْهُومَةٍ، وَلَكِنَّهَا وَجَدَتْ مَنْ يَنْشُرُهَا وَمَنْ يَتَحَمَّسُ لَهَا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَأَيْنَ الْمُسْلِمُونَ؟

ذَكَرْتُ لَكُمْ مِنْ قَبْلِ مَا صَنَعَهُ الْمُبَشِّرُونَ الْبِرُوتَسْتَانَتِ بِأَمْرِيكَ، اجْتَمَعَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ مِنْ مَجْلِسِ الْكِنَائِسِ الْعَالَمِيِّ الَّذِي يُمَثِّلُ الْبِرُوتَسْتَانَتِ فِي وِلَايَةِ كُولُورَادُو سَنَةَ ثَمَانِيَةٍ وَسَبْعِينَ، وَقَرَّرُوا تَنْصِيرَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَالَمِ، قَالُوا: يَجِبُ أَنْ نَعْمَلَ عَلَى تَنْصِيرِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَالَمِ، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ، وَرَصَدُوا لِذَلِكَ أَلْفَ مِليُونِ دُولَارٍ، وَأَنْشَأُوا لِذَلِكَ مَعْهَدًا فِي أَوْرَبَا، وَبَدَأُوا يَتَحَرَّكُونَ، وَظَهَرَتْ آثَارُ أَعْمَالِهِمْ فِي الْجَالِيَّاتِ فِي أَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ، وَاجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ (الْكَاثُولِيكُ وَالْبِرُوتَسْتَانَتِ) لِيَعْمَلُوا عَمَلَهُمْ فِي الدِّيَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ، حَتَّى فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَرِيقَةِ، بَنْغَلَادِيَشَ مِنْ أَكْبَرِ دُولِ الْإِسْلَامِ، فِيهَا حَوَالِي ثَمَانِينَ مِليُونًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَمَعَ هَذَا تَنْصَّرَ بِهَا حَوَالِي مِليُونٍ فِي سِنَوَاتٍ مَعْدُودَةٍ، لِمَاذَا؟

لَيْسَ لِأَنَّ النَّصْرَانِيَّةَ فِيهَا مَا يَشْفِي الْغَلِيلَ؛ فَالنَّصْرَانِيَّةَ لَيْسَ فِيهَا مَا يُقْنَعُ الْعَقْلَ، وَلَا مَا يَنْبِرُ الْقَلْبَ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ يَنْفُذُونَ إِلَى النَّاسِ

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤٨/١)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

من خلال حياتهم الدنيويّة، إنَّهم يقولون للمريض: سنداويك، ولليتيم: سنرعاك، وللأمّي: سنعلمك، وللعاطل: سنشغلك، وهكذا، من خلال الحاجات البشريّة يتسللون إلى عقول النَّاس وقلوبهم، فلماذا لا نقاوم هذا كلّه؟

نحن المسلمين لا نوّدي لديننا ما ينبغي أن يوّدَى، لو أن كلاً منّا شغل نفسه بدينه، أعطى شيئاً من وقته، وشيئاً من جهده، وشيئاً من ماله لنصرة دينه؛ لأصبح الإسلام الآن سيّد العالم.

### جهد الصّحابة والتابعين:

الصّحابة الذين نشروا الإسلام في العالم ومدوا شعاعه في الآفاق، من الأطلسي غرباً إلى الصين شرقاً، هؤلاء ماذا كان عندهم؟

لم يكن عندهم من الأموال ما عندنا، ولم يكن عندهم من العلم ما عندنا، إن كثيراً منهم لم يكن يعرف القراءة والكتابة، وكثيراً منهم لم يكن يعرف أكثر من الألف في الأعداد، وكثيراً منهم عاش عيشة البداوة البسيطة، ولكنّ هؤلاء الذين لم يعرفوا المدرسة، ولم يجلسوا إلى معلّم، ولم يسوّدوا صفحة من كتاب كانوا أساتذة الدُّنيا، علّموا الدُّنيا بالإسلام، الإسلام أنقذهم وانتشلهم، فأصبحوا أساتذة العالم، صاروا أمّة وسطاً ليكونوا شهداء على النَّاس، أصبحوا أوصياء على البشريّة.

ربّعي بن عامر، ذلك الأعرابيُّ الذي دخل على رُستم قائد قوات الفرس، وهو في هيّله وهيّلَمانه، وأبّهته وسُلطانه، وحوله الخدم والحشم، والأجناد والقوات، دخل عليه غير مبالٍ بهذه المظاهر، لا يلتفت إليها، ولا يهتمُّ بها، حتّى كان بجوار ذلك القائد فسأله: من أنتم؟ وما الذي جاء بكم؟

شيء عجيب رآه هؤلاء الفرس الذين كانوا يعتبرون أنفسهم سادة العالم، وكان العرب من المناذرة وغيرهم عملاً لهم، وكانت كلمة «كسرى» عند العرب كلمة مرهوبة!

هؤلاء العرب خرجوا من جزيرتهم ليواجهوا الفرس، وهم أقل منهم عددًا، وأضعف منهم عدّة، ولكنهم واجهوهم وهزموهم في عدّة معارك.

تُرى ماذا أخرج هؤلاء؟ ما الذي جاء بهم؟

لَمَّا سَأَلَ رُسْتُمُ رِبْعِيَّ بْنَ عَامِرٍ: مَا الَّذِي جَاءَ بِكُمْ؟ مَا الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ جَزِيرَتِكُمْ؟

أجابته هذا العربي البسيط بهذه الكلمات، قال: إِنَّ اللَّهَ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَمَنْ ضَيَّقَ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، وَمَنْ جَوَرَ الْأَدْيَانَ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ.

### رسالة الأمة:

لقد لخص هذا الرجل رسالة الإسلام وأهدافها الكبرى بهذه الكلمات القليلة، «إِنَّ اللَّهَ ابْتَعَثَنَا»، إِنَّهُ يَشْعُرُ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ، فَالْأُمَّةُ مَبْعُوثَةٌ كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَبْعُوثٌ، إِنَّهَا أُمَّةٌ ذَاتُ رِسَالَةٍ، رِسَالَتِهَا لَيْسَتْ لِنَفْسِهَا، هَذِهِ الْأُمَّةُ لَمْ تُخْلَقْ لِتَأْكُلْ وَتَشْرَبْ، وَلَا لِأَنْ تَلْهَوْا وَتَلْعَبُوا، وَلَا لِأَنْ تَبْنِيَ الْقُصُورَ، وَلَا لِأَنْ تَعِيشَ فِي الرِّفَاهِيَةِ وَالنِّعَمِ، إِنَّهَا أُمَّةٌ لَمْ تُخْرَجْ لِنَفْسِهَا، انظروا قول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. لماذا كنتم خير أمة؟ هل لكونكم عربًا؟ أو لأنكم تسكنون الجزيرة؟

لا.

الأمة أخرجت، وتأملوا في كلمة ﴿أُخْرِجَتْ﴾، ليست هذه الأمة نباتًا بريًا شيطانيًا يخرج وحده، إنما هي بغرس غارس وزرع زارع، هو الله تعالى، هو الذي غرس هذه الأمة، هو الذي زرع هذه الأمة، هو الذي أخرجها، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، الله هو الذي جعل هذه الأمة أمة وسطًا، هو الجاعل لها، وهو المُخرج لها.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فهي أمة لم تُخرج لنفسها، وإنما أخرجت للبشرية، إنها أمة ذات رسالة عالمية، ذات رسالة إنسانية، لا تعيش لنفسها، إنما تعيش للناس، كل الناس، أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، إنها أمة الهداية وليست أمة الجباية، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

هذه هي رسالة الأمة، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله وَعَلَى، بعد أن أفسدت الأديان السابقة الإيمان بالله، حتى الأديان الكتابية دخلتها الوثنية فلم يعد هناك التوحيد الخالص، فلا بد أن يعود الناس إلى التوحيد، وأن يؤمنوا بالله ربًا، وأن يدعوا الأرباب الزائفة من البشر أو من الحجر أو من البقر، أو من الأفلاك أو من الجمادات، فلا رب إلا الله.

ومن هنا كانت رسالة النبي ﷺ إلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى المقوقس، وإلى غيرهم، مختومة بهذه الآية الكريمة من سورة آل عمران، تدعو إلى التوحيد وإلى التحرير ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾، في الأرض أو في السماء، من جماد أو حيوان أو إنسان.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ سواء أكان هؤلاء الأرباب من أهل الدنيا من الملوك والسلاطين، أم من أهل الدين من الأحرار والرهبان، فإنَّ الله قد وصف أهل الكتاب بالشرك، عندما قال عنهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة: ٣١].

من هنا قال ربي لقائد الفرس: «إنَّ الله ابتعثنا»، نحن مبعوثون بالعبادة الإلهية برسالة، أي رسالة؟

«لنخرج النَّاس من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد»<sup>(١)</sup> إلى عبادة الله وحده، ليس هناك آلهة في الأرض، لا فرعون، ولا نمرود، ولا كسرى، ولا قيصر، سقط أدعياء الإلهية، فليس هناك إله إلا إله واحد، لا تستعبدني، وتدعي التأله عليّ، فأنت مثلي وأنا مثلك، كلُّنا عبادُ الله، حقيقة قائمة وواقعة، من لم يعرفها اليوم سيعرفها غدًا، ﴿إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].

«إنَّ الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها»، جاء الإسلام ليوسِّع على النَّاس الحياة، يرفع عنهم الآصار والأغلال التي كانت عليهم، ليحلَّ لهم الطيبات، ويحرِّم عليهم الخبائث، الأديان قد حُرِّفت وبُدِّلت، فأصبح النَّاس يعيشون في آصار وأغلال ما أنزل الله بها من سلطان، وهذا الدين جاء بالسعة، وجاء بالمرونة، وجاء ليقم حياة طيبة، قوامها العدل والإحسان والأخلاق، «إنَّما بُعثتُ لأتُمِّم مكارم الأخلاق»<sup>(٢)</sup>.

(١) سبق تخريجه ص ١٩.

(٢) رواه أحمد (١٩٥٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد في حسن الخلق =

«الله ابتعثنا لنخرج النَّاسَ من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»، الجور والانحراف اللذان وقعت فيهما الأديان، جاء الإسلام ليصححهما، ويقيم في النَّاسِ العدل، وبالعدل قامت السماوات والأرض، وبالعدل بعث الله الرسل وأنزل الكتب، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

هدف الرسالات السماوية كلها إقامة القسط، إقامة العدل بين الناس، والعدل معنى كبير، ليس هو إقامة التعادل والتوازن بين النَّاسِ بعضهم وبعض فقط، بل بين القيم بعضها وبعض، والفضائل بعضها وبعض، والحقوق بعضها وبعض، فلا ينبغي أن يطغى حقٌّ على واجب، ولا أن يطغى رجل على امرأة، ولا أن يطغى حاكم على محكوم، ولا أن يطغى الفرد على المجتمع، أو المجتمع على الفرد، أو تطغى المعاني الروحية على المعاني المادية، أو المادية على الروحية.

إنه التوازن، إنه العدل الذي جاء به الإسلام، ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ \* وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿ [الرحمن: ٨، ٩]، لا طغيان ولا إفساد، ولا تطيف، لا إفراط ولا تفريط.

### أمة التوحيد:

هذا هو العدل الذي جاء به الإسلام وجاءت به رسالة مُحَمَّد ﷺ، وربِّي على ذلك أمة غرس فيها التوحيد، أساس هذا كله هو التوحيد، أن

= (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

تتَّجِه القلوب إلى الله وحده، فلا تَرجو إلا الله، ولا تخاف إلا الله، ولا تنحني الرؤوس إلا لله، ولا تطأطيء الظهور إلا لله، ولا تمتدُّ الأَكْفُ إلا لله، ولا تعفّر الجباه إلا لله، ولا تذلل الأنفس إلا لله.

هذا هو التوحيد الذي جاء به مُحَمَّدٌ ﷺ، وهو العدل كلّ العدل؛ لأنّ الشُّركَ ظلم عظيم ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

### لنتعلّم من عدوّنا:

هذه هي الرسالة التي شُغل بها أصحاب النبي ﷺ، فماذا شغلنا - نحن المسلمين - في عصرنا؟ ما الذي يشغلنا؟ ما الذي يشغل رجالنا؟ وما الذي يشغل نساءنا؟ ما الذي يشغل شبابنا؟ وما الذي يشغل فتياتنا؟

أتذكرون منذ أشهر حينما حدّثتكم عن الشباب وعن الفتيات وماذا يشغل هؤلاء وهؤلاء؟ أشغلنا هو الكرة؟ أشغلنا هو الفن؟ أشغلنا هو تلك الأشياء التي نراها ونسمع عنها؟

لا بدّ لهذه الأمة أن تعرف قدرها، لا بدّ أن تعرف رسالتها.

اليهود بعد آلاف السنين بدؤوا يجمعون أنفسهم من شتات ويحيون تعاليمهم من موات، يحيون الدين ويحيون اللغة ويحيون العصبية الدّينية؛ ليقيموا دولة في أرضنا، في قلب ديارنا، واغتصبوا منّا المسجد الأقصى، ويريدون أن يهدموا هذا المسجد الذي بارك الله حوله؛ ليقيموا على أنقاضه هيكل سليمان.

إنهم عرفوا أنّ دينهم هو المحرّك، فجمعوا أبناءهم ورجالهم وبناتهم على أساس دين التوراة، على أساس التوراة ونبوءات التوراة وأحلام التلمود.

## ماذا صنعنا نحن؟

طالما قلت: إننا إذا أردنا أن نقاوم اليهود فلا بدّ أن نحاربهم بمثل سلاحهم، إذا حاربونا بالتوراة حاربناهم بالقرآن، وإذا حاربونا بالتلمود حاربناهم بالسُّنة بالبخاري ومسلم، وإذا قالوا: هيكّل سليمان، قلنا: المسجد الأقصى، وعقيدتنا أقوى من عقيدتهم، وديننا أقوى من دينهم، ولا يفِلُّ الحديد إلّا الحديد، وحديدنا أقوى؛ لأنّ معنا الحقّ.

ماذا صنعنا تجاه اليهود أو تجاه النصارى أو تجاه الشيوعيين الذين يقاتلوننا في أفغانستان، أو تجاه العلمانيين الذين يريدون أن يلجأوا زمام هذه الأمة ليحكموها بغير ما أنزل الله، وقيموا فيها غير شرع الله، وقيموا الأمة على غير ما تريد؟ ماذا صنعنا يا - أيّها الإخوة؟

## فلنجعل الغد خيرًا من اليوم:

إذا كان لنا وقفة في ختام العام، فلتكن وقفة حساب ومساءلة، لماذا؟ لنحاول أن نجعل الغد خيرًا من اليوم، كان بعض السلف يقول: «من استوى يومه فهو مغبون، ومن كان يومه شرًّا من أمسه فهو ملعون»<sup>(١)</sup>. «من استوى يومه»، أيامه سواء لا ارتقاء، لا يحاول أن يحسّن وأن يطوّر، فهذا مغبون.

«ومن كان يومه شرًّا من أمسه»، ينحدر - والعياذ بالله - من حسن إلى سيئ، ومن سيئ إلى أسوأ، ومن أسوأ إلى الأشدّ سوءًا، كما نرى ذلك في كثير من الأوضاع في ديارنا الإسلاميّة.

(١) انظر: لطائف المعارف لابن رجب ص ٣٠٠، نشر دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.



من يرضى منّا أن يكون مغبوناً؟ ومن يقبل منّا أن يكون ملعوناً؟  
لا نريد أن نكون من الملعونين، ولا من المغبونين، لنحاول أن نتدارك ما فات، ولنعمل على إصلاح ما هو آت.

عام جديد:

والفرد لا يستطيع أن يعمل وحده، إنّما ينبغي أن نفكر بعضنا مع بعض، ونعمل متعاونين على البرّ والتقوى، متواصين بالحقّ وبالصبر، «ويد الله مع الجماعة، ومن شدّد شدّد في النّار»<sup>(١)</sup>، و«إنّما يأكل الذّئب من الغنم القاصية»<sup>(٢)</sup> كما قال رسول الله ﷺ.

يا أيّها الإخوة المسلمون، ها نحن نقف على رأس عام ينقضي وعام يأتي، فلنعدّ للعام الجديد عدّته بالعزم الصادق المصمم، بالتوبة النصوح إلى الله تبارك وتعالى، عسى أن يكفّر عنّا سيئاتنا، وأن يغيّر ما بأنفسنا،

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٧)، وقال: غريب من هذا الوجه. ورواه الحاكم في العلم (١١٥/١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧/٣)، وقال: غريب من حديث سليمان عن عبد الله بن دينار، لم نكتبه إلا من هذا الوجه. وضعفه النووي في شرح مسلم (٦٧/١٣)، وقال المناوي في فيض القدير (٣٤٤/٢): قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فِي تَخْرِيجِ الْمُخْتَصَرِ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ خَرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ وَاللَّالِكَائِي فِي السَّنَةِ، وَرَجَالَهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ لَكِنَّهُ مَعْلُولٌ، فَقَدْ قَالَ الْحَاكِمُ: لَوْ كَانَ مَحْفُوظًا حَكَمْتُ بِصَحَّتِهِ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ، لَكِنْ اِخْتَلَفَ فِيهِ عَلَى مَعْتَمَرِ بْنِ سَلِيمَانَ عَلَى سَبْعَةِ أَقْوَالٍ، فَذَكَرَهَا، وَذَلِكَ مُقْتَضَى لِلِاضْطِرَابِ وَالْمُضْطَرَبِ مِنْ أَقْسَامِ الضَّعِيفِ. وَقَالَ السَّخَاوِيُّ فِي الْمَقَاصِدِ ص ٧١٦: بِالْجُمْلَةِ فَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ الْمَتْنُ ذُو أَسَانِيدٍ كَثِيرَةٍ وَشَوَاهِدٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي الْمَرْفُوعِ وَغَيْرِهِ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (١٨٤٨)، دُونَ قَوْلِهِ: «وَمَنْ شَدَّدَ شَدَّدَ فِي النَّارِ».

(٢) رواه أحمد (٢١٧١٠)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٥٤٧)، والحاكم في التفسير (٤٨٢/٢)، وصحّحه، ووافقه الذهبي. وصحّح النووي إسناده في خلاصة الأحكام (٧٨٤)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٥٦)، عن أبي الدرداء.

ليغيّر ما بنا، فالجئوا إلى الله وَعَجَّلِ، واقرعوا بابه مستغفرين تائبين، وقولوا ما قال أبوكم آدم وأمّكم حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المُلك: ١].

وأشهد أن لا إله إلا الله، ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، السراج المنير والبشير النذير،  
صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى  
بسنته إلى يوم الدين.  
أمّا بعد:

ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله  
بخير إلا استجاب له<sup>(١)</sup>، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي  
فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا  
في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا،  
وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى، وأنفسنا على  
المحبة فيك، وعزائمنا على الجهاد في سبيلك، ولا تكلنا إلى أنفسنا  
طرفة عين ولا أقل من ذلك.

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة المتفق عليه، أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه». وأشار بيده يقللها. رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، كلاهما في الجمعة.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ على مُحَمَّد وآله وصحبه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

عباد الله، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].  
وأقم الصّلاة.

\*\*\*





## وقفة مع الهجرة النبوية

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمون:

وقفنا في الجمعة الماضية مع نهاية العام الهجري، وقفنا وقفه الاعتبار مع انسلاخ عام واستقبال عام جديد، واليوم في أول جمعة من هذا العام الهجري الجديد نقف وقفة أخرى، نقف مع هذا الحدث الإنساني العظيم: حدث الهجرة، هجرة نبينا محمد ﷺ من مكة إلى المدينة، ذلك الحدث الذي ألهم الله ثاني الراشدين الفاروق عمر بن الخطاب ومن معه من الصحابة: أن يجعلوه بداية تاريخ الإسلام؛ لأنّه بداية تكوين المجتمع الإسلامي، مجتمع المؤمنين، مجتمع (الذين آمنوا)، كما ناداهم الله في كتابه في القرآن المدني (يا أيها الذين آمنوا).

### الهجرة ظاهرة طبيعية:

نقف مع هذا الحدث؛ حدث الهجرة إلى المدينة، والهجرة في حد ذاتها ظاهرة طبيعية: ظاهرة كونية، وظاهرة إنسانية، فالطيور تهاجر من مكان إلى مكان، والأسماك وثعابين البحر تهاجر وتقطع المسافات والمحيطات.

الحيوانات تهاجر طلبًا للمرعى أو العيش؛ إذا عزَّ عليها المرعى أو العيش في مكانها، والإنسان كذلك يهاجر من مكان إلى مكان، وقد عرف التاريخ من قديم وحديث هجرات الإنسان من وطن إلى وطن، ومن بلد إلى بلد، ومن قارة إلى قارة، عرف الهجرات الفردية، والهجرات الجماعية، وبلد مثل أمريكا هل قام إلا على المهاجرين!؟

### بواعث الهجرات:

الهجرات في التاريخ القريب والبعيد معروفة، ولكن تختلف الهجرات بعضها عن بعض، من حيث البواعث إليها، ومن حيث النتائج المترتبة عليها، هناك من يهاجر طلبًا للرزق، إذا ضاق عيشه في بلد طلب الرزق في بلد آخر، وهذا أمر مشروع، وكما قال الشاعر:

بلادُ اللهِ واسعةٌ فضاها ورزقُ اللهِ في الدنيا فسيحُ  
فقلُّ للقاعدينَ على هوانٍ إذا ضاقتْ بكمُ أرضٌ فسيحوا<sup>(١)</sup>

سيحوا في الأرض، التمسوا الرزق في خبايا الأرض هنا وهناك، ﴿فَامشُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]. وقد يهاجر الإنسان طلبًا لرزق محدود، وقد يهاجر طلبًا للثراء وللغنى، ولا حرج عليه في هذا. وقد يهاجر طلبًا للعزِّ إذا أذل في دياره، وإذا أخيف، وإذا أفزع، فهو يطلب الأمن والعزة إذا لم يجدها في بلده، وقد قال الشاعر أيضًا:

وإذا الديارُ تنكرتْ عن أهلِها فدعِ الديارَ وأسرعِ التحويلًا  
ليس المُقامُ عليك فرضًا واجبًا في بلدَةٍ تدعُ العزيزَ ذليلًا<sup>(٢)</sup>

(١) من شعر شداد بن إبراهيم الجزي، كما في معجم الأدباء للحموي (٣/١٤١٥)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) ذكره الخالديان من غير نسبة في حماستهما ص ٦٨، تحقيق د. محمد علي دقة، نشر وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٥م.

لا حرج أن يطلب الإنسان الأمن إذا كان يخاف في موطنه، وأن يطلب العز إذا كان يُذَل في مسقط رأسه، فهو يهاجر على كره منه؛ كما قال الشاعر:

بلادي - وإن جارت عليّ - عزيزةٌ وأهلي - وإن ضئوا عليّ - كرامٌ<sup>(١)</sup>!

ولكن طاقة الإنسان محدودة؛ فهو إذا ضاق صدره يبحث عن مكان آخر، وكل هذا لا حرج فيه، وهو أمر مشروع.

### الهجرة من أجل الدين:

ولكن أعظم الهجرات هي الهجرة في سبيل الدين، أن يهاجر الإنسان من أجل دينه، ومن أجل عقيدته، وهنا يوازن الإنسان بين الوطن الذي يحبه، وبين العقيدة التي يؤمن بها، فإذا كانت عقيدته أعلى من وطنه ومسقط رأسه ومنبت نفسه: ضحى بالوطن من أجل العقيدة، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ وأصحابه.

لم تكن مكة هيئة عليهم، لا، كانت عزيزة عليهم، حبيبة إليهم، أثيرة لديهم، عاشوا فيها ونشؤوا بها، وتعلقت بها قلوبهم وأنفسهم، وفيها إخوانهم وأهلهم وعشائهم، وفيها أرضهم وديارهم وأموالهم، ولكن حينما يكون الأمر أمر موازنة، وحينما توضع العقيدة في كفة والأهل والعشيرة والأوطان في كفة، فالمؤمن لا يرجح عنده شيء كما ترجح العقيدة، ولهذا قال الله تعالى في مفاصلة حاسمة: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ أوطان ترضونها وتحبونها، إن كان هذا كله

(١) ذكره بلفظ مقارب دون نسبة أبو الوليد ابن الأحمر في أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن ص-٢٢، تحقيق د. محمد رضوان الداية، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

من الأهل والأوطان والعشيرة والتجارة والأموال ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

انظروا إلى هذا الوعيد الذي يزلزل القلوب، والذي لم يفصح عنه كتاب الله: أي شيء هو؟ أي أمر سينزل بالناس؟ أي بلاء وأي عقاب؟ ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾.

### عقيدة الإيمان أغلى من حب الوطن:

الوطن غال، والوطن عزيز ولكن أعز من الوطن وأغلى من الوطن: عقيدة الإنسان وإيمانه بالله وَعَلَيْكُمْ، ولذلك أخرج الصحابة من ديارهم وأموالهم، وقد عبّر القرآن عن هذا بالإخراج، إنهم لم يخرجوا؛ ولكنهم أُخرجوا، ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨].

ويقول القرآن أيضاً: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ [الحج: ٤٠]، ما كان لهم ذنب، وما اقترفوا جريمة؛ إلا أنهم أعلنوا التوحيد، ورفضوا الربوبيات الزائفة، واستمسكوا بالربوبية الواحدة، قالوا: ربنا الله. ﴿ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ [الحج: ٤٠]. من أجل ذلك فقدوا الديار والأموال، وهان عليهم كل شيء في سبيل الله.

### الحنين إلى الأوطان:

إنَّ النبي ﷺ أُخرج من مكة بالرغم عنه، كان يحب مكة، فمكة هي المنشأ، وهي كذلك بلد الله الحرام، فيها البيت الحرام والمسجد الحرام، فيها الذكريات الإبراهيمية، فيها المشعر والمسعى، وفيها،

وفيهما، ولكنه ضحى بها من أجل عقيدته وقال مودعاً لها، وهو يغادرها في طريقه إلى المدينة، نظر إليها وهو يقول: «أما إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليّ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت»<sup>(١)</sup>، فلم يكن حينئذٍ عليه، وذكر أنه إذا ذكرت مكة وهو في المدينة اغرورقت عيناه، وذرفت الدموع، ذكر أصيل الهذلي مرة مكة، وأنشد بعض الشعر، فقال له: «ويها يا أصيل، دع القلوب تقرّ قرارها»<sup>(٢)</sup>، لا تُذكر الناس بالحنين إلى أوطانها! ولكن من أجل العقيدة تهون الأوطان، وتهون الأموال، وتهون الأولاد، وتهون التجارات، ويهون كل شيء في سبيل الله.

### الأحداث تتفاوت منزلتها بأمرين:

أعظم الهجرات هي الهجرات الدينية، الهجرة من أجل الدين، ولكن الهجرة من أجل الدين أيضاً تتفاوت، هناك كثيرون هاجروا من أجل دينهم، ولكن هجرتهم ليست مثل هجرة رسول الله ﷺ؛ فالأحداث تتفاوت منزلتها بأمرين:

**الأمر الأول: بالدوافع والبواعث،** التي بعثت على هذا الحدث، لماذا فعل الإنسان هذا الأمر؟ والحدث الواحد يختلف حسب بواعثه، إنسان يُقتل في الصف فيعد من الشهداء، وآخر في نفس المعركة يُقتل ولكنه من أهل النار؛ كما قال رسول الله ﷺ، بل رب إنسان يكون في

(١) رواه الترمذي في المناقب (٣٩٢٦)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن حبان في الحج (٣٧٠٩)، وقال الأرنؤوط: صحيح. والحاكم في المناسك (٤٨٦/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

(٢) رواه أبو الفتح الأزدى في المخزون في علم الحديث عن بُدَيْح بن سبرة السلمي ص ٤٦، نشر الدار العلمية، دلهي، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

بيته يُكتب من الشهداء، وقتيل بين الصفين الله أعلم بنيته، هكذا جاء في الحديث<sup>(١)</sup>.

ومن هنا قد يهاجر اثنان أحدهما يكتب من المهاجرين في سبيل الله، والآخر مطرود من هذا السجل، لماذا؟ لأن نية هذا غير نية ذلك، بواعثهما مختلفة، وفي هذا قال رسول الله ﷺ حديثه المشهور، الذي قال العلماء: إنه قال هذا الحديث لأن هناك من الناس من سافر وهاجر لا لله، لا لينصر الله ورسوله، ولكن من أجل مغنم دنيوي: من أجل تجارة يريد أن يربحها، أو من أجل امرأة يريد أن يتزوجها، كان يعشق امرأة فهاجرت، هاجرت أم قيس فهاجر وراء أم قيس<sup>(٢)</sup>، وقال: ما قيمة العيش بعدها. فكان الصحابة يسمون هذا الرجل فيما بينهم: مهاجر أم قيس!

وفي هذا جاء هذا الحديث الذي أعلنه رسول الله ﷺ على منبره، وكان من سنته ومن طريقته التربوية أنه لا يجابه أحدًا مجابهة تجرحه، ولكن ينبه تنبيهًا عامًا، يعرف كل إنسان من هو المقصود؛ دون جرح للمشاعر، أو إيذاء للأشخاص، ولهذا أعلن على المنبر هذا الحديث الذي بدأ به البخاري جامعته الصحيح، وبدأ كثير من المحدثين به كتبهم وهو قوله ﷺ: «إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه»<sup>(٣)</sup>.

- (١) إشارة لحديث: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله». متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨١٠)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤)، عن أبي موسى الأشعري.
- (٢) رواه الطبراني (١٠٣/٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٨٠): رجاله رجال الصحيح.
- (٣) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١/١): إسناده صحيح على شرط الشيخين. عن ابن مسعود.

كل إنسان ونيته، إما هجرة إلى الله ورسوله، وإما هجرة إلى الدنيا أو النساء، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، أي يحصل ثوابها وينال أجرها ويكتب في أهلها. ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه.

### ستر العمل الدنيوي برداء الدين:

لا حرج أن يهاجر الإنسان من أجل دنيا يصيبها، ومن أجل تجارة يُرَوِّجها، ومن أجل امرأة يتزوجها، هذا مشروع، ولكن الحرج والإثم أن يغلف هذا بغلاف ديني، وأن يُلبس هذا ثوب العبادة، وأن يجعل هذا جهادًا في سبيل الله.

أعلن عن نيتك من أول الأمر، ولا تُزور على الله ولا على الناس، هذا هو الخطر! الهجرة من أجل التجارة أو من أجل الزواج مشروعة، ولكن لا تجعل ذلك جهادًا في سبيل الله، ولا تدخل في صفوف المهاجرين - وهم الذين باعوا أوطانهم وأموالهم لله - هذا شيء وذاك شيء!

الأحداث والوقائع تتفاوت بحسب نياتها وبواعثها، فالبواعث أمر خطير، به تقوّم الأعمال بعضها من بعض، والنية هي الفيصل عند الله تبارك وتعالى، رُبَّ عمل ضخم في صورته ولكنّه عند الله لا يساوي جناح بعوضة، جبل من الأعمال لا قيمة له؛ لأنّه فقد النية، فقد الإخلاص! ورُبَّ عمل صغير فيه نية خالصة لله **وَعَلَّكَ** فهو مقبول عند الله.

### أول من تسعر بهم النار:

أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة، كذبوا على الله وزوّروا على الناس: قارئ وعالم يدعي أنّه يعلم الناس ويفقههم ويدعوهم لله؛

وهو كذاب دجال، إنَّما يريد الشهرة عند الناس أو المحمَّدة، أو الجاه أو المال، وإنَّسان متصدق يبذل ماله هنا وهناك لا ليرضى الله عنه؛ ولا يبتغي وجه الله، وإنَّما يبتغي حمد الناس؛ بأن يُقال: فلان كريم، فلان جواد، فلان سخي بذال، وثالث يحمل السيف ويخوض المعركة ويُقتل، ولكنَّه لم يفعل ذلك لتكون كلمة الله هي العليا، وإنَّما فعل ذلك ليقولوا: فلان شجاع، وفلان فدائي، وفلان جريء! هؤلاء كما جاء في الحديث الصحيح أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

### إخلاص العمل لله:

أفرد نيِّتَكَ لله، أخلص نيِّتَكَ لله، اجعل أعمالَكَ لله، فتش عن دخيلة نفسك، إذا عملت عملاً ماذا تقصد به؟ كن صريحاً مع نفسك، اجعل حياتَكَ كلها لله، واجعل قولَكَ وعملك، وحركتَكَ وسكونَكَ، ومحياكَ ومماتَكَ لله رب العالمين كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

حاول أن تكون لله، فقد اشترى الله منك نفسك ومالك، فلا تبع نفسك لغير الله، أنت ملك لله، وهو قد اشترى وأعطاكَ الثمن، وأغلى في الثمن جنة عرضها السماوات والأرض، لا ترض أن تكون لغير الله، لا تُعبِّد نفسك إلا لله وحده، ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، لا تكن للشرق ولا للغرب، لا تكن لفلان ولا لعلان، لا تكن للمال ولا للجاه، لا تكن عبداً للكاس ولا للطاس، لا تكن عبداً إلا لله وحده، وهذه العبودية هي عين الحرية، بل هي عين السيادة، إذا كنت لله عبداً فقد أصبحت في الكون

(١) رواه مسلم الإمارة (١٩٠٥)، وأحمد (٨٢٧٧)، والترمذي في الزهد (٢٣٨٢)، عن أبي هريرة.

سيداً، عبد الله سيد في مخلوقات الله، هكذا ينبغي أن يكون المؤمن، فالأعمال تتفاوت، والوقائع تتفاوت بحسب النيّات والبواعث.

### النتائج المترتبة على الأعمال:

والأمر الآخر الذي تتفاوت به الأعمال والأحداث: النتائج المترتبة على هذه الأعمال والأحداث، تتفاوت الأعمال والأحداث بحسب النتائج المترتبة عليها، كم أناس هاجروا ولكن لم يترتب على هجرتهم ما ترتب على هجرة محمد ﷺ.

الأنبياء أنفسهم هاجروا، سيدنا موسى ﷺ هاجر من مصر إلى مدين، ثم من مدين إلى مصر مرة أخرى؛ حين عاد بأهله وآنس من جانب الطور ناراً، ونزل عليه الوحي، ثم هاجر مرة أخرى من مصر إلى صحراء سيناء بقومه، وذكر القرآن أن سيدنا إبراهيم ﷺ هاجر، ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الصافات: ٩٩]، وأن لوطاً ﷺ آمن له، ﴿فَأَمَّنَ لَهُ، لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

### الهجرة المحمدية وإقامة المجتمع المسلم:

وكثير من الأنبياء هاجروا، وهجرات الأنبياء معروفة ولا يتسع الوقت لذكرها، ولكن أعظم هجرة لنبي من الأنبياء ولرسول من الرسل: كانت هجرة محمد ﷺ، إنَّها كانت تحولاً في مجرى التاريخ، إنَّه أقام بها مجتمع الإسلام، أقام الأمة الإسلامية، أقام الدولة الإسلامية، الدولة التي لم تكتحل عين الدنيا برؤية مثلها، أقام المجتمع الرباني، المجتمع الأخلاقي، المجتمع الإنساني، المجتمع العالمي، المجتمع المتكافل المتعاون المتآخي، الذي ضم في رحابه الأبيض والأسود، والعربي

والعجمي، والفقير والغني، والمتعلم والأمي، مختلف الأجناس،  
ومختلف الألوان، ومختلف الطبقات.

ضم المسجد النبوي هؤلاء جميعًا في رحابه الفسّاح، ضم أبا بكر  
وعمر، ضم سلمان الفارسي، ضم بلالًا الحبشي، ضم صهيبًا الرومي،  
حقق المساواة بين الناس في الأرض، وأزال الفوارق التي مزقت الناس  
وجعلت بعضهم آلهة على بعض، وبعضهم عبيدًا لبعض، جاء الإسلام  
وأقام هذا المجتمع: مجتمع الإخاء والعدل، والمساواة في الكرامة  
والإنسانية، أقام هذا المجتمع الذي لم تعرف الدنيا له نظيرًا إلى اليوم.

### الهجرة المحمدية وإقامة الدولة المسلمة:

كانت الهجرة نقطة التحول بإقامة هذا المجتمع، وإقامة هذه الدولة  
التي بناها رسول الله ﷺ، وظل يتعهدا بالرعاية والعناية عشر سنوات  
- هي سنوات ما بعد الهجرة - كانت سنوات ما قبل الهجرة الثلاثة عشر  
تربية للجيل الأول، الذي يقوم عليه فيما بعد بناء هذه الدولة، وكانت  
السنوات العشر في المدينة تكوينًا لهذا المجتمع ولهذه الدولة.

ربّي النبي ﷺ أصحابه ليربي بهم بعد ذلك العالم كله، ربّي أعظم  
جيل من المهاجرين والأنصار - ومن دخل في الإسلام بعد ذلك - ليربي  
هؤلاء الناس جميعًا، ويحملوا رسالة الله إلى الكون كله: إلى المشرق  
والمغرب، والشمال والجنوب.

### الاقتباس من روح الهجرة:

هذه هي هجرة محمد ﷺ، إنها أعظم هجرة في تاريخ البشرية،  
لا تدانيها هجرة نبي من الأنبياء، ولا رسول من الرسل، فماذا علينا نحن

اليوم؟ علينا نحن أن نحفظ التراث الذي جاءتنا به هذه الهجرة، وأن نعيد دولة الإسلام التي أقامتها هذه الهجرة، وأن نقيم مجتمع الإسلام، ومجتمع الإيمان، ومجتمع العدل والإحسان الذي أقامه الرسول ﷺ بعد هذه الهجرة.

علينا أن نقتبس من الهجرة روحها، وروح الهجرة هو البذل والتضحية من أجل الإسلام، وأن يكون الإسلام أعز علينا من أنفسنا، ومن أوطاننا، ومن أبنائنا، ومن أهلينا، ومن عشائرننا، ومن أموال وتجارة نخشى كسادها، ومن مساكن نرضاها، ومن كل شيء.

### أين المسلمون اليوم؟

هذه هي روح الهجرة، أن يكون دينك أعز عليك من أي شيء، وأن تضحي بكل شيء في سبيل الله، فبماذا ضحينا نحن من أجل ديننا؟!

اليهود ضحوا من أجل دينهم وأقاموا دولة لهم، واغتصبوا المسجد الأقصى، واغتصبوا أرض النبوات: الأرض التي بارك الله فيها للعالمين.

والنصارى يعملون من أجل دينهم على اختلاف طوائفهم حتى بين المسلمين، يريدون أن يُنصِّروا المسلمين في عقر دارهم، وحمولات التنصير وأخبار المنصِّرين في الشرق والغرب تأتينا كل يوم بما يفجع القلب، ويقطع نياط الفؤاد.

والشيوعيون يعملون من أجل الشيوعية هنا وهناك، يعملون على نشرها باللسان والقلم، وبوسائل الإعلام، وبالسيف والسنان، وبالقتال بالدبابات والطائرات والصواريخ؛ كما رأينا في أرض الإسلام في أفغانستان.

حتى الوثنية وُجد لها من يدافعون عنها ويعملون لها، والعلمانية لها رجالها وأنصارها ودعاتها، فأين رجال الإسلام؟ أين جنود الإسلام؟ أين

الذين يقتدون بالمهاجرين والأنصار؟ هذه هي روح الهجرة، ليس الاحتفال بالهجرة أن نقول كلمات أو نسمع كلمات (نمصمص) بعدها الشفاه، ثم لا نعمل شيئاً! نريد عملاً، نريد عملاً منظماً مدروساً.

### يا أبناء الإسلام!

يا أبناء الإسلام، يا ألف مليون مسلم في العالم، أين أنتم؟ أين الرجال؟ أين الأغنياء؟ لماذا لا يبذلون كما يبذل الآخرون لدينهم؟ أين الحكام والمسؤولون؟ لماذا لا يقفون على ثغراتهم كما أمرهم الله؟ أين العلماء؟ لماذا لا يبينون ويبلغون؟ أين الشعوب المسلمة؟ لماذا لا يقف كل منهم في موقفه، وفي موقعه يؤدي ما عليه؟ يجب أن يتكاتف الجميع، المسؤولية ليست مسؤولية الحكام وحدهم، ولا العلماء وحدهم، ولا الأغنياء وحدهم، ولا طبقة خاصة من الناس، ولا شعب معين، إنها مسؤولية أمة الإسلام حيثما كانت، حيثما ارتفعت المآذن، حيثما وجدت: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، مسؤولية الجميع، «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»<sup>(١)</sup>.

أسأل الله أن يجمع الكلمة على الهدى، والقلوب على التقى، والعقول على الرشد، والنية على الجهاد في سبيل الله، والعزائم على عمل الخير وخير العمل.

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\*\*\*

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاستقراض (٢٤٠٩)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة:

## صيام عاشوراء:

مضت أيام من هذا الشهر الكريم شهر المحرم، من هذا العام الهجري الجديد، أحد الأشهر الحُرْم التي لها مكانة في دين الله، ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقد قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان: شهر الله المحرم»<sup>(١)</sup>، وخصوصًا صيام عاشوراء، وقد صح عن رسول الله ﷺ أن صيام عاشوراء يكفر ذنوب سنة ماضية.

وقد دلت الأحاديث الأخرى أنّ المقصود بالذنوب هنا هي صغائر الذنوب، وما أكثر ما نتعرض لها: ذنوب العين، وذنوب الأذن، وذنوب اللسان، وذنوب اليد، ذنوب الجوارح، وذنوب القلوب، ما أكثر ما نحتاج إلى تطهير وتكفير لهذه الذنوب، لهذا أتاح الله لنا الفرصة بعد الفرصة لأنواع من الطاعات، نتقرب بها إلى الله؛ فتزداد حسناتنا، وتكفر سيئاتنا، فمن لم يكن له سيئات كُتبت له حسنات، ورفعت له درجات، ومن منا يزعم ألا سيئات له؟!!

مَنْ ذَا الَّذِي مَاسَاءً قَطُّ وَمَنْ لَهَ الْحُسْنَى فِقْطٌ<sup>(٢)</sup>؟!!

(١) رواه مسلم في الصيام (١١٦٣)، وأحمد (٨٥٣٤)، عن أبي هريرة.

(٢) البيت من مقامات الحريري ص ٢٣٠، نشر مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣م.

وكل بني آدم خطاؤون، من هنا كان صيام عاشوراء مطلوبًا، حتى إنّه كان واجبًا في أول الإسلام قبل فرض رمضان، ولما فُرض رمضان استُغني عن عاشوراء به، ولكن ظل أمرًا مسنونًا، وحينما هاجر رسول الله ﷺ كان اليهود يصومون هذا اليوم، وقالوا: إنّه يوم نجّى الله فيه موسى وقومه. فقال رسول الله ﷺ: «نحن أولى بموسى منكم»<sup>(١)</sup>. وصامه وأمر بصيامه؛ لأن الإسلام يعتد بجميع الأنبياء، ويعتبر ما حدث للأنبياء من ذكريات طيبة هي ذكريات للإسلام أيضًا، «نحن أولى بموسى منكم».

ولكنّه لكي يتميز عن اليهود كان بعد ذلك يجب أن يخالفهم فقال: «لئن عشتُ إلى قابل؛ لأصومنّ التاسع»<sup>(٢)</sup> أي مضافًا إلى العاشر، ولكن الله لم يمهلّه؛ فمات قبل أن يصوم، فشرع هذا بقوله ولم يشرعه بعمله، «لئن عشتُ إلى قابل - إلى السنة القادمة - لأصومنّ التاسع» أن يصوم عاشوراء وتاسوعاء. أي: اليوم التاسع، واليوم العاشر من المحرم. وأحسن من هذا وذاك أن يصوم ثلاثة أيام: التاسع، والعاشر، والحادي عشر من المحرم، فنحن أحوج ما نكون إلى تطهير أنفسنا، وتكفير سيئاتنا، عسى الله تبارك وتعالى أن يتقبل منا ويغفر لنا؛ إنّه غفور رحيم.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٤٣)، ومسلم في الصيام (١١٣٠)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الصيام (١١٣٤)، وأحمد (١٩٧١)، عن ابن عباس.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا،  
وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.  
اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة أعدائه هي السفلى،  
اللهم أهل هذا العام علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق  
لما تحب وترضى، واجعله عام خير ورشد وبركة على الإسلام  
والمسلمين، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى  
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا  
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا  
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك  
ونبيك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان،  
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ  
أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

\* \* \*



## تربية النبي ﷺ لأصحابه (١)

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

#### خير أجيال البشرية:

لا نزال في ظلال هجرة الرسول ﷺ، وحلول العام الهجري الجديد، ولذلك يحسن بنا أن نتحدث عن صاحب الهجرة ﷺ، وإذا تحدثنا عن صاحب الهجرة فنحن نتحدث اليوم عن تربيته لأصحابه، عن تلاميذ هذا النبي الكريم، وهذا الرسول العظيم، كيف أحسن تربية هذا الجيل، الذي لم تكتحل عين الدنيا برؤية مثله، إيماناً وعلماً وعملاً وخُلُقاً وزهداً وإيثاراً.

نتحدث عن الجيل القرآني، الجيل الربّاني، الجيل المحمدي، جيل الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم، ولا سيّما أنا وجدنا من الناس من يسيء إلى أصحاب رسول الله ﷺ، ويتهمهم بكلّ نقيصة، وهم الذين أثنى الله عليهم في كتابه، وأثنى عليهم رسوله، وأثنت عليهم الأمة، وأثنى عليهم التاريخ، ولم نرَ لنبيٍّ من الأنبياء، ولا لرسول من أولي

(١) أُلقيت بتاريخ ٢٦ يناير ٢٠٠٧م.

العزم من الرسل، أصحابًا مثل أصحاب مُحَمَّد ﷺ، رأينا أصحاب موسى ﷺ، وهو الذي كلمه الله تكليمًا، واصطفاه الله برسالاته وبكلامه، وجدناهم سرعان ما ينحرفون، ويرجعون إلى الوثنيّة، بمجرد أن غاب عنهم نبيهم أربعين ليلة يلقى فيها ربّه، ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، فأخرج لهم السامري عجلًا جسدًا، عجلًا من الذهب، وصنع فيه ما يجعل له صوتًا وخوارًا، وقال: هذا إلهكم. فسرعان ما عبده من دون الله، ولم يستطع شقيق موسى ابن أبيه وأمه هارون ﷺ أن يردّهم عن هذه الفتنة، وعاد موسى إلى قومه غضبان أسفًا، ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوعِدِي﴾ [طه: ٨٦].

هؤلاء أصحاب موسى.

وحينما خرج بهم من البحر، بعد أن أغرق الله عدوهم؛ فرعون وجنوده أمام أعينهم، فلق لهم البحر، ونجّاهم بقدرته، وأهلك عدوهم على مرأى ومسمع منهم، مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ \* إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَطُلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ \* وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨ - ١٤١].

قوم موسى هم الذين قال لهم موسى: ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢١ - ٢٦]، من الذي سترك وطنه وماله دون أن يخرجهم قوم آخرون، قوم موسى لا يريدون أي تضحية، حتى وصل الحال بنبي الله موسى أن قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، يقول موسى عن قومه: إنهم القوم الفاسقون، فافرق بيني وبينهم. ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

هؤلاء أصحاب موسى، أين هؤلاء من أصحاب مُحَمَّد ﷺ في يوم بدر، وهم قلة في العدد والعدة، ولم يكونوا مستعدين لأي معركة، ولكن كتب عليهم الدخول في المعركة، استشارهم النبي ﷺ في هذا الأمر، فقام عدد منهم وأحسنوا القول، حتى قال المقداد بن الأسود: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/١٧٣)، نشر دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: امض يا نبي الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما بقي منا رجل واحد<sup>(١)</sup>.

وازن بين أصحاب موسى وأصحاب محمد.

المسيح عيسى عليه السلام كان له اثنا عشر حوارياً، كل نصيبه اثنا عشر حوارياً، ومع هذا عندما وقع في المحنة، عندما قُدم ليُقتل ويُصلب - كما زعموا - خذله بعضهم، وخانه أحدهم.

### السابقون الأولون:

محمد صلى الله عليه وسلم ربّي الآلاف وعشرات الآلاف، في حجة الوداع، كان هناك عشرات الآلاف من أتباع مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، قيل: إنهم بلغوا مائة ألف.

ترك مُحَمَّد هؤلاء الأصحاب؛ ليتحمّلوا الأمانة من بعده، أمانة الدعوة إلى الله، أمانة نشر الإسلام، أمانة حماية الإسلام، لقد حملوا الراية في مكة، وحملوها في المدينة، حملوها في حياة رسول الله، وحملوها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، خصوصاً السابقين الأولين، المهاجرين، الذين صدّقوه وقد كذّبهم الناس، وآمنوا به وقد كفر به الناس، ووقفوا معه في ساعات العُسرة والشدة، هاجروا إلى الحبشة مرتين، من كثرة ما آذاهم المشركون، حتّى إنّ عثمان بن عفان وهو من هو في قريش هاجر بزوجه رقية بنت مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة، وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر على رأس مجموعة من المهاجرين المسلمين إلى ملك الحبشة.

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣/٣١)، تحقيق عبد المعطي قلجعي، نشر دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. وصحّحه الألباني في تخريج فقه السيرة ص ٢٢٣.

السابقون الأوّل من المهاجرين تحمّلوا الإيذاء، المستضعفون تحمّلوا من الإيذاء ما لا يُطاق، ياسر أبو عمار وسمية أم عمار قُتلا تحت التعذيب والعذاب، ومَرَّ عليهم النَّبي ﷺ وهم يعذبون فقال: «صبرًا آل ياسر؛ فإنّ موعدكم الجنة»<sup>(١)</sup>.

وعمّار من شدّة ما عُدب اضطر إلى أن يقول كلمة الكفر مكرهًا، فجاء إلى النَّبي ﷺ معترفًا، فنزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]<sup>(٢)</sup>.

هذه رخصة يستطيع الإنسان أن ينجو بها من العذاب، إذا نفذت طاقته، ونفذ احتمالته، أن يقول كلمة الكفر بلسانه، ولكن قلبه مطمئن بالإيمان.

### شعب أبي طالب:

لقي الصحابة ما لقوا، حُوصِر النَّبي ﷺ وأصحابه وقومه من بني هاشم وبني المطلب، مسلمهم وكافرهم، حُوصِرُوا في شعب بني طالب ثلاث سنين، مقاطعة اقتصادية واجتماعية، لا يبيع لهم أحد، ولا يشتري منهم أحد، لا يزوّجهم أحد ولا يتزوج منهم أحد، حتّى أكلوا أوراق الشجر، لم يكن عندهم من الخبز أو الشعير ولا أي شيء ممّا يؤكّل ما يمسون به رمقهم، أو يطفئون به حرقهم، أكلوا أوراق الشجر حتّى جُرحت أشداقهم، ودميت أفواههم.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٠٨)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣٨٣/٣)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥٩٢): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة. عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه الحاكم في التفسير (٣٥٧/٢)، وصحّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والبيهقي في المرتد (٢٠٨/٨). وقال ابن حجر في فتح الباري (٣١٢/١٢): مرسل، ورجاله ثقات.

هكذا عاش المسلمون في مكة، يُؤذون من المشركين، ويأتون إلى النبي ﷺ ما بين مشجوج ومجروح ومكسور، ويقولون له: يا رسول الله، ائذن لنا أن ندافع عن أنفسنا، نقاتل دفاعًا عن كياننا وكرامتنا، فيقول لهم ﷺ: «لم يؤذن لي بعد، كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة»<sup>(١)</sup>.

### الهجرة إلى المدينة:

حتى كانت الهجرة إلى المدينة المنورة، فأذن له ﷺ أن يهاجر، فرتب أمور الهجرة، وباع الأوس والخزرج من أبناء يثرب، بايعهم بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية، ووثق بأنهم قد دخلوا في الإسلام دخولاً حقيقياً، وأنهم صمموا على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وذريتهم وأهليهم، وبدأ أصحابه يهاجرون إلى المدينة، وهاجر النبي ﷺ بعدهم، وعند خروجه مهاجراً من مكة نظر إليها وقال: «علمت أنك خير أرض لله، وأحب الأرض إلى الله ﷻ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت»<sup>(٢)</sup>.

ما كان يحب أن يفارق هذه البلدة، التي هي أحب البلاد إليه، وأحب البلاد إلى الله، بلد الكعبة، بلد المسجد الحرام والبيت الحرام، ولكنه أخرج منها، هو وأصحابه، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ \* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكِنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ يُدْرِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

(١) رواه النسائي في الجهاد (٣٠٨٦)، والحاكم في الجهاد (٦٦/٢)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١٨٧١٥)، وقال مخرجه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. والترمذي في المناقب (٣٩٢٥)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجه في المناسك (٣١٠٨)، عن عبد الله بن عدي بن الحمراء.

يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا وَيُنصُرَتِ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ \* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿الحج: ٣٩-٤١﴾، اضطر الصَّحابة - رضوان الله عليهم، واضطر رسولهم العظيم أن يهاجروا من موطنهم ومسقط رأسهم، ومجمع ألقابهم، وملتقى أحبابهم، لكن كان ذلك في سبيل الله.

إذا تعارض الوطن والدين، فإنَّ المؤمن مستعد أن يضحي بوطنه في سبيل دينه، الدين أغلى شيء على المؤمن، المؤمن مستعد أن يضحي بأهله وولده ونفسه وماله ووطنه وعشيرته من أجل دينه، من أجل عقيدته.

وهكذا كان المؤمنون ﷺ، ضحوا بمكة وهاجروا في سبيل الله، كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

الله تعالى يصف المهاجرين بأنهم هم الصادقون، ونجد في النَّاسِ من يقول على الصَّحابة: «أولئك هم الكاذبون»، «أولئك هم المنافقون»، يقولون عن المهاجرين، يقولون عن أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وأمثال هؤلاء - رضي الله عن جميع صحابة رسول الله ﷺ، يقولون: إنهم كاذبون مزيفون منافقون، والله تعالى يقول: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، لقد هاجروا من ديارهم.

وَأَذِنَ اللَّهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ لِرَسُولِهِ وَأَصْحَابِ رَسُولِهِ أَنْ يَجَاهِدُوا دِفَاعًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، نزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ \* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿١٠٦﴾

ما كان لهم ذنب إلا أن قالوا: ربنا الله، ليس ربنا الحجارة والأصنام، ولكن ربنا الله، الذي خلق كل شيء، ورزق كل حي، ودبر كل أمر، ربنا الله، أذن الله تعالى لهم أن يقاتلوا دفاعاً عن أنفسهم، ودفاعاً عن مقدّساتهم، وعن مقدّسات الأديان الأخرى، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

المسلمون عندما يدافعون لا يدافعون عن المساجد فقط، بل يدافعون عن الصوامع والبيع والصلوات التي هي لليهود والنصارى، حتى إن القرآن قدّم هذه المعابد على المساجد؛ ليؤذن بأن هذا الدين جاء ليحمي الأديان كلّها، ويحمي الحريات الدينيّة للبشر.

### الأنصار الذين آووا ونصروا:

هاجر النبيّ والمهاجرون من مكّة، واستقبلهم الأنصار، وآووهم في دورهم، وفي صدورهم، فتحوا لهم صدورهم، كما فتحوا لهم دورهم، حتى إنّ منهم من أثر أخاه على نفسه.

أخى النبيّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وكان ممّن آخى بينهما: عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع.

عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين، وسعد بن الربيع من الأنصار، وكلاهما من رجال المال، ولكن عبد الرحمن بن عوف ترك تجارته وماله وعقاراته وأملاكه في مكّة، وخرج مهاجراً ليبدأ من الصفر.

أخى النبيّ ﷺ بين عبد الرحمن وسعد، فقال سعد لعبد الرحمن: إنّي أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أيّ زوجتيّ هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت، تزوّجتها.

انظروا إلى هذا الإيثار العظيم.

ماذا كان موقف عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه؟

قابل هذا الإيثار الكريم بتعفف نبيل، قال لأخيه سعد: «بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق».

لا يريد أن يعتمد على مال أخيه ولا دار أخيه، يبدأ من الصفر، دلوني على السوق، ودلوه على السوق، سوق بني قينقاع، كان يملكها اليهود، هم الذين كانوا يتصرفون في هذه الأمور، حتى بنى الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين سوقاً خاصة، وبدأ يتاجر حتى جاء وعليه وضر من صفرة<sup>(١)</sup>، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «مهيم؟»

قال: يا رسول الله، تزوجت امرأة من الأنصار.

قال: «ما سقت إليها؟»

قال: نواة من ذهب، أو: وزن نواة من ذهب.

قال: «أولم ولو بشاة»<sup>(٢)</sup>.

اعمل وليمة من أجل هذا الزواج.

هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المهاجرون الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم، بل أخرجوا من ديارهم كما قال القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

(١) أي: أثر طيب له لون، وذلك من فعل العروس إذا دخل على زوجته.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٥٣)، ومسلم (١٤٢٧)، كلاهما في النكاح، عن أنس بن مالك.

ومدح الله إخوانهم الأنصار أيضًا: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، يقدمون إخوانهم على أنفسهم، يجودون بالشيء وهم محتاجون إليه.

هكذا كان موقف الأنصار من المهاجرين، عادة حينما يأتي أناس من الخارج إلى مكان، فإن أهل المكان يتضايقون ويقولون: ما جاء بهؤلاء؟ هؤلاء جاؤوا يزاحموننا في أرزاقنا.

أما الأنصار الذين استقرت حقيقة الإيمان في قلوبهم كان موقفهم غير ذلك، فكما حكى القرآن عنهم، ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

### اصطفاهم الله لصحبة نبيه:

هؤلاء هم أصحاب مُحَمَّد ﷺ، وكما قال عنهم ابن مسعود رضي عنه: من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب مُحَمَّد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم<sup>(١)</sup>.

هل يختار الله لصحبة نبيه ﷺ الأشرار، هل يختار له المنافقين؟ لا والله، كان قليل منهم منافقون، ولكن لم يستطيعوا أن يؤثروا في المجتمع المسلم، في المهاجرين والأنصار.

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٨١٠)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

كان أصحاب النبي ﷺ أعوانه على دعوته، لم يتأخروا يوماً عن الفداء والتضحية، بذلوا الأنفس والأموال في سبيل الله تعالى، زهدوا في الدنيا ورفضوها من أجل الآخرة.  
هؤلاء هم الصَّحابة - رضوان الله عليهم.

كان الرسول ﷺ يتابعهم بنفسه، هم تربوا في حجر النبوة، القرآن يعالج مشكلاتهم، ويجيب على تساؤلاتهم، وكان جبريل رواحاً غداً بآيات الوحي الإلهي؛ لتجيب عن كل سؤال يسألونه، وتكشف عن أي شيء يثيره المنافقون؛ ليهتك سترهم، ويكشف سرهم، ويقف بجوار المؤمنين.

هؤلاء تربوا في حجر النبوة، وفي رحاب القرآن العظيم، كيف يُتَّهم هؤلاء؟ من يتهم هؤلاء فإنما يتهم معلمهم العظيم ﷺ، بأنه لم يحسن تربيتهم!

لقد أحسن تربيتهم، وأخرج للدنيا أعظم جيل عرفه البشر، ما رأت الدنيا جيلاً مثل هذا الجيل، في صفاء نفسه، في طهارة قلبه، في نقاء سريرته، في إيمانه بالغيب، في يقينه بالآخرة، في زهده في الدنيا، في مكارم أخلاقه، في حرصه على الدعوة إلى الله، ما رأت الدنيا مثل هذا الجيل الرباني المحمدي، أصحاب رسول الله ﷺ.

### كفاح الصَّحابة:

لقد رمتهم العرب عن قوس واحدة بعد الهجرة، فاضطروا أن يجاهدوا ويدافعوا عن أنفسهم ودينهم في جبهات متعددة، الجبهة الوثنية التي تصرُّ على الشرك وعلى عبادة الأحجار، وتقاتل عنها، لا لشيء إلا لأن آباءهم كانوا يعبدونها من قبل.

الجبهة اليهودية التي عاهدها النبي ﷺ منذ هاجر إلى المدينة، عقد بينه وبينهم اتفاقية، على أن يعيشوا في المدينة لهم دينهم وللنبي ﷺ دينه، ويتكافلون في أوقات الشدة، وفي أوقات الحروب، ويناصر بعضهم بعضاً. هكذا كتب النبي ﷺ في وثيقة المدينة، والتي تُعدُّ دستوراً بمفهوم عصرنا هذا، صحيفة أشبه بالدستور، تنظم العلاقات بين المهاجرين والأنصار، وبينهما وبين هؤلاء اليهود.

ولكن اليهود سرعان ما غلب عليهم طبعهم الموروث، ونقضوا العهد، ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦]، نقضوا عهد النبي ﷺ وأصحابه، حتى إنهم انضموا لمهاجمي المدينة، انضموا إلى الأحزاب: قريش وغطفان ومن وراءهما ومن معهما في غزوة الخندق؛ ليستأصلوا الإسلام، ولا يبقوا له ولأهله باقية، هجموا على المسلمين في عقر دارهم، أرادوا أن يبيدوهم، أن يصفوهم تصفية جسدية.

كان على اليهود - بحكم الاتفاقية - أن يقفوا مع المسلمين، أن يمدوهم بالسلاح والمال والرجال، ولكنهم قالوا: إنَّها فرصة؛ لتخلص من مُحمَّد وأصحابه، وهذا الجيش العرمرم الكبير، عشرة آلاف أو أكثر يهاجمون المدينة، وهم فرسان ومعهم السلاح، ومعهم ومعهم، وانضموا إليهم؛ ليكونوا من الخارج ونحن من الداخل، ونقضني على مُحمَّد فلا تبقى له باقية.

هكذا اضطر المسلمون أن يحاربوا الجبهة الوثنية، ويحاربوا الجبهة اليهودية، ويحاربوا الجبهات المتربصة، جبهة قيصر والروم، الدولة البيزنطية النصرانية.

وهكذا عاشوا حياتهم في المدينة في جهاد مستمر، في كفاح دائم، غزوا سبعا وعشرين غزوة، غزاها رسول الله ﷺ وأصحابه، حضرها بنفسه، وأكثر من خمس وخمسين سرية، بعث فيها أصحابه ولم يحضر فيها بنفسه، ولم يبق بيت في المدينة للمهاجرين أو الأنصار، إلا قدم شهيدا أو شهيدين أو ثلاثة أو أربعة من الشهداء من أجل الإسلام.

هكذا عاشوا حتى إنهم قالوا يوماً: يا رسول الله، إننا نبیت في السلاح، خوفاً من أن يهاجمهم الأعداء في أي وقت.

مرّت عليهم فترة كانوا يبيتون في السلاح، فعن أبي بن كعب: لمّا قدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، وأوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوسٍ واحدة، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبیت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله؟

فنزلت: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] (١).

الاستخلاف والتمكين في الأرض، وتبديل الخوف أمناً، وعود حَقَّقها الله تعالى لهم، وكان وعد ربي حقاً، ولا يُخلف الله الميعاد.

### حُبُّ الصَّحَابَةِ رَسُولَ اللَّهِ:

هؤلاء الصَّحَابَةُ العظام كانوا يحبُّون رسول الله ﷺ، ويفدون به بالغالي والرخيص، وبالنفس والنَّفيس.

(١) رواه الحاكم في التفسير (٤٠١/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي. والضياء في المختارة (١١٤٥).

قُدّم زيد بن الدثنة في مكة ليقتل، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا زيد،  
أتحب أن مُحَمِّدًا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه، وأنك في أهلِكَ؟  
قال: والله ما أحبُّ أنَّ مُحَمَّدًا الآن في مكانه الَّذي هو فيه تصيبه  
شوكة تؤذيه، وأنا جالس في أهلي.

قال أبو سفيان: ما رأيت من النَّاس أحدًا يحبُّ أحدًا كحبِّ أصحاب  
مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا<sup>(١)</sup>.

كانوا يحبونه.

في غزوة بدر كان النَّبِيُّ ﷺ يُعَدِّلُ صفوف أصحابه، وفي يده قِدْح  
(سهم ليس له نصل) يعدل به القوم، فمرَّ بِسَوَادِ بْنِ غَزِيَّةَ، حليف بني  
عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ وهو مستنتل (مُتَقَدِّم) من الصفِّ، فطعن في بطنه  
بالقِدْح، وقال: «استوي يا سَوَاد».

فقال: يا رسولَ الله، أوجعتني وقد بعثك الله بالحقِّ والعدل، فأقذني.  
فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: «استقد».

قال: فاعتنقه فقبَّل بطنه.

فقال: «ما حملك على هذا يا سَوَاد؟».

قال: يا رسولَ الله، حضر ما ترى، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن  
يمس جلدي جلدك<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٩٩٩)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، نشر دار الوطن،  
الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٢) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٥٥٠).

### حملهم الأمانة بعد رسول الله:

عاشوا حياتهم يعملون للإسلام، يقدّمون أرواحهم وأموالهم في سبيل الله، في حياة رسول الله، وبعد موته، عاشوا لأجل هذا الدين.

حينما ارتدّ من ارتدّ من قبائل العرب ومن البوادي، وحينما منعوا الزّكاة، وحينما اتبعوا الكذّبة الذين ادعوا الثّبوة، ك: مسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي وغيرهم، وقالوا: كذّاب ربيعة أحبّ إلينا من صادق مضر.

حينما فعلوا ذلك، أبى صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، إلا أن يدافعوا عن هذا الدين.

في أوّل الأمر تردّد منهم من تردّد، لولا وقوف هذا الرجل العظيم أبي بكر الصديق، الذي يسبّه من يسبّه، لولا وقوف أبي بكر الذي قال: والله لأقاتلن من فرّق بين الصّلاة والزّكاة؛ فإنّ الزّكاة حقّ المال، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه<sup>(١)</sup>.

وقال في أهل الرّدّة: أقاتلهم وحدي حتّى تنفرد سالفتي.

وثبت رضي الله عنه، وثبت الصّحابة معه، وقاتلوا هؤلاء المتنبئين الكذابين ومن معهم، ونصرهم الله تعالى عليهم.

هكذا كان أصحاب النبي ﷺ.

ونشروا الإسلام في الآفاق، بعد أن انتصروا على المرتدين، ذهبوا يقاتلون كسرى وقيصر، وهزم الله كسرى، وهزم قيصر، هؤلاء البداة الذين خرجوا من جزيرة العرب.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

جزيرة العرب التي لم تكن تملك فلسفة اليونان، ولا قانون الرومان، ولا مدنيّة الفرس، ولا حكمة الهند، ولا صنعة الصين، هذه التي تعيش على الطبيعة، وتعيش على البداوة، استطاعت أن تهزم أعتى إمبراطوريتين في الأرض، إمبراطوريّة الفُرس المجوس عبّاد النَّار، وأن تُدخلهم في الإسلام، وأن تجعل منهم قادة في سبيل الله، وأن تجعل منهم العلماء والأئمة، من أبناء الفرس، البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وأبو حنيفة وغير هؤلاء من أبناء الفرس حملوا الإسلام.

هزم الصّحابة إمبراطوريّة الفرس، وهزموا إمبراطوريّة الروم، ودخلوا بلاد الشام ودخلوا فلسطين ودخلوا مصر ودخلوا شمال إفريقيا، إلى أن ذهبوا إلى المحيط الأطلسي، ووقف عقبة بن نافع يقول: أيّها البحر، لو علمت أنّ وراءك أرضًا فيها أناس من البشر لخضتكَ غازيًا في سبيل الله<sup>(١)</sup>.  
كان يظنُّ أنّه وصل إلى نهاية العالم.

هؤلاء الصّحابة العظام، حملوا الإسلام بعد رسول الله ﷺ.

### عبد الله بن حذافة بين يدي ملك الروم:

أذكر قصة واحد منهم، قصة عبد الله بن حذافة السهمي، وجّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشًا إلى الروم، وفيهم عبد الله بن حذافة، فأسره الروم، فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد.

فقال له الطاغية: هل لك أن تتنصّر وأشركك في ملكي وسلطاني؟

فقال له عبد الله: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين مُحَمَّد ﷺ طرفة عين ما فعلت.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢٠٦/٣)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

قال: إذن أقتلك.

قال: «أنت وذاك».

قال: فأمر به فُصِّل، وقال للرماة: ارموه قريباً من يديه، قريباً من رجله، وهو يعرض عليه، وهو يأبى، ثمَّ أمر به فأُنزل، ثمَّ دعا بقدر وصب فيها ماء حتى احترقت، ثمَّ دعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما فألقى فيها، وهو يعرض عليه النَّصرانيَّة وهو يأبى، ثمَّ أمر به أن يُلقى فيها، فلما ذُهب به بكى، فقيل له: إنَّه بكى، فظن أنه رجع، فقال: ردوه، فعرض عليه النَّصرانيَّة، فأبى، قال: فما أبكاك؟

قال: أبكاني أنني قلت: هي نفس واحدة تُلقى هذه الساعة في هذا القدر فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد كلِّ شعرة في جسدي نفس تُلقى هذا في الله وَجَلَّ.

قال له الطاغية: هل لك أن تقبِّل رأسي وأخلي عنك؟

قال عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين؟

قال: وعن جميع أسارى المسلمين.

قال عبد الله: فقلت في نفسي: عدو من أعداء الله أقبِّل رأسه ويخلي عني وعن أسارى المسلمين، لا أبالي.

قال: فدنا منه وقبِّل رأسه.

فدفع إليه الأسارى، فقدم بهم على عمر، فأخبر عمر بخبره، فقال: حقٌّ على كلِّ مسلم أن يقبِّل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ. فقام عمر فقبِّل رأسه<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٥٢٢)، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، نشر مكتبة =



## سب الصحابة:

هؤلاء أصحاب مُحَمَّد ﷺ، الَّذِينَ يَشْتَمُهُم الشَّاتِمُونَ، وَيَسُبُّهُمْ السَّابُّونَ، هَؤُلَاءِ هُمَ الَّذِينَ حَفِظُوا لَنَا الْقُرْآنَ وَنَقَلُوهُ لَنَا، هَؤُلَاءِ هُمَ الَّذِينَ نَقَلُوا لَنَا سُنَنَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَحَادِيثَهُ، سُنَنَهُ الْقَوْلِيَّةَ وَالْفِعْلِيَّةَ وَالتَّقْرِيرِيَّةَ، وَسِيرَتَهُ وَحَيَاتِهِ مُفَصَّلَةً.

هؤلاء هم الَّذِينَ فَتَحُوا الْفُتُوحَ، وَنَشَرُوا الْإِسْلَامَ فِي الْآفَاقِ، هَؤُلَاءِ هُمَ تَلَامِيذُ الْمَدْرَسَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، تَرَبَّوْا فِي حِجْرِ النُّبُوَّةِ. وَالْمَنْطِقُ يَقُولُ: إِنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى النُّبُوَّةِ وَإِلَى نُورِ النُّبُوَّةِ، هُمَ أَكْثَرُ النَّاسِ تَأَثُّرًا بِهَا، وَتَتَلُمُّذًا عَلَيْهَا، وَاسْتِفَادَةً مِنْهَا.

هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، تَحَدَّثَ عَنْهُمْ الْكُتُبُ، أَقْرَأُوا الْكُتُبَ الْمُؤَلَّفَةَ فِي الصَّحَابَةِ - وَمِنْهَا كِتَابُ «حَيَاةِ الصَّحَابَةِ» لِلْعَالِمِ الْهِنْدِيِّ الْكَنْدَهْلَوِيِّ - وَمَا فِيهَا مِنْ مَآثِرٍ وَمَنَاقِبٍ، لَمْ تَرِ الدُّنْيَا مِثْلَهَا، وَلَا قَرِيبًا مِنْهَا - وَاللَّهُ - أَبَدًا.

هؤلاء هم الَّذِينَ أَثْنَى عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ، فِي آيَاتِ شَتَّى، حَيْثُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، حَتَّى الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، مِنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ، كَيْفَ نَسَبُهُ وَنَشْتَمُهُ؟

= الرشيد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بومباي بالهند، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م. وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٨/٢٧)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

ويُسب العشرة المبشرون بالجنة! وأزواج النبي ﷺ! الله تعالى يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، الله هو الذي قال هذا، أزواجه أمهاتهم، وفي مقدمة هؤلاء الأزواج عائشة وحفصة رضي الله عنهما.

أزواج النبي ﷺ نزل فيهن قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

هذه الآية نزلت في أزواج النبي ﷺ في سورة الأحزاب ﴿يُنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، ﴿يُنِسَاءَ النَّبِيِّ﴾ النداء لمن؟

ثم يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، ثم يقول تعالى: ﴿وَأذْكُرَكُنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وكان عكرمة مولى ابن عباس المفسر الجليل ينادي في السوق: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة<sup>(١)</sup>، وكان يقول: من شاء باهله أنها نزلت في شأن نساء النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

القرآن يقول هذا عن الصحابة في سورة الأنفال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا﴾، هذه الآية في المهاجرين والأنصار، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

وفي سورة الفتح: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿[الفتح: ١٨، ١٩]، رضي الله عن المؤمنين الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة.

(١) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق (١٥٠/٦٩).

(٢) المصدر السابق نفسه.

وفي آخر السورة: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَبَّهُمْ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

ماذا نقول في هذه الآيات الناطقة، التي لا تحتل تأويلاً في أصحاب رسول الله ﷺ؟

وماذا نقول في أحاديث رسول الله ﷺ: « لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»<sup>(١)</sup>.

والأحاديث كثيرة في فضلهم بصفة عامة، ولأفراد منهم بصفة خاصة. هؤلاء هم أصحاب رسول الله ﷺ، شهد لهم القرآن العظيم، وشهد لهم الرسول العظيم، وشهد لهم التاريخ الحافل، وشهدت لهم الوقائع والفضائل التي رويت عنهم، هذه كلها تكذب من يمسهم بسوء.

نحن نفخر بهؤلاء الصحابة - رضوان الله عليهم - ونعتز بهم، لقد وقفوا أمام الأباطرة والجبابة، يدعون إلى الله ﷻ، وقف ربي بن عامر أمام رستم، قائد قوات الفرس، وهو من هو في هيله وهيلمانه وسُلطانه، ولكنه دخل عليه بفرسه وترسه، يخرق في المفروشات ولا يبالي، فيقول له رستم ومن معه: ما جاء بكم؟

فقال: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، كلاهما في فضائل الصحابة، عن أبي سعيد الخدري.

فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله».

قالوا: وما موعود الله؟

قال: «الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي»<sup>(١)</sup>.

نظر أحد قادة الفرس إلى المسلمين وهم وقوف في صلاتهم صفوفاً خلف إمامهم، إذا كَبَّرَ كَبَّرُوا، وإذا قرأ أنصتوا، وإذا ركع ركعوا، وإذا سجد سجدوا، وإذا سلّم سلّموا، فقال: أكل كبدي عمر بن الخطاب، لقد علّم هؤلاء البدو مكارم الأخلاق<sup>(٢)</sup>.

وكذب الرجل، لم يعلمهم عمر رضي الله عنه، إنّ الذي علّمهم وعلم عمر قبلهم، إنّما هو الإسلام، إنّما هو مُحَمَّد صلّى الله عليه وآله.

هؤلاء هم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، نسأل الله سبحانه أن يحشرنا في زميرتهم، وأن يجعلنا من أتباعهم، ومن السائرين على منهاجهم، والتابعين لهم بإحسان، كما قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\*\*\*

(١) سبق تخريجه ص ١٩.

(٢) تاريخ الطبري (٥٣٢/٣).

## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

### الصراع الطائفي في العراق:

انعقد خلال هذا الأسبوع المنصرم مؤتمر إسلامي كبير؛ للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة، أو بين الفرق الإسلاميّة، خصوصاً بين السُنّة والشّيعة، حضر هذا المؤتمر أكثر من مائتي شخصيّة من أنحاء العالم، وكان لي كلمة في بداية المؤتمر، وكلمة في ختام المؤتمر، وقلت في الافتتاح: إننا لن نستطيع أن نواجه مشكلاتنا حقيقة، إلّا إذا تكاشفنا وتصارحنا، إذا جئنا للمجاملة وقلنا كلمات يجمال بها بعضنا بعضاً، ثمّ انصرفنا، فستبقى الأمور على ما هي عليه.

المسلمون الآن في وضع خطير، خصوصاً هذا الوضع الطائفي أو المذهبي بين السُنّة والشّيعة، ولا سيّما ما يجري في العراق من أمور تقشعر منها الأبدان، وتشيب لهولها الولدان، ما يجري في العراق من مذابح على الهوية، من كان اسمه عمر يقتل في الحال، من كان اسمه عثمان يقتل في الحال، فرق الموت ومليشيات الموت، ومعها ما معها من أسلحة وعتاد، هذا ما يجري في العراق، تهجير النّاس من مواطنهم، من البصرة، الآن يجري تفرّغ بغداد من أهل السُنّة، هذا ما نرفضه.

نحن رفضنا كلّ عمل تقوم به فئة من الفئات ضد غيرها، كما كان يفعل الزرقاوي، برئنا من سفك الدماء بغير حقّ، ولو كان من يفعلونه ممّن ينسبون إلى أهل السُنّة، ونحن كذلك نبرأ من كلّ دم يُسفك على

أيدي الشيعة، هذا ما يجب أن يستقرَّ عند الجميع، ويتفق عليه الجميع، سُنِّيُّون وشيْعِيُّون، دينيُّون وسياسيُّون.

لا يجوز أن يُسكت على دم يُسْفك، لا يقبل هذا الإسلام، ولا يقبل هذا الخلق، ولا يقبل هذا العقل، ولا يقبل هذا العرف، ولا يقبل هذا القانون.

نحن ننادي إخواننا في العراق، وننادي إخواننا في إيران - أيضًا؛ لأن بيدهم المفاتيح المحرّكة في هذه القضية، أنا أقول هذا، وأنا في هذه القضايا أصارح ولا أجامل، وأكاشف ولا أنافق، قد يغضب مِنِّي الكثيرون، وهناك من غضب مِنِّي وقال: إنّه يثير الفتنة.

أنا لا أثير الفتنة، ولكنني أنصح الأمة، أكشف الحقائق، ولكنني أنا النذير العريان، أنذر قومي بما أخاف أن يحدث، فيأكل الحرث والنَّسل، ويهلك الزرع والضرع.

يجب أن تتنبه الأمة للخطر، لقد أرسلنا وفدًا من إخواننا إلى إيران، ممثلًا للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ليلتقي بالرؤوس المسؤولة ويتفاهم معهم، على ما يجب عمله لإنقاذ الموقف، وبذلك نقيم الحجّة، هذا ما ينبغي.

أنا أدعو الإخوة في العراق، أدعو رجال الدين، وأدعو رجال السياسة، وأدعو رجال الفكر، وأدعو رجال السّلاح، وأدعو رجال القلم، أدعو الجميع إلى أن يتقوا الله في هذه الأمة، كفى ما مضى من نزيف، أوقفوا هذا المجازر التي لا تنتهي.

وآن لي أن أدعو الإخوة الأكراد في العراق أن يقوموا بواجبهم، أن يقوموا بدورهم، ويؤدوا ما عليهم، الوقوف على الحياد أبد الدهر

لا يقبل، وقفوا على الحياد مُدداً طويلة، ولكن الآن يجري في العراق أشياء قد تنتهي بأمور لا يُحمد عقباه، قد تثير العالم الإسلامي كله، وينقسم العالم الإسلامي بعضه على بعض.

أدعو إخواننا الأكراد، أدعو جلال الطالباني ومسعود البرزاني وزعماء الأكراد الإسلاميين والوطنيين، أدعوهم أن يقوموا بواجبهم، أولاً في الوساطة بين الفريقين، وهم قوّة لها نفوذها، بيدهم رئاسة الجمهورية، وبيدهم وزارة الخارجية، بيدهم قوّة لها قدرها ولها وزنها، أن يقوموا بالوساطة، الله تعالى يقول: ﴿وَإِن طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]، والأكراد هم المطلوب منهم أن يقوموا بهذا الموقف، فإذا رُفضت وساطتهم، فعليهم أن يقاتلوا الفئة التي تبغي.

وأظن أن أهل السنة لن يرفضوا الوساطة، فهم المظلومون، هم المعتدى عليهم، هم الذين يُهَجَّرُونَ من ديارهم، هم الذين تُغتصب مساجدهم، هم الذين يُخطفون من بيوتهم، هم الذين تُقطع رؤوسهم وتلقى في الطرقات والخرائب، هم الذين يعذبون أشد العذاب قبل أن يُقتلوا، هم الذين يقع عليهم ما يقع من هذه المآسي، إذا رفض الإخوة الشيعة، فالمطلوب من الأكراد أن ينصروا المظلوم، انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، انصر المظلوم، أغث الملهوف، ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٧٥].

المظلوم يجب أن يعان، الإسلام يفرض إعانة المظلوم ولو كان من غير المسلمين، إذا استنجد بالمسلمين عليهم أن ينجدوه، إذا استنصر بهم عليهم أن ينصروه، هذا ما يفرضه الدين على أصحابه.

لا يجوز - أيها الإخوة - أن نسكت على ما يحدث في العراق؛ لأن ما يجري في العراق سينعكس علينا بعد ذلك، سينعكس على الأمة كلّها، سيكون أثره بالغ السوء علينا إذا لم نتدارك الأمر، وقد حدث ما حدث، وسكت الساكتون وصمت الصامتون، وهو صمت الشياطين الخرس.

لا ينبغي أن نستمرّ سكوتًا بعد هذا كلّ، يجب أن نقول كلمتنا.

أدعو حكام المسلمين أن يقولوا كلمتهم، حينما كنت في إندونيسيا دعوت الرئيس الإندونيسي أن يقوم بدوره، أن تقوم الحكومة الإندونيسية بدورها في الوساطة، قلت له: إن إندونيسيا أكبر دولة إسلامية، وليس بينها وبين أي بلد إسلامي مشاكل، تستطيع أن تقوم بدور، وأن تتحدث مع الدولة الإيرانية، وتخاطبهم في هذا الأمر، كلُّ حاكم مسلم عليه أن يقوم بدوره في حماية السنة، الذين يكادون أن يُقضى عليهم، الذين يكادون يبادون، هذه فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع الذي نعيشه.

يجب على كلِّ منّا أن يقوم بدوره في هذا الأمر، ولا يترك الأمر ويقول: ما لي؟

لا، النَّار حينما تندلع لن تتركك، من رأى النَّار بجواره ولم يطفئها،



ستأتي إليه وتأكله، وتأكل داره وتأكل أهله وتأكله هو، يجب إطفاء النَّار، هذا هو واجب الأمة في هذه الفترة العصيبة، التي نسأل الله تبارك وتعالى أن يخرجها منها، وأن يكتب لها منها السلامة والعافية، وألا يهلكنا بما فعل السفهاء منا، وأن يرفع مقته وغضبه عنا.

\* \* \*





## ذكرى ميلاد رسول الله

### الخطبة الأولى

أمَّا بعد، أيُّها الإخوة المسلمون:

#### الفساد في المجتمع الجاهلي:

في مثل هذه الأيام من شهر ربيع الأول منذ أربعة عشر قرناً وحوالي نصف القرن أشرق على الدنيا نور أعظم مولود وُلِد، نور مُحَمَّد ﷺ.

هذا المولود الذي لم تُرفع الأعلام لولادته، ولم تُطلق من أجله المدافع، فلم يكن ابن ملك من الملوك، ولا إمبراطور من الأباطرة، ولا أمير من الأمراء، كان مولوداً شاء الله أن يموت أبوه وهو في بطن أمه، ولد من بيت شريف رفيع النَّسب، ولكن لم يكن له المال، ولم يكن له المُلْك.

#### فإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا:

وُلِد مُحَمَّد ﷺ، أعظم الخلق، أعدّه الله لرسالة عظمى ومهمة كبرى، فصنعه الله تعالى على عينه، وأدّبه فأحسن تأديبه، وعلمه فأحسن تعليمه، وتولّى تربيته بنفسه، مات الأب وهو جنين، وماتت الأم وهو ابن

السادسة، ومات الجد الذي رعاه بعد ذلك وهو ابن الثامنة، كل ذلك ليكون في حضانة العناية الإلهية، ليتولى الله ﷻ شأنه، ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

كان مُحَمَّدٌ ﷺ بأعين الله ﷻ، يرعاه ويتولاه، ولذلك نشأ نشأة غير ما ينشأ عليه الصبيان والفتيان.

نشأ مُحَمَّدٌ ﷺ في بيئة كلها ضلال من ناحية العقيدة، وكلها فساد من ناحية السلوك، وكلها انحراف من ناحية الأخلاق، الجاهلية أفسدت الناس كل الناس، أفسدت في الإنسان عقله، وأفسدت في الإنسان قلبه، وهل الإنسان إلا عقل وقلب، ماذا يبقى من الإنسان إذا فسد عقله وفسد قلبه وفسدت عاطفته؟

### ضلال البشرية قبل رسول الله:

أمّا فساد العقل، فقد أصبح الإنسان يعبد أحجاراً، ينحتها بيده ثم يسجد لها، ويتضرع إليها، ويبتهل إليها، ويلتمس منها الرزق والبركة والنصر والشفاء، ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا نَحْنُونَ \* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٥، ٩٦]، يقول أبو رجاء العطاردي: كُنَّا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه، وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة<sup>(١)</sup> من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثم طفنا به<sup>(٢)</sup>.

إلى هذا الحد أصبح الناس يتخذون الآلهة، كانوا يتخذون آلهة من العجوة، فإذا جاعوا يوماً استداروا إليها فأكلوها، وهو ما أشار إليه القرآن

(١) أي: كومة منه.

(٢) رواه البخاري في المغازي (٤٣٧٦).

حين قال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]، إذا حام الذباب حول هذا الإله وأكل منه، هل يمكن أن يسترجع ما أكله الذباب؟

﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ \* مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ [الحج: ٧٣، ٧٤].

### جناية الجاهلية على العاطفة الأبوية:

عبد النَّاس الأَحْجَارَ، وعبدوا آلهة شَتَّى، وضلوا عن الله وَعَجَلًا، وفسدت الفِطْرَ، ولعب بهم الشيطان، ضلوا في عقيدتهم ففسدت عقولهم، وفسدت قلوبهم وعواطفهم، تحجَّرت الأفتدة، فسدت العواطف الفطرية التي هي أرقى العواطف الإنسانية وأنبهها، فجنت على عاطفة الأبوة، أفقدت الأب حنَّه على أولاده ورحمته بهم، ماذا فعلت الجاهلية بعاطفة الأبوة؟

قتل الآباء أولادهم من إملاق، أو خشية إملاق، من فقر واقع، أو خشية فقر متوقع، انظروا كيف يقتل الإنسان ولده وفلذة كبده؟ كيف تطاوعه نفسه؟ كيف يطاوعه قلبه أن تمتد يده إلى ولده من صلبه، ابنًا أو بنتًا فيقضي عليه ويقتله؟

هذا ما فعلته الجاهلية، هذه هي البيئة التي نشأ فيها مُحَمَّدٌ ﷺ.

القتل جريمة كبرى، ولكن إذا كان هذا القتل لنفس زكية، لطفل بريء لم يقترب جرمًا يكون جريمة أشنع وأبشع.

فإذا كان هذا الطفل وَلَدَ الإنسانِ من صلبه، تكون الجريمة أشدَّ شناعة.

فإذا كان القتل مخافة أن يطعم معه كما جاء في الحديث الصحيح<sup>(١)</sup>، مخافة أن يزاحمه في رزقه ويضيّق عليه فيقتله تكون الجريمة أشدّ وأنكى.

فإذا كان هذا القتل من الأب نفسه، يتولّى بنفسه القتل، فماذا يكون الحال؟

وإذا كان القتل لا بضرب السيف ولكنّه بالوَأد، يئد ولده، يحفر حفرة ثمّ يضع ولده فيها حيّاً، يدفن ولده حيّاً ذكراً كان أو أنثى، ويردم عليه، أي إنسانيّة هذه؟ أين القلب البشري الذي يفعل هذا؟

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩].

في هذه البيئّة نشأ مُحَمَّدٌ ﷺ، بيئّة فسد فيها الإنسان، لم يعد إنساناً، ماذا يبقى من الإنسان إذا ضاع عقله فعبد الحجارة وعبد آلهة من العجوة ثمّ أكلها بعد؟! ماذا يبقى من الإنسان إذا فسد قلبه حتّى يقتل ابنته وأدّاً، يئدها حية؟!!

فسد الفرد، وفسد المجتمع، فسدت أخلاقه، حتّى الفضائل التي كانت عند العرب، الشجاعة، الكرم، النجدة، الحميّة، الجاهليّة أفسدت هذه الفضائل؛ لأنّها لم تربطها بأهداف عليا، وإنّما ربطتها بأهداف قبليّة دنيويّة ضيّقة.

(١) عن عبد الله قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: ... «وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٦١)، ومسلم في الإيمان (٨٦).

الشجاعة أصبحت في قتال بعضهم بعضاً، في حروب دائمة، ودماء سائلة، وثورات لا تنطفئ نارها، من أجل فرس أو ناقة سبقت ناقة، تدوم الحرب عشرات السنين.

النجدة والحمية أصبحت عصبية عمياء، كل إنسان يتعصب لقبيلته بالباطل أو بالحق، في العدل أو في الظلم، شعارهم: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، هكذا، أنت مع أخيك بالحق وبالباطل، في الخير وفي الشر. لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا<sup>(١)</sup> وقال آخر:

وأحياناً على بكرٍ أخينَا إذا لم نجد إلاَّ أخانا<sup>(٢)</sup> وهكذا قتلهم العصبية، انقلبت هذه الفضائل رذائل بفعل الجاهلية، انتشر الخمر، انتشر الزنى، انتشر البغاء، انتشر الربا، أكل القوي الضعيف، لم يكن للفقير ولا للمسكين ولا للرقيق مكان في هذا المجتمع.

### عناية الله برسوله:

في هذا المجتمع نشأ مُحَمَّد رسول الله ﷺ، ولكن الله حفظه، فلم يتلوث أبداً بأوحوال الجاهلية، ما عرف يوماً بسلوك سيئ، ما مال نحو الخنى ولا الزنى، ما ذهب إلى امرأة، ولا نظر نظرة فيها ريبة، ما شرب يوماً كأس خمر، ما سجد يوماً لصنم، ما عرف يوماً بسوء، ولو عرف عليه شيء من هذا لشنع عليه المشنعون من المشركين يوم قامت الحرب ضروساً بينه وبينهم، حرب كلامية وفكرية، وحرب عسكرية ودموية، لم

(١) من شعر قريط بن أنيف. كما في الحماسة لأبي تمام (٥٨/١)، تحقيق عبد الله بن عبد الرحيم العسيلان، نشر جامعة الإمام - المملكة العربية السعودية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٢) من شعر القطامي التغلبي. انظر: ديوان الحماسة لأبي تمام (٢٠٣/١).

يجدوا شيئاً في شخصه يتهمون به؛ فقد كان مثلاً رائعاً في الأخلاق والسلوك، على الرغم من أن كل شيء كان كلاً مباحاً، كل شيء كان جائزاً، من أراد الشهوات وجد ما يستطيع أن يكرع منه ويعب عباً، من أراد الخمر فحاناتها ميسرة، ومن أراد النساء فسوقهن نافقة.

ولكن محمداً ﷺ عاش لغير هذا، عاش طاهراً كماء الغمام، عاش مستقيماً كشعاع الضوء، عاش حياة كلها نبل وكفاح وجهاد، أراد الله له أن ينشأ فقيراً، لم يرث من أبيه ما يرث أبناء الأغنياء، ورث شويهاً من الغنم، وورث جارية حبشية هي «بركة» التي سميت «أم أيمن»، وكانت حاضنته، وكان ﷺ يقول عنها: «أم أيمن أمي بعد أمي»<sup>(١)</sup>.

لم يرث مالا، ولذلك اعتمد بعد الله تعالى على نفسه، يكسب رزقه بكفاحه وعمله، لا يتكل كما يتكل العاطلون بالوراثة على ما ورثوه، إنما يعتمد على كد اليمين وعرق الجبين.

### سنة الله في الأنبياء من قبله:

ذهب ﷺ يطلب الرزق هنا وهناك، رعى الغنم، أراد الله له هذه المهنة، رعاية الغنم ليتربى منها على الرأفة والرحمة حينما يرمى بعد ذلك الأمم.

رعى الغنم، «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم». فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم، كنت أرها على قراريط لأهل مكة»<sup>(٢)</sup>، لم تكن غنمه، بل كان يرها على قراريط لأهل مكة.

(١) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٥١/٨)، عن سليمان بن أبي شيخ؛ معضلاً.

(٢) رواه البخاري في الإجارة (٢٢٦٢)، عن أبي هريرة.

واشتغل بالتجارة، ذهب مع عمّه حيناً، وذهب في مال خديجة وفي مال غيرها مضارباً، يضرب في الأرض يبتغي من فضل الله، لو شاء الله لجعله غنياً من أول يوم، ولكن الله يريد للأنبياء أن يصهروا في بوتقة الآلام.

إنّ موسى عليه السلام منذ ولد وضع في اليم وألقي في البحر ورُبي في بيت عدوّه بعيداً عن أمّه وأهله.

ويوسف عليه السلام انتقل في سلسلة دامية من المحن والآلام، حسده إخوته، وكادوا له، وألقوه في الجبّ كما تُلقى الأحجار، وبيع كما تباع الشياه، وخدم في البيوت كما يخدم العبيد، وأتهم بالفاحشة كما يُتهم الفاسقون، وألقي في السجن كما يُلقى المجرمون، حلقات دامية، يريد الله بهذا أن يربي رسله؛ حتّى يستطيعوا أن يواجهوا من يدعونهم بدعوة الله، دعوة التوحيد.

شاء الله أن يربي محمداً عليه السلام هذه التربية، وأن ينشأ هذه النشأة الكادحة، بهذا يتولى الله تعالى رسله، تولى الله محمداً عليه السلام فحفظه في مجتمع الجاهليّة، حفظه فترة الصبا، وفترة الشباب كلّ، فما عرف عليه ريبة قط، بل كان يُسمى الأمين، كانت قريش تسميه الأمين، كان أميناً في كلّ شيء، أميناً على الأموال، أميناً على الأعراض، أميناً على الأسرار، أميناً على كلّ ما ياتمن الناس غيرهم عليه، كان أميناً ولا عجب؛ فإنّ الله سبحانه يهيئه لأمر عظيم، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

### زواج النبي من خديجة:

قضى النبي عليه السلام شبابه عفيفاً نظيفاً طاهراً مستقيماً مكافحاً، لما أراد الزواج تزوج من امرأة تكبره بخمسة عشر عاماً، كان يستطيع أن يتزوج

من أبقار قريش من يشاء، يكفيه نسبه، يكفيه فضله، يكفيه سمعته، يكفيه شبابه ووسامته ونُصرتَه، ولكنَّه ﷺ وجد في هذه المرأة - رغم كبر سنِّها - المرأة التي يريد، كانت هي الإنسان الذي يريده، كان يريد إنساناً، يريد أخلاقاً، فوجد الإنسانيَّة والأخلاق في خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

وصدقت فراسته ﷺ في خديجة رضي الله عنها؛ فكانت نعم العون ونعم السند، وقفت معه في أشد الأوقات أزمة وحرَجًا، وفي أوَّل يوم جاءه الوحي وهو مضطرب من أمر لا عهد له به، ولم يكن يتوقعه ولا يرجوه، فإذا هي تربت عليه وتقول: أبشر؛ فوالله لا يخزيك الله أبدًا، فوالله إنَّك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق<sup>(١)</sup>. ثمَّ أخذته إلى ابن عمها ورقة بن نوفل فزاده طمأنينة وسكينة.

وكانت معه حياته كلَّها على هذه الوتيرة، حتَّى إنَّ النبي ﷺ سُمِّي العام الَّذي مات فيه خديجة عام الحزن.

هذا هو رسول الله ﷺ.

### سيرة جامعة شاملة:

ما أحوجنا إلى أن نرجع إلى سيرته، سيرته في صباه وفي شبابه، سيرته في كهولته وشيخوخته، سيرته في كلِّ ناحية من نواحي حياته، ومن فضل الله علينا - نحن المسلمين - أن جعل سيرة مُحَمَّد ﷺ سيرة جامعة شاملة، لا يوجد نبي له مثل هذا الشمول في سيرته؛ لأنَّ الأنبياء قبل مُحَمَّد ﷺ كانت رسالتهم محدودة من حيث المكان، محدودة من

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٥٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

حيث الزمان، كلُّ رسول بُعث إلى قومه، وُبعث لفترة محدودة، ثم تأتي رسالة أخرى تنسخ رسالته، ولكن محمداً ﷺ بُعث للعالمين؛ ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وهذه الآيات كلها في القرآن المكي، على عكس افتراء الكاذبين من المُبشِّرين والمستشرقين، أعلن عالمية الدعوة من أوَّل يوم، فهي رسالة عالمية من حيث المكان، وهي رسالة خالدة من حيث الزمان، رسالة الأبد، رسالة النَّاس إلى أن تقوم الساعة، ليس بعد مُحَمَّد ﷺ رسول، ختم الله به النَّبِيِّينَ، ليس بعد القرآن كتاب، ليس بعد الإسلام شريعة. هذه هي كلمات الله الأخيرة للبشر، تنزلت في كتاب الله، وبَيَّنَّهَا سُنَّة رسول الله ﷺ.

من أجل ذلك جعل الله في سيرته كِفَاءً لرسالته، كما أنَّ رسالته تمتاز بالعموم والشمول كذلك سيرته.

إذا نظرنا إلى الأنبياء قبل رسول الله ﷺ لا نستطيع أن نقفدي بالواحد منهم إلا في ناحية مُعَيَّنة أو ناحيتين.

إذا أردت أن تقتدي بسليمان ﷺ - مثلاً - تستطيع أن تقتدي به إذا كنت غنياً، أو إذا كنت حاكماً؛ لأنَّ الله قد آتاه من الملك ما لم يؤت أحداً من بعده، فيستطيع الحاكم أو الملك أن يقتدي بسليمان ﷺ.

ولكن المحكوم لا يستطيع أن يقتدي به، الفقير لا يستطيع أن يقتدي به، هذا لو وجدنا في سيرة سليمان من التفاصيل ما يسعفنا.



## سيرة محفوظة مروية:

الحقيقة أنه لا توجد سيرة لنبى حفظت ورويت وبلغت كما في سيرة مُحَمَّد ﷺ، سيرة محفوظة مروية مبلّغة، كلُّ شيء بُلِّغ، ليس في سيرة مُحَمَّد ﷺ دائرة حمراء لا تمس ولا تبليغ.

لا، حتّى الخصوصيات رويت وبلغت، عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تقول: كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد، تختلف أيدينا فيه<sup>(١)</sup>.

وتقول: كان النبي ﷺ يباشرني وأنا حائض<sup>(٢)</sup>.

وقالت: كان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم، ويباشر وهو صائم، ولكنّه كان أملك لإربه<sup>(٣)</sup>.

يعني: حتّى الخصوصيات بُلِّغَتْ؛ لأن في هذا تشريعاً للأمة، فليس هناك شيء يقال عنه: هذا لا يروى.

لا، الصّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مأمورون بالتبليغ، وأمّهات المؤمنين أزواج النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ مأمورات بالتبليغ، وهنّ تسع لو نسيّت واحدة حفظت الأخرى.

فكلُّ حياة مُحَمَّد ﷺ مروية، محفوظة، منقولة للناس، هديه في أكله وشربه، في ضحكه وبكائه، في يقظته ونومه، في سفره وحضره، في سلمه وحره، في لبسه وزينته، كلُّ حياته مروية ومكتوبة، هذه السيرة سيرة جامعة شاملة، وهي محفوظة.

أي نبي له مثل هذه السيرة لو حفظت؟

وما يحفظ منها فهو في ناحية من النواحي ليس أكثر.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الغسل (٢٦١)، ومسلم في الحيض (٣٢١).

(٢) رواه البخاري في الاعتكاف (٢٠٣٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٢٧)، ومسلم (١١٠٦)، كلاهما في الصيام.

## النبي زوجًا:

إذا أردت أن تقتدي بالمسيح ابن مريم عيسى عليه السلام، لا تجد موضع الاثتساء والاقترداء به إلا في ناحية محدودة، لا يستطيع الزوج أن يجد في سيرة المسيح مكانًا للاقتداء؛ لأنه لم يتزوج، ولكن محمدًا صلى الله عليه وسلم تزوج، تزوج الثيب، وتزوج البكر، تزوج من هي أكبر منه، وتزوج من هي أصغر منه، تزوج العربيّة، وتزوج غير العربيّة، الإسرائيلىّة، تزوج واحدة في بعض الأوقات، وعاش معها معظم عمره، وتزوج أكثر من واحدة، يستطيع من تزوج الصغيرة أن يعرف من حياته وسيرته كيف يعامل الصغيرة، وكيف يعامل الكبيرة، ويستطيع أن يعرف كيف يعامل الزوجة الواحدة، وكيف يعامل عدّة زوجات.

ففي حياته صلى الله عليه وسلم ممّا لا يوجد في حياة نبي آخر.

## النبي أبًا:

لا تستطيع أن تجد في سيرة المسيح مكانًا للاقتداء في معاملة الأبناء، الأب لا يجد مكانًا في سيرة المسيح ليقتدي به؛ لأنه لم يتزوج، ومن ثمّ فلم ينجب، فلا مكان لاقتداء الأب به، كذلك الجد، لكن محمدًا صلى الله عليه وسلم أب وجد، نجد في سيرته كيف يعامل الأب أولاده، الأبناء أو البنات، وكيف يفعل إذا مات أحد أبنائه، ربنا أراد أن يموت أولاده في حياته لنعرف ماذا يفعل الأب، إذا مات له ابن أو مات له بنت، يوم مات ولده إبراهيم قال - صلوات ربي وسلامه عليه: «إنّ العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمخزّونون»<sup>(١)</sup>، ومات حفيد له فرق له ودمعت عيناه، فقل له: تنهانا يا رسول الله، عن البكاء وتبكي؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٠٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٥)، عن أنس.

قال: «هذه رحمةٌ جعلها الله في قلوب عباده، وإنَّما يرحم الله من عباده الرحماء»<sup>(١)</sup>.

### النَّبِيُّ جَدًّا:

وركب الحسن أو الحسين ظهره وهو ساجد، وأطال السجود حتَّى ظنَّ الصَّحابة الظنون، تُرى هل أغمي عليه ﷺ، ترى وافاه الأجل؟ ماذا حدث؟

فلما فرغ من الصَّلَاة قال النَّاس: يا رسولَ الله، إنَّك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتَّى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك، قال: «كلُّ ذلك لم يَكُنْ، ولكنَّ ابني ارتحلني فكرهت أن أُعجله حتَّى يقضي حاجته»<sup>(٢)</sup>، ابني ارتحلني، أي: ركب على ظهري، فكرهتُ أن أُعجله، أي: لم أشأ أن أقطع عليه لذَّة ركوبه، الحسن أو الحسين مستمتع بالركوب فوق ظهر جدِّه مُحَمَّدٍ ﷺ، فتركه رسول الله حتَّى شبع ونزل بنفسه من فوق ظهر جدِّه رسولِ الله ﷺ، أي إنسان هذا؟!!

لو أردتَ أن تقتدي بالمسيح وأنت أبٌ أو جدٌ لا تستطيع.

### النَّبِيُّ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى:

لو أردتَ أن تقتدي بالمسيح وأنت غنيٌّ صاحب مال، ماذا تفعل في ثروتك؟ لا تستطيع؛ لأنَّ المسيح لم يملك مالاً، ولكنَّ مُحَمَّدًا ﷺ جرب الحالين، حال الفقر وحال الغنى، افتقر وجاع حتَّى شدَّ الحجر على بطنه من الجوع، وعرض عليه جبريل لو شاء بطحاء مكَّة ذهباً بكن فيكون،

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣)، كلاهما في الجنائز، عن أسامة بن زيد.

(٢) رواه أحمد (١٦٠٣٣)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في التطبيق (١١٤١)، والحاكم في معرفة الصحابة (١٦٥/٣)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. عن شداد بن الهاد.

ولكنه ﷺ أحب أن يجوع يوماً فيصبر ويتضرع إليه، وأن يشبع يوماً فيشكره ويشني عليه، فيبقى بين الصبر والشكر، افتقر وجاع، وجاءته الأموال وجاءته الغنائم، فم يبق شيئاً، ما كان يدخر شيئاً أكثر من ثلاثة أيام، أراد أن يموت وليس عنده شيء من هذه الدنيا، افتقر واغتنى.

### النبي في السلم والحرب:

لو أراد الإنسان أن يقتدي بالمسيح في السلم أو في الحرب لا يجد من سيرته ما يقتدي به؛ لأنَّ المسيح كان بعيداً عن مسائل السلم والحرب، والحلف والمعاهدة، ولكن محمداً ﷺ سالم وحارب، وحالف وعاهد، وترك لنا تراثاً عظيماً في هذا كله، فيه قدوة وهدى، حارب وانتصر، وحدث له انهزام لمن معه في بعض الأحيان؛ ليكون لنا قدوة، عفا في بعض الأحيان، ولم يعف في بعض الأحيان؛ لترك لنا - أيضاً - مثلاً للأسوة؛ عفا عن قريش، ولم يعف عن بني قريظة؛ لأنَّ الموقف هنا غير الموقف هناك.

وهكذا كانت سيرته ﷺ سيرة جامعة شاملة، كلُّ إنسان يجد فيها موضعاً للعتة والعبرة، فهل وعيناها نحن المسلمين؟

### وجوب العناية بسيرة رسول الله:

هل درسنا هذه السيرة، قال إسماعيل بن مُحمَّد بن سعد بن أبي وقاص: كان أبي يُعلِّمنا المغازي والسرايا، ويقول: يا بني، هذه مآثر آبائكم فلا تُضيِّعوا ذكْرَها<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٥٩٠)، تحقيق محمود الطحان، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

قال زين العابدين عليّ بن الحسين بن علي: كنا نَعَلَمُ مغازي رسول الله ﷺ كما نَعَلَمُ السورة من القرآن<sup>(١)</sup>؛ لأنَّ لبَّ السيرة الغزوات والبطولات، يُعَلِّمُونَهَا أبناءهم كما يُعَلِّمُونَهُم «الفاتحة» و«قل هو الله أحد». يجب أن نَعَلِّمَهُم ونحكي لهم سيرة النَّبِيِّ ﷺ، ما أحوجنا إلى أن نعرف هذه السيرة! لا لِمُجَرَّدِ المتعة الذهنيَّة، ولكن لنعرف عظمة نبينا فنزداد إيماناً به، ونزداد حباً له، ثمَّ لنجعلها موضع الاقتداء والاتباع، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

إن كثيراً من المسلمين حينما يجيء شهر ربيع يحتفلون بمولد النَّبِيِّ ﷺ، وكيف يحتفلون؟

يقيمون الزينات، ويرفعون الرايات، ويوزعون الحلوى، ويقرؤون قصصاً في المولد النبوي معظمها لا أساس له من الصَّحة، أشياء لا تؤدِّي إلى اتِّباع ولا إلى اقتداء، ما قيمة الأشياء التي يحكونها في قصص الموالد من خلق آدم إلى ميلاد النَّبِيِّ ﷺ؟

ويتحدَّثون عن آمنة وأنها حملت به، وأنها في الشهر الأوَّل جاءها آدم، وفي الشهر الثاني جاءها نوح، وفي الشهر الثالث جاءها شيث، أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها في الشرع برهان، ولا قيمة لها في الاقتداء والاتباع.

### وجوب العناية بالجانب الأخلاقي:

الله تعالى حينما مدح رسوله قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، لماذا لا ندرس هذا الخلق العظيم؛ حتَّى يكون لنا حظُّ منه، وقد كان خُلُقه القرآن، كان قرآناً حيّاً يمشي بين الناس؟

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١٥٩١).

ما أحوجنا إلى أن نتعرّف إلى سيرة رسول الله ﷺ، ونعيش فيها؛ حتى تمتلئ قلوبنا حبًّا لهذا النبي العظيم، فيؤدي هذا الحبُّ إلى الاتّباع وإلى العمل!

ما أحوجنا إلى عمل! فقد كثّر الكلام وقلّ العمل، ما أحوجنا - نحن المسلمين - في هذه الأزمنة التي غلبنا فيها وغزينا في عقر دارنا، وتغلّب علينا من لا يدفع عن نفسه، وتجراً علينا الجبان، وعزّ علينا الذليل، حتى اليهود أحرص الناس على حياة تعزّوا علينا وتغلّبوا علينا، ما أحوجنا إلى نذكر سيرة رسول الله ﷺ، سيرة المجاهد العظيم! لنضعها نصب أعيننا؛ حتى نتخذ منها نبراساً للهداية.

ما أحوجنا - نحن المسلمين - إلى أن نخرج من حيّز الكلام إلى حيّز العمل، ومن حيّز الدعوى إلى حيّز الاتّباع الحقيقي! عسى الله ﷻ أن يجعلنا من الذين رضي عنهم ورضوا عنه، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

ورد أنّ في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلاّ استجاب له<sup>(١)</sup>، ولعلّها تكون هذه الساعة.

اللهمّ إنّنا نسألك العافية في الدُّنيا والآخرة، اللهمّ إنّنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلينا وأموالنا.

اللهمّ استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، اللهمّ احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

اللهمّ اجعلْ يومنا خيرًا من أمسينا، واجعلْ غدنا خيرًا من يومنا، وأحسنْ عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجزنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.

اللهمّ اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقى، وأنفسهم على المحبّة فيك، ونيّاتهم على الجهاد في سبيلك، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهمّ انصُرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهمّ إنّنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهمّ ردّ عنّا كيدهم، اللهمّ ردّ عنّا كيدهم، وفلّ حدّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحدٍ من عبادك المؤمنين.

(١) سبق تخريجه ص ٩٧.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهم أيد إخواننا العاملين بالإسلام والعاملين للإسلام في كل مكان يا رب العالمين.

اللهم هب لنا من أمرنا رشداً، اللهم لا تكنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهم كن لنا ولياً ونصيراً، وانصر إخواننا المجاهدين والمضطهدين في كل مكان، اللهم انصر إخواننا المجاهدين والمضطهدين في لبنان، وفي فلسطين، وفي أفغانستان، وفي الفلبين، وفي إريتريا، وفي كل مكان من أرضك يا رب العالمين.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ابْتِغَاءَ الْوَجْهِ وَالصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

\*\*\*

## وقفات مع سيرة الرسول

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

**كيف نحتفل برسول الله ﷺ:**

كُنَّا تَحَدَّثْنَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَيْفَ نَحْتَفِلُ بِهِ، وَكَيْفَ نَعِيشُ مَعَهُ، فَالاحتفال برسول الله وبذكرياته: أن تعيش معه، أن يكون في ضميرك، وفي حياتك مثلاً حياً حاضراً، تتَّخِذُه أُسْوَةً، وَتَتَّخِذُ مِنْ سُنَّتِهِ نَبْرَاسًا يَهْدِي، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

**الرسول قدوتنا:**

وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا - نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ - أَنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ حَيَاتِنَا؛ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سِيرَتَهُ سِيرَةً جَامِعَةً، وَجَعَلَ رِسَالَتَهُ رِسَالَةً جَامِعَةً، وَجَعَلَ حَيَاتَهُ حَيَاةً حَافِلَةً، لَيْسَ كَأَكْثَرِ النَّبِيِّينَ الْآخَرِينَ: تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْتَدِيَ بِهِ فِي مَجَالٍ وَلَا تَقْتَدِيَ بِهِ فِي مَجَالٍ آخَرَ.

فكيف يستطيع الزوج أن يقتدي بسيرة المسيح ﷺ؟! كيف يعامل زوجاته والمسيح لم يتزوج قط؟!!

كيف يستطيع الأب أن يقتدي بسيرة المسيح إذا أراد أن يعامل أولاده - وهو بالطبع لم يكن له ولد - أو يعامل أحفاده؟

كيف يستطيع المرء أن يقتدي بسيرة المسيح إذا كان في حالة من اليسار والغنى، والمسيح لم يملك مالا قط؟!!

كيف يستطيع أن يقتدي به إذا حكم الناس؟! وكيف يكون الحاكم وكيف يعدل، وهو لم يل حُكْمًا؟!!

كثير من الأنبياء كانت حياتهم محدودة، وسيرتهم سيرة مقصورة على بعض من الجوانب، فيستطيع الإنسان أن يقتدي بالمسيح الزاهد في الدنيا، الراغب عنها، الذي لم يأخذ منها قليلاً ولا كثيراً، ولكن هذا جانب واحد من جوانب الحياة.

كما لا يستطيع المجاهد أن يقتدي بالمسيح، وهو ﷺ لم يحمل سيفاً، ولم يقاتل عدوًا، ولم يدخل في معركة، ولم يسالم، ولم يحارب.

### الرسول قدوتنا زوجًا وأبًا وجدًا ومربيًا ومعلمًا:

ولكن النبي ﷺ فيه كلُّ الجوانب؛ فالزوج يجد في سيرته المجال ليقتدي كيف يعامل زوجته، وكيف يعامل أكثر من زوجة، إذا كانت له أكثر من زوجة، كيف يعامل المرأة الكبيرة والفتاة الصغيرة، كيف يعامل البكر وكيف يعامل الثيب، كيف يعامل النساء على اختلاف طبقاتهن وأنسابهن.

أراد الله أن يكون النبي في وقت من أوقات حياته زوجًا لامرأة واحدة، وفي جزء آخر زوجًا لزوجات عدّة، منهن الصغيرات ومنهن الكبيرات. أنجب من بعضهنّ، ولم يُنجب من بعضهنّ، عاش له بعض الأولاد، ومات بعضهم. يستطيع أن يستفيد من حياته من عاش له ولد، ومن مات له ولد، وكيف يعمل إذا مات له ولد! بعض بناته تزوّج وكان له منهنّ أحفاد، مثل فاطمة التي ولدت الحسن والحسين، يستطيع الجدُّ أن يستفيد من معاملته ﷺ لأحفاده. فحياته ﷺ حافلة، وليس لنبيّ في حياته مثل هذه الجوانب. لقد أراد الله سبحانه نبيّه معلّمًا ومربيًا، مربيًا بكلماته، ومعلّمًا بمقاله وبحاله، وبأفعاله وبسيرته؛ فقد ترك لنا نماذج في هذه الحياة، فهو النبي الأب، النبي الجدُّ.

### الرسول في مواجهة جبهة الوثنيّة واليهود:

النبي الذي عاش مضطهدًا طوال الفترة المكية، ثلاثة عشر عامًا، ثمّ يعيش بعد ذلك حياة جهاد وصراع مسلّح مع قوى الكفر التي رمته عن قوس واحدة، وتألّبت عليه على اختلافها، تريد أن تقتلع جذوره، أن تهدم عليه بنيانه من القواعد.

فمن ناحية ترى الجبهة الوثنيّة، جبهة الشّرك، جبهة الأصنام: قريش وغطفان.

ومن ناحية أخرى ترى اليهود الذين عاهدتهم منذ قدّم إلى المدينة، وعاملهم على أنّهم أهل كتاب، وعقد بينه وبينهم اتفاقية معروفة، التي كتب فيها تفاصيل ما بينه وبينهم، كيف يقومون لنصرته إذا جاء من

يغزوه، وكيف يدافعون عن المدينة كونهم أهل دار واحدة، وكيف غدر اليهود، وكيف نكثوا العهود، وكيف انضموا إلى الغزاة، الذين أرادوا أن يستأصلوا شأفة المسلمين في المدينة، ويبيدوا خضراءهم، بل كيف كان اليهود هم الذين يؤلبون المشركين ليغزوا رسول الله ﷺ.

### النَّبِيُّ فِي مَوَاجِهَةِ الرُّومِ وَالْفَرَسِ وَالْمَنَافِقِينَ:

وهناك جبهات أخرى، الجبهة النّصرانيّة البيزنطيّة: الدولة البيزنطيّة، التي كانت تحكم في ذلك الوقت الشام ومصر، وما نُسّمِيه الآن العالم العربي إلى تركيا.

وهناك الجبهة المجوسيّة، الذين يعبدون النّار، ويقولون بالهين للشرّ وللخير، أو للظلمة والنّور، هؤلاء هم الفرس الذين يسكنون إيران في ذلك الوقت.

وهناك جبهة المنافقين: في الداخل، الذين ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]، الذين ﴿يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

هذه الجبهات كلّها وقف النبي ﷺ يُعِدُّ لها العدّة، ولم يكن النبي ﷺ هو البادئ برفع السيف، ولكن السيف رُفِع في وجهه من أوّل الأمر، فكان يدافع عن نفسه وعن دينه ودعوته وحُرّماته، كان لا بدّ أن يقاوم الكفر، الذي لم يعترف أبداً بالدعوة الجديدة، فلم ينتصر الإسلام بالسيف، ولكن انتصر الإسلام على السيف.

لقد شُهر السيف في وجه الدعوة الإسلاميّة، فكان لا بدّ من الجهاد، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

## النبي ﷺ يحيا حياة الجهاد:

كان لا بد أن يحيا النبي ﷺ حياة الجهاد، وهكذا كانت حياته ﷺ، وسيرته في المدينة، سيرة جهاد، حتى إن علم السيرة كان يسمّى: «المغازي»، كان المؤلفون الأوّلون يطلقون على السيرة هذا الاسم؛ لأنّ حياته ﷺ في المدينة مليئة بالجهاد، وهي الحياة الحافلة التي أسّس فيها المجتمع الجديد والدولة الجديدة، ليس عمر هو مؤسس الدولة الإسلامية كما قال العقاد رحمه الله<sup>(١)</sup>، وإنما المؤسس هو رسول الله ﷺ؛ فهو الذي أسّس الدولة ووضّح معالمها، وأقام دعائمها منذ هاجر إلى المدينة، دولة قامت على المسجد، على العبادة، على الأخوة بين عناصرها المختلفة، على العدالة والتكافل، القوي يحمل الضعيف، والغني يأخذ بيد الفقير، والمسلمون يد واحدة، «يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»<sup>(٢)</sup>، دولة قامت على الجهاد في سبيل الله.

كان ﷺ في المدينة يحيا حياة الجهاد، ولهذا يُسمّى الفقهاء كتاب الجهاد: كتاب السير؛ لأنّه مأخوذ من سيرته ﷺ، وأحكامه مأخوذة منها، في معاملة الأعداء سلماً وحرّاً. كيف يحارب، وكيف يسالم أو يصالح أو يعاهد، في سبع وعشرين غزوةً وبضع وخمسين سريةً، في عشر سنوات أو تسع سنوات.

والفرق بين الغزوة والسرية: أنّ الغزوة هي ما قاده رسول الله ﷺ بنفسه، والسرية هي البعثة الحربية العسكرية التي كان يبعثها النبي ﷺ، وهذه نيّفت على الخمسين.

(١) عبقرية عمر ص ٨٥، نشر نهضة مصر، ١٩٨٨م.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٧.

### من فضل الجهاد:

وكان عليه السلام يودُّ من أعماق قلبه ألا يتأخَّر عن أيِّ معركة من معارك الجهاد، وقال: «لولا أن أشقَّ على أمتي ما قعدتُ خلف سريَّة»<sup>(١)</sup>، ولكن يخشى إذا خرج مع كلِّ جماعة أن يخرج الصحابة معه، وفي هذا مشقَّة عليهم، فيقول: «والَّذي نفسي بيده، لو دِدْتُ أنِّي أُقتل في سبيل الله، ثمَّ أحياء، ثمَّ أُقتل، ثمَّ أحياء، ثمَّ أُقتل ثمَّ أحياء، ثمَّ أُقتل»<sup>(٢)</sup>.

كانت حياته صلى الله عليه وسلم، في المدينة حياة الجهاد، يستطيع المسلم أن يعرف منه كيف يقاتل؟ ومَن يقاتل؟ ومَن يجاهد؟ ومتى يسالم؟ ومتى يحارب؟ لقد قاتل حينما استدعى الأمر القتال، وسالم حينما وجد مَن يجنحون إلى السلم، دون أن يفرِّط في حقٍّ من حقوقه صلى الله عليه وسلم، عفا في بعض الأحيان، ولم يعفُ في بعض الأحيان.

### عفوهُ عمَّن ظلمه:

فتح مكَّة، وجاءه أهلها من قريش، وهم أهلها وذوو رحمة، جلسوا في المسجد الحرام، كأنَّ على رؤوسهم الطير، ينتظرون كلمة تخرج من بين شفتيه: أيعفو أم ينتقم؟!

هؤلاء الذين أذاقوه وأصحابه ألوان العذاب، أئمة الكفر ورؤوس الضلال، فراعنة قريش، ها هم بين يديه الآن، ينتظرون كلمة منه، بعد أن خضعت له عاصمة الجزيرة، خضعت له مكَّة، ودخل إليها فاتحًا، وهي التي أخرجته مضطهدًا، دخلها بالنَّهار وقد أُخرج منها بالليل، تغيَّر

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٦)، ومسلم في الإمارة (١٨٧٦)، عن أبي هريرة.

(٢) جزء من الحديث السابق.

الموقف، وجلس القوم بين يديه، وهو يقول لهم: يا معشر قريش، ويا أهل مكة، «ما ترون أنني فاعل بكم؟».

قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم.

ثم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»<sup>(١)</sup>.

الجبابرة العتاة يتكلمون الآن بالمنطق الهين اللين، الذين عذبوا بلائًا وعمارًا، وقتلوا سميةً وياسرًا، وفعلوا الأفاعيل، وحاصروا المسلمين حتى أكلوا أوراق الشجر، الآن يقولون: أخ كريم وابن أخ كريم.

وكان النبي ﷺ عند حسن الظن، فقال كلمته الشهيرة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

أطلقهم بلا مقابل أو فداء أو عوض، بل عفا عنهم جميعًا إلا أفرادًا معيّنين، كان لهم ما لهم مع المسلمين، من المجرمين الطغاة الذين ولغوا في دماء المسلمين وأعراضهم، فلم يعف عنهم، ولو تعلقوا بأستار الكعبة.

### عقاب النبي لبني قريظة:

ونراه ﷺ لم يعف ولم يسامح في موقفه من بني قريظة، يهود بني قريظة، الذين غدروا به ونقضوا العهد، وانضموا إلى قريش وغطفان ومن جاء معهما، يريدون أن يهدموا هذا البنيان الجديد، يريدون أن يجتثوا هذه الشجرة، يريدون أن يجتثوا شجرة التوحيد من أصلها، جاؤوا إلى المدينة في غزوة الأحزاب وانضم إليهم اليهود، وكان الأمر كما قال تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴾ [الأحزاب: ١٠].

(١) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (٤١٢/٢)، عن ابن إسحاق، قال: حدّثني بعض أهل العلم.

المشركون الغزاة من جانب، واليهود من الداخل، والمنافقون قد بدأ نفاقهم يظهر، ويقولون: إنَّ محمداً كان يعدنا كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن أن يذهب إلى الخلاء وحده<sup>(١)</sup>.

ومنهم من يقول كما حكى الله عنهم: ﴿إِنَّ يَوْمَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣]، وكان الأمر خطيراً.

ولهذا بعد أن ردَّ الله الَّذِينَ كَفَرُوا بغیظهم لم ينالوا خيراً، وبعد أن أنزل الله على المؤمنين السكينة، وأنزل جنوداً لم يروها، وبعد أن جاءت الرياح، فأكفأت قدور المشركين وآنيتهم، وقلعت أوتاد خيامهم، وبعد أن قذف الله في قلوبهم الرعب، كان لا بدَّ من تأديب بني قُرَيْظَةَ.

وهنا نادى رسول الله أصحابه: «لا يُصَلِّينَ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»<sup>(٢)</sup>، كانوا في أطراف المدينة، في ضواحي المدينة، وبعد حديث معهم رضوا أن يُحكِّموا سعد بن معاذ حليفهم في الجاهليَّة، فقد كانوا حلفاء الأوس، وظنُّوا أن سعد بن معاذ سيراغي هذا الحلف القديم، سيراغي خواطرهم ويجاملهم، ولكن سعد بن معاذ حكم عليهم حكماً لم يخف فيه لومة لائم. وقال: لقد آن لسعد بن معاذ ألا يخاف في الله لومة لائم، إنِّي حكمت عليهم: أن تُقتل مُقاتلتهم، وتُسبى ذراريهم.

فقال له رسول الله: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٢٣/٢٠)، عن محمد بن كعب القرظي. تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في صلاة الخوف (٩٤٦)، ومسلم في الجهاد (١٧٧٠)، عن ابن عمر.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨)، كلاهما في الجهاد، عن أبي سعيد الخدري.

وهنا لم يكن عفو ولا سماح.

لماذا اختلف موقفه مع بني قُرَيْظَةَ عن موقفه مع قريش؟!

لقد اختلف موقف النبي ﷺ مع بني قُرَيْظَةَ عنه مع قريش؛ لأنَّ الأمر مختلف.

أولاً: الجريمة هنا غير الجريمة هناك، الجريمة هنا جريمة شديدة، جريمة كان يمكن أن تقضي على المسلمين، قوم يُعاهدون على أن يكونوا مع المسلمين وقت الشدَّة، وأن يقفوا معهم، وأن يكونوا جيشاً واحداً للدفاع عن الدار المشتركة، فإذا بهؤلاء ينقضون العهد، ويصيرون خنجراً في ظهر المسلمين.

هذا أمر خطير جداً؛ فإنَّ العدو المكشوف، الذي يقاتلك وجهاً وجهاً، وليس بينك وبينه عهد ولا ميثاق، أهون من هذا.

وثانياً: إنَّ العفو عن القرشي يعتبره مكرمة، ويعتبره شيئاً يجب أن يُقابل بمثله، ولكن الخائن عندما تعفو عنه يظن أنه ضحك عليك، وأنه يأخذ منك هذا اليوم ليقترك غداً، إنَّه ينوّمك ويخدرك حتى تغمد سيفك، وحتى تترك الأمر وتستنيم إليه، لينقضَّ عليك غداً أو بعد غد، إنَّه الغدار، إنَّه لا يؤمن، إنَّه لا خلاق له، وقد قال الشاعر:

إذا أنت أكرمت الكَرِيمَ مَلَكَتْهُ      وإن أنت أكرمت اللَّيْمَ تَمَرَّدَا<sup>(١)</sup>

ثالثاً: ثمَّ إنَّ الموقف اختلف، فموقف النبي ﷺ في بني قُرَيْظَةَ غير موقفه في السَّنة الثامنة بعد فتح مكَّة، الموقف هنا يحتاج إلى حزم وشدَّة؛ حتى يستطيع أن يواجه بقية الأعداء، ولا يترك هذه الجيوب، هذه

(١) ديوان المتنبي ص ٣٧٢، نشر دار بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

ثغرات يجب أن تسدَّ، أمَّا الموقف بعد فتح عاصمة الجزيرة وبعد أن صار النبي بفتح مكَّة سيد العرب وسيد الجزيرة كلِّها، فلا مانع أن يعفو، ولا مانع أن يسامح، ولا مانع أن يقول: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

الَّذِي أريد أن أقوله أن حياة النبي ﷺ حياة جامعة شاملة، سيرة عظيمة، يستطيع المسلم أن يجد فيها ما ينير له الطريق في كلِّ شؤونه، وفي كلِّ حياته.

فالمحارب يجد فيها الحرب، والمسالم يجد فيها السلم، ويجد هذا في موضع، وهذا في موضع، المنتصر يجد فيها المعارك التي انتصر فيها رسول الله ﷺ، وماذا يفعل الإنسان إذا انتصر.

فهنالك مَنْ إذا أتاه النَّصر، ثمل بسُكْرِ النَّصر، وانتشى ونسي نفسه، ولكن النبي ﷺ في الغزوات التي انتصر فيها لم ينس ربَّه، ولم ينس دعوته.

### تواضعه عند دخول مكَّة فاتحًا:

فدخل مكَّة وهو متواضع، يكاد يسجد على ظهر راحلته، ولم يهتف النَّاس عند دخولها باسمه، ولم يقولوا: عاش مُحَمَّد فاتح مكَّة، وإنما كانوا يهتفون باسم الله وحده، يقولون: الله أكبر الله أكبر، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

هكذا كان مُحَمَّد ﷺ الفاتح.

صلى ثماني ركعات شكرًا لله تعالى، فعن أم هانئ قالت: ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره، قالت: فسَلَّمت عليه، فقال: «مَنْ هذه؟»

فقلتُ: أنا أمُّ هانئ بنت أبي طالب.

فقال: «مرحبا بأمِّ هانئ».

فلما فرغ من غسله، قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد، فلما انصرف قلتُ: يا رسولَ الله، زعم ابن أمِّي أَنَّهُ قاتلُ رجلاً قد أجرته: فلان بن هبيرة.

فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرته، يا أمِّ هانئ».

قالت أم هانئ: وذاك ضحى<sup>(١)</sup>.

### ثباته وبقينه في الشدائد:

وحيثما قدر الله أن يسقط من أصحابه سبعون شهيداً في أحد، من أمثال عمه أسد الله وأسد رسوله، حمزة بن عبد المطلب، ومن أمثال الداعية الأوّل ومبعوث رسول الله ﷺ إلى المدينة قبل الهجرة، مصعب بن عمير، ومن أمثال: أنس بن النضر الذي لم يعرفه أحد من أهله لكثرة ما أُصيب به من ضربات السيوف وطعنات الرماح، ورميات السهام، حتّى عُدّ فيه نحو ثمانين جراحة في جسده، ولم تعرفه إلا أخته بعلامة في بنانه<sup>(٢)</sup>.

سقط سبعون من أمثال هؤلاء في أحد، ولكن ذلك لم يفتّ في عضد رسول الله ﷺ، ولم يئس ولم يستسلم، ولم تخز قواه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلّاة (٣٥٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٣٣٦)، عن أم

هانئ بنت أبي طالب.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠٥)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٣)، عن أنس بن

مالك.

وفي اليوم التالي يأمر النبي ﷺ أصحابه أن يتهيؤوا لقتال المشركين، في موقعة تسمى: حمراء الأسد، فقد بلغه أن أبا سفيان ومن معه قد ندموا أنهم لم يدخلوا المدينة ويجهزوا على المسلمين، وعزموا على أن يرجعوا.

فلما بلغ رسول الله ذلك أمر أصحابه أن يخرجوا، ولا يخرج إلا من كان في أحد، مهما كان به من جراح، فخرج الناس يجرون أنفسهم، يحملون جراحاتهم، وبعضهم لا تزال دماؤه تنزف.

قالت عائشة رضي الله عنها، ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، قالت لعروة: يا ابن أختي، كان أبواك منهم: الزبير، وأبو بكر<sup>(١)</sup>، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصابه يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، فقال: «من يذهب في إثرهم؟». فانتدب منهم سبعون رجلاً، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير<sup>(٢)</sup>.

وقذف الله الرعب في قلوب المشركين فانسحبوا، وهنا يقول القرآن: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢ - ١٧٤].

يستطيع المسلم أن يجد في سيرة رسول الله ﷺ كل ما يضيء سبيله، وينير طريقه، إذا أحسن الفهم عن رسول الله ﷺ، إذا أخذ منه ما ينبغي أن

(١) هو عروة بن الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر، فالزبير أبوه، وأبو بكر جده لأمه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٠٧٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤١٨)، عن عائشة.

يأخذ المسلم من نبيه، الذي جعله الله له أسوة في كل شيء، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

### تأسيس الدولة وبناء الرجال:

لقد عاش النبي ﷺ عشر سنوات في المدينة، أقام فيها أمة، وأسّس فيها دولة، بنى فيها مجتمعًا جديدًا، صنع بإذن الله تعالى وأمره حياة إسلامية متميزة، بنى ذلك الإنسان الجديد الذي لم تعرف الدنيا مثله، ربّى أصحابه الذين كانوا خير أمة أخرجت للناس، خير جيل رآته البشرية، هذا الجيل النموذجي الربّاني الأخلاقي الإنساني، الذي بذل نفسه وروحه ودمه لله.

علّمهم رسول الله ﷺ، وربّاهم؛ ليربّوا الإنسانية بعد ذلك، فهم تتلمذوا حول مائدة رسول الله ﷺ، فوق حصير مسجده، أو على حصباء مسجده، في جحر النّبوة ترعرعوا ودرجوا ونشؤوا، وتعلّموا من هذه المدرسة، المدرسة الربّانية المحمّدية، فكانوا جيلاً لم تعرف الدنيا مثله، ولم يوفّق الله نبيًّا من الأنبياء أن يُربّي جيلاً مثله.

فيعسى ﷺ كان له أحد عشر أو اثنا عشر حوارياً، ولم يصمدوا كلهم في ساعة الشدّة، بل خانه بعضهم، وكان ما كان.

موسى ﷺ خذله أصحابه في وقت الشدّة، حينما قال لهم: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَيَّ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]، ولما حاورهم وحاول أن يقنعهم، قالوا له بصريح العبارة: ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، انظر إلى قولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾، وكأنّه ليس ربّهم، انظروا إلى سوء الأدب.

هل يستوي فعل هؤلاء وفعل أصحاب النبي ﷺ يوم بدر، وهم قليل في العدد، ضعاف في العدد، ضعاف في الاستعداد، قد خرجوا للغير لا للنفير، ومع ذلك حينما جدَّ الجدُّ، وكُتِبَ عليهم القتال، لم يتأخروا، وقال سعد بن معاذ: والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نُخِضَها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا<sup>(١)</sup>.

وأيضاً قال المقداد يوم بدر: يا رسول الله، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكم مقاتلون<sup>(٢)</sup>.

هؤلاء هم أصحاب النبي محمد، وهذا هو النبي العظيم، الذي ربى هذه النماذج البشرية المصطفاة، التي علّمت الدنيا فيما بعد، ونشرت الإسلام، وفتحت البلاد، وحكمت العباد بالعدل والإحسان، وأقامت مجتمع الخلق والإيمان.

هذا هو رسول الله ﷺ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على نبيك وحبيبك محمد، واجعلنا ممن اقتدى بسيرته، واهتدى بسنته، وسار على هداه.  
اللهم آمين.

أقول قولِي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\*\*\*

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٧٩)، وأحمد (١٣٧٠٣)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٦٠٩)، عن ابن مسعود.

## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:  
هناك عدّة نقاط أريد الحديث عنها:

أمّا أولاهـا: فأرجى الحديث عنه فيما بعد: إعلان دولة فلسطين، وكيف أصبحنا - نحن العرب المسلمين - نتنازل ثمّ نتنازل، ونتساهل ثمّ نتساهل، وبنو إسرائيل يشمخون ثمّ يشمخون، ويتعالون ثمّ يتعالون، ويرفضون ثمّ يرفضون.

هذا الأمر يحتاج إلى حديث طويل، فالتقسيم الذي رفضناه نحن بالأمس، قلنا: لا بأس به اليوم، ليكن أساساً قانونياً لإقامة دولة فلسطينية على أرضنا، ولكن القوم حتّى هذا يرفضونه، وفي هذا الأمر كلام طويل، لعلنا نعود إليه في مناسبة مرور سنة على ما يسمّونه: الانتفاضة في الأرض المحتلة، على هذا الجهاد الذي أوشك أن يختم عامّاً كاملاً.

ثانيها: صلاة الاستسقاء: إنّها صلاة تضرّع لله عزّ وجلّ، دعاء لله أن ينزل المطر، فهو سبحانه الذي يمسك المطر أو ينزله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨]، سبحانه الله العظيم، هناك أناس يموتون غرقاً بالفيضانات، وأناس لا يجدون قطرة الماء، لو كان الناس هم الذين يديرون أمر أنفسهم لغيّروا هذا الوضع، ولكن هذا الإنسان الذي زعم أنّه وصل إلى القمر، وغزا الفضاء، وصنع الكمبيوتر، وأصبحت الطبيعة مسخرة له، هذا الإنسان يعجز عن مثل هذه الأمور، دلالة على أنّه مهما استطاع أن يصل إليه من أسباب العلم، ومهما استطاع أن يُسخر من أمور الطبيعة، سيظلّ عاجزاً أمام هذه الأقدار،

لا يملك أمامها شيئاً، لا يملك أن ينزل عليه شيء من السماء، أو يمنع الأرض أن تتزلزل من تحته، أو يحدث له ما يحدث.. هذا من عند الله.

ولذلك فنحن نستمطر الغيث، نسأل الله أن يسقينا، ندعوه ونستغفره، كما قال نوح من قديم لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

احرصوا على صلاة الاستسقاء في المصليات المعروفة، في يوم الاثنين المقبل، واحرصوا على الاستغفار، ومن لم يستطع أن يصلي مع الإمام كما هي السُّنَّة، فليصلها في بيته ركعتين، فهي صلاة تضرع ودعاء إلى الله، ولتصلي المرأة في بيتها، هذه هي الصَّلَاة، صلاة الاستسقاء.

ثالثها: أنَّ قافلة الشهداء من أبناء قطر، الذين يشاركون في الجهاد الإسلامي العظيم، في أفغانستان، قد ضُمَّت واحداً جديداً، شاباً من أبناء قطر، في الثانية والعشرين من عمره، ترك العمل وترك التجارة، وترك كلَّ شيء، منذ رمضان الماضي، وذهب إلى أفغانستان، ذلكم الشاب هو: حسن مُحَمَّد صالح العوضي، كتب الله له أن يستشهد، وأن ينال الشهادة، مثل أَخَوَيْهِ من قبل، استشهد في كابول، في العاصمة، حيث يريد المجاهدون اليوم أن يصلوا إليها، في كمين نصبه الروس الغزاة الملحدون، شاء الله أن يُستشهد بعض الشباب، كان هذا أحدهم.

والعجيب أنَّ أباه عندما أخبر بهذا الخبر وذهب إليه أحد إخواننا ليلبغته، وحاول أن يتلطف معه، وأن يمهد له في الحديث، قال له:

لا تخف، إنني كنت أتمنى وأسأل الله أن أكون معه في هذا الاستشهاد.

هكذا هوّ الأب الأمر على من أراد أن ينقل إليه الخبر!

أصبح الموت عندنا صعبًا وعزيزًا، بعد أن تركنا الجهاد من مدّة، ولكن الروح الإسلاميّة سرت في الأجيال والحمد لله.

هذا شهيد جديد، أسأل الله أن يتقبّله في الشهداء، وأن ينصر إخواننا على المكر الدولي الذي يبّيت لهم، عن يمين وشمال، ومن بين أيديهم ومن خلفهم.

المكر الذي أدى إلى اغتيال ضياء الحقّ وغيره، أسأل الله أن يقويهم لمقاومة هذا المكر العاتي، وأن ينصرهم على عدو الله وعدوهم.

اللهمّ انصر الإسلام والمسلمين، اللهمّ أيد الإسلام والمسلمين، اللهمّ اخذل الكفر والكافرين، اللهمّ عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهمّ عليك باليهود الغادرين، اللهمّ عليك بالصليبيين المستعمرين، اللهمّ عليك بأعدائك أعداء الدين.

اللهمّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهمّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهمّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهمّ أرسل السماء علينا مدرارًا، واجعل لنا جنّات واجعل لنا أنهارًا.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

\*\*\*





## يوم من حياة النبي ﷺ

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

ما زلنا نعيشُ مع رسول الله ﷺ، ما زلنا نصاحب تلك الشخصية التي صنعها الله على عينه، واصطنعها لنفسه، ما زلنا نعيش مع من أدبه ربُّه فأحسن تأديبه، وربَّاه فأحسن تربيته، ربَّاه ليربِّي الصحابة، وربِّي الصحابة ليربِّي بهم العالم كله.

هذا الرسول الكريم الذي زكَّاه الله وعجَّلَ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وجعل فيه القدوة والأسوة دون الناس جميعًا، حينما قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

هو أسوة في معاملته للحقِّ ﷻ، وفي معاملته الحقَّ له، وهو أسوة في معاملته للخلق، وفي معاملته الخلق له، وهو أسوة في حياته كلها الخاصة والعامة.

ومن هنا كان علينا أن نعيش معه ﷺ لنرى كيف كانت حياته، فهي حياة الهدى والثور، حياة ليس فيها شيء يمكن أن يُعاب، لو اجتهد يومًا

وأخطأ، فسرعان ما ينزل الوحي ليُصحَّح خطأه؛ حتَّى يقتدي النَّاس به ﷺ، وهم يعلمون أنه على مذهبٍ صحيحٍ مُقرَّر من الله ﷻ. تعالوا - أيها الإخوة - نعيش مع رسول الله ﷺ، لنعيش يوماً أو بعض يوم؛ لنرى ماذا كان يصنع؟

### البدء وقت السحر:

لنبداً معه يومه ﷺ، متى كان يبدأ يومه؟ إنه لا يبدأ يومه كما يفعل كثير من النَّاس من المسلمين المنتسبين إلى مُحَمَّد ﷺ الذين لا يقومون إلاَّ ضحى. لم يكن ﷺ نؤوم الضحى، ولا ثقیل الخُطَا، ولا ثقیل الجسم، كما نرى كثيراً من المسلمين اليوم، حتَّى إنه قال عن رجل نام حتَّى أصبح: «ذاك رجل بال الشيطانُ في أُذُنَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

وما أصدق ما قال الحسن رضي الله عنه: إن بوله والله ثقیل<sup>(٢)</sup>!

فما كان رسول الله ينام حتَّى يُصبح، وإنما كان يستيقظ مبكراً، فكان يستيقظ من السحر، وكان يرى أن البركة في البكور، وكان من دعائه: «اللهم بارِكْ لأمَّتِي في بكورها»<sup>(٣)</sup>.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٧٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٧٤)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (٩٥١٦).

(٣) رواه أحمد (١٥٤٤٣)، وقال مخرَّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٠٦)، والترمذي في البيوع (١٢١٢)، وقال: حسن. وابن ماجه في التجارات (٢٢٣٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٥)، عن صخر الغامدي.

كان يقوم من الأسحار يستغفر ربّه، حين يتجلى الله على عباده، وينزل كلّ ليلة إلى سماء الدنيا؛ لينادي عباده: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من كذا؟ هل من كذا؟ حتى يطلع الفجر<sup>(١)</sup>.

فلم يكن النبي ﷺ يحبُّ أن يمرَّ هذا الوقت المبارك، ولا يتعرَّض لنفحات الله ﷻ، فكان دائماً مستغفراً بالأسحار، كالذين وصفهم ربُّهم في كتابه: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

### ذكر الله أوّل الأعمال:

وكان يقوم من نومه ذاكرًا لله ﷻ، يقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور»<sup>(٢)</sup>.

فالنوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل، النوم هو الموتة الصغرى، كما أنّ الموت هو النومة الكبرى، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنعام: ٦٠]، النوم مذكّرُ النَّاسِ بالموت، ولهذا حين يستيقظ رسول الله ﷺ يتذكر الموت، ويذكر بالموت وما بعد الموت، يتذكر البعث ثمّ النشور، ويقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور».

ثمّ يقوم فيتوضّأ، وكان وُضوءه ﷺ في غير إسراف، ليس كالمؤسوسين، الذي يفتح أحدهم صنوبر الماء، ويدع الماء يصبُّ ويصبُّ، حتى يستهلك منه كثيرًا، ما كان ﷺ يسرف في الماء، ولا في

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (١١٤٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في الدعوات (٦٣١٢)، عن أبي ذر.

صَبَّ الماء، «كان يتوضأ بالمُدِّ، ويغتسل بالصاع»، كما ورد ذلك عن أنس<sup>(١)</sup>، يتوضأ بنصف لتر بحساباتنا.

جاءه أعرابي فعلمه الوضوء، فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: «هذا هو الوضوء، فمن زاد على ذلك، فقد أساء وتعدى وظلم»<sup>(٢)</sup>.

كان يتوضأ، وكان يدعو الله عند وضوئه، ومن دعائه: «اللهم اغفر لي ذنبي، ووسِّع لي في داري، وبارك لي في رزقي».

سأله أحد الصَّحابة يوماً: ما أكثر ما تدعو بهنَّ يا رسول الله،

قال: «وهل تَرَكْنَ من شيء؟»<sup>(٣)</sup>.

مغفرة الذنب، والسعة في الدار، والبركة في الرزق، جمعت بين خيري الدنيا والآخرة.

وهكذا كان دعاؤه ﷺ، كان يدعو بما يجمع الحسنين والحستين: حسنة الدنيا، وحسنة الآخرة، ولذلك روى عنه خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه: كان أكثر دعائه: ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (٢٠١)، ومسلم في الحيض (٣٢٥).

(٢) رواه أحمد (٦٦٨٤)، وقال مخرَّجوه: صحيح. وأبو داود (١٣٥)، والنسائي (١٤٠)، كلاهما في الطهارة، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٤١٧)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه أحمد (١٦٥٩٩)، وقال مخرَّجوه: حسن لغيره. والترمذي في الدعوات (٣٥٠٠)، وقال: غريب. مختصراً. ورواه النسائي في الكبرى بتمامه في عمل اليوم والليلة (٩٨٢٨)، وضعفه الألباني في غاية المرام (١١٢)، وحسنه في صحيح الجامع (١٢٦٥)، عن أبي موسى الأشعري.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٥٢٢)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٠).

وفي مسلم: كان من دعائه ﷺ: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر»<sup>(١)</sup>.

فأدعيته ﷺ جامعة لكل الخيرات التي يطلبها الناس.

هكذا علمنا ﷺ، فالدعاء منه توجيه إلى ما ينبغي أن يكون إليه طموح المسلم، ينبغي أن يكون طموح المسلم إلى الأولى والآخرة معاً، ليس كالذين ذمهم الله بقوله: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وإنما يدعو للدنيا والآخرة، ولم يذكر القرآن الذين يدعون للآخرة وحدها، قال: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾ \* وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠٠، ٢٠١].

ولم يُشر إلى قسم ثالث، يقول: ربنا آتنا في الآخرة وحدها؛ لأن هذا ليس شأن المؤمن، المؤمن كما علمه الرسول ﷺ يطلب خيري الدنيا والآخرة.

يدعو النبي ﷺ في وضوئه بهذه الدعوات، ولم يرد عنه ﷺ الدعاء الذي يقوله كثير من الناس عند كل عضو، فيقول إذا غسل وجهه: اللهم بيّض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

وإذا تمضمض أو استنشق قال: اللهم أرخني رائحة الجنة وأنت عني راضٍ.

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٠)، عن أبي هريرة.

وإذا غسل ذراعه اليمنى قال: اللهم أعطني كتابي بيمينى، واجعل محمدًا شفيعي.

وهذه الأشياء التي يقولها الناس، لم ترد عنه ﷺ، وإنما الذي ورد عنه هو الدعاء الذي ذكرته: «اللهم اغفر لي ذنبي، ووسّع لي في داري، وبارك لي في رزقي»<sup>(١)</sup>.

وورد عنه أنه كان حين يختم الوضوء يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»<sup>(٢)</sup>، وزاد الترمذي: «اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين»<sup>(٣)</sup>.

فمن دعا بهذا الدعاء وذكر هذا الذكر، فتحت له أبواب الجنة الثمانية. والأولى في العبادات أن نقف عند ما ورد عنه ﷺ، أن نستخدم ما كان يستخدمه من الألفاظ، فليس هناك أرق ولا أعذب ولا أبلغ ولا أشد تأثيرًا في القلب من ألفاظ النبوة.

وإن استمسكنا بأذكار النبي ﷺ وأدعيته، فيه أجران: أجر الذكر، وأجر الاتباع، ولا يمكن أن نخترع من عند أنفسنا ما يكون عليه حلاوة ألفاظ النبي ﷺ وبلاغتها؛ ففيها نور النبوة.

### قيامه ليل:

كان يتوضأ ﷺ، فإذا استكمل الوضوء، قام إلى الصلاة، وهكذا علمنا إذا قمنا من الليل أن نحلّ كلَّ عُقد الشيطان على رؤوسنا، فقد قال ﷺ

(١) سبق تخريجه ص ١٧٨.

(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٤)، وأحمد (١٢١)، عن عمر بن الخطاب.

(٣) رواه الترمذي في الطهارة (٥٥)، وقال: في إسناده اضطراب. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٦٧). عن عمر بن الخطاب.

- كما عند البخاري ومسلم - : «يعقد الشيطانُ على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عقد، يضرب كلَّ عقدة: عليك ليل طويلٌ فارقد. فإن استيقظ فذكر الله، انحلت عقدة، فإن توضأً انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»<sup>(١)</sup>.

علينا أن نقتدي برسول الله ﷺ، ولا ندع عقد الشيطان على قوافي رؤوسنا، علينا أن نحلَّ هذه العقد بالذكر والطهارة والصلاة.

كان ﷺ يقوم الليل ما شاء الله له أن يقوم، ويُطيل ما شاء الله له أن يُطيل، وقد حدَّثكم من قبل عن شيء من قيامه ﷺ، كيف كان يقوم، حتَّى لا يصبر عليه مَنْ وراءه من أصحابه، كما قال عبد الله بن مسعود: صليت مع النبي ﷺ ليلة، فلم يزل قائماً حتَّى هممت بأمر سوء.

قيل: وما هممت؟

قال: هممتُ أن أقعد وأذر النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

همَّ بذلك من طول ما قام ﷺ، وكان يُطيل الوقوف بين يدي الله، ويُطيل السجود بين يدي الله، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فكان يسجد، ويطيل السجود، ويطيل الدعاء.

افتقدته عائشة ذات ليلة، فلم تره بجانبها، فذهبت إلى المسجد، وبحثت عنه في ظلام الليل، حتَّى وجدته ساجداً، فلمست باطن قدميه، وسمعتة يقول: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التهجُّد (١١٤٢)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٧٦)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التهجُّد (١١٣٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٧٣).

(٣) رواه مسلم في الصَّلَاة (٤٨٦)، وأحمد (٢٥٦٥٥)، عن عائشة.

هكذا كان ﷺ دائم الدعاء، ودائم الاستغفار لربّه ﷻ، كان أكثر الناس استغفارًا.

النبي الذي كان يراقب ربّه في غدواته وروحاته، وحركاته وسكناته، وكانت تنام عيناه، وقلبه لا ينام، وكان لا يغفل عن ربّه طرفة عين، وكان رطب اللسان دائمًا بذكر الله، كان يشعر دائمًا أنّه بحاجة إلى مغفرة الله، وكان يقول: «يا أيّها الناس، توبوا إلى الله؛ فإنّي أتوب في اليوم إليه مائة مرّة»<sup>(١)</sup>.

ووردت عنه من صيغ الاستغفار الكثير والكثير، كلّها تحبيب إلى الله ﷻ، وإظهار إلى الافتقار إليه وإلى مغفرته، وهكذا كان ﷺ.

### صلاة الفجر:

كان يقوم من الليل حتّى إذا أذن الفجر صلى ركعتي السّنة، وكان كثيرًا ما يضطجع بعد صلاة السّنة، كما تقول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا سكت المؤذن بالأولى من صلاة الفجر قام فرقع ركعتين خفيفتين قبل صلاة الفجر، بعد أن يستبين الفجر، ثمّ اضطجع على شقه الأيمن، حتّى يأتيه المؤذن للإقامة<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: ذلك أنّه كان يدأب ليله<sup>(٣)</sup>، فيستريح من طول القيام، الذي وصفته عائشة بأنّه كان يقوم حتّى تتفطر قدماه<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٢)، وأحمد (١٧٨٤٧)، عن الأغر الجهني.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٢٦)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٢٤)، عن عائشة.

(٣) رواه عبد الرزاق في الصّلاة (٤٧٢٢)، عن عائشة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٣٧)، ومسلم في صفة القيامة (٢٨٢٠).

تشقق من طول القيام، أو تتورم قدماه، فكان يتعب ليله مع الله وَعَجَلٌ، ورغم تعب بدنه كان يجد في ذلك راحة لقلبه، كانت صلاته رؤوًا وريحانًا لنفسه، وكان يقول: «وَجُعَلت قَرَّةَ عَيْني فِي الصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>، ما كان يشعر بهذا التعب، وما كان يشعر بهذه المعاناة؛ لأنه في صلاة مع الله وَعَجَلٌ.

### مدرسة الليل:

كانت مدرسة الليل ومدرسة القرآن هي التي تخرّج فيها مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخرّج فيها أصحابه، فالله أمره بهذا، وأعدّه هذا الإعداد الروحي؛ ليستطيع حمل هذا العبء الكبير، عبء الرسالة الضخمة، عبء مواجهة الوثنيّة واليهوديّة، والنصرانيّة والمجوسيّة، عبء الكفر والباطل على ظهر الأرض.

أعدّه الله هذا الإعداد النفسى الروحي، كما أشارت إلى ذلك أوائل سورة المزمل: ﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ \* فُرُالَيْلَ إِلا قَلِيلاً﴾ ليس هذا أوان التزمّل والتغطّي والالتحاف، ﴿فُرُالَيْلَ إِلا قَلِيلاً \* نِصْفَهُ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلاً \* أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ لماذا؟ لِمَ هذا القيام والقرآن والصلاة والترتيل؟ ﴿إِنَّا سُنَلِقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً﴾ [المزمل: ١-٥].

فاستعدّ بالقرآن، استعدّ بالصلاة، استعدّ بتلاوة هذا الكتاب، هيئ نفسك، فالقرآن يُعطي صاحبه شحنة، والصلاة تعطي صاحبها قوة، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ولذلك كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حزبه أمرٌ صلى<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أحمد (١٢٢٩٣)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والنسائي في عشرة النساء (٨٨٣٦)، وصحح إسناده ابن الملقن في البدر المنير (٥٠١/١)، وحسنه ابن حجر في التلخيص (٢٤٩/٣)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (٢٣٢٩٩)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في قيام الليل (١٣١٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٠٣)، عن حذيفة بن اليمان.

كان يتعب ليله، يتعب جسمه، وإن لم يتعب قلبه، فكان يضطجع بعد سُنَّة الفجر، ثم يقوم فيصلي الفجر، يقف بين يدي ربّه، وكانت الصَّلَاة قرّة عينه، كما قلنا.

كان إذا دنا وقت الصَّلَاة يقول لمؤذنه: «أرْحْنَا بِهَا يَا بِلَال»<sup>(١)</sup>.

فهو يستريح بالصَّلَاة، ولا يستريح من الصَّلَاة، كما نفعل نحن، فنحن نريد أن ننقرها كنقر الدِّيكة، أو نخطفها خطفًا، نريد أن نستريح منها، لا أن نستريح بها.

### صلاة حبّ ورغبة ورهبة:

فرق بين صلاة الحبّ، وصلاة الأمر، فرق بين يريد أن يسدّد خاتمة، وبين من يجد في الصَّلَاة غذاءً روحه، من يجد فيها أنس قلبه، من يشعر أنّه واقف بين يدي ربّه، من يشعر أنّه ينادي قريبًا غير بعيد، كريمًا غير بخيل، من يشعر بهذا الحديث القدسي، الذي رواه النبي ﷺ عن ربّه: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي. فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أحمد (٢٣١٥٤)، وقال منخرجه: رجاله ثقات، لكن اختلف فيه على سالم بن أبي الجعد في إسناده. وأبو داود في الأدب (٤٩٨٦)، وصحّحه الألباني المشكاة (١٢٥٣)، عن رجل من الأنصار.

(٢) رواه مسلم في الصَّلَاة (٣٩٥)، وأحمد (٧٢٩١)، عن أبي هريرة.



هكذا كانت صلاته ﷺ، وهكذا ينبغي أن تكون صلاتنا. كان يدخل صلاته بالتكبير، لا كما يفعله بعض المسلمين اليوم من قول أدعية لم ترد عن النبي ﷺ، فيقول مثلاً: نويت أصلي فرض الظهر - مثلاً - أربع ركعات، مستقبلاً بهذا الإمام، إلى غير ذلك.

ولكن رسول الله كان يدخل صلاته ب«الله أكبر»، ولم يكن يقول شيئاً أكثر من ذلك، فمفتاح الصلاة التكبير، ولم يرد عنه ﷺ ولا عن أصحابه ولا التابعين لهم بإحسان تلفظ بالنية؛ فالنية محلها القلب.

كان يكبر ثم يستفتح بدعاء الاستفتاح، وقد وردت عنه أنواع من الاستفتاح للصلاة، منها الاستفتاح الشهير: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك»<sup>(١)</sup>.

ومنها: «﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين» [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]»<sup>(٢)</sup>.

ومنها ما رواه الشيخان: عن أبي هريرة: كان رسول الله ﷺ إذا كبر في الصلاة سكت هنيئة قبل أن يقرأ، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، رأيت سكوتك بين التكبير والقراءة، ما تقول؟

قال: «أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أحمد (١١٤٧٣)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢)، كلاهما في الصلاة، والنسائي في الافتتاح (٨٩٩)، وابن ماجه في الصلاة (٨٠٤)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٢٩٩٦)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧١)، وأحمد (٧٢٩)، عن علي بن أبي طالب.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٤٤)، ومسلم في المساجد (٥٩٨).

انظروا إليه ﷺ يطلب من الله ﷻ أن يباعد بينه وبين الخطايا، وأن يغسله منها، وأن ينقيه منها، أين نحن الذين إذا صلينا بعض الركعات، أو صمنا بعض الأيام، أو فعلنا بعض الخيرات، ظننا أننا بلغنا القمة، وحسبنا أنه لا يبلغ أحد مبلغنا؟

كان ﷺ يشعر في أعماقه أن حقَّ ربِّه عليه عظيم، وأنه مهما فعل فلن يؤدي حقَّ الله ﷻ، ولن يفي بشكر نعمته، وهذا ما ردَّ به على عائشة حينما طلبت منه أن يهون عليه، وأن يرفق بنفسه، من شدة ما رأت عبادته ﷺ، قالت له: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟

قال: «أفلا أحبُّ أن أكون عبداً شكوراً»<sup>(١)</sup>.

ينبغي للإنسان إذا جاءته نعمة أن يقابلها بالشكر؛ حتى تبقى، فإنَّ الشكر قيد النعم، وحتى يزيده الله منها، فسنته تعالى تتمثل في قوله: ﴿لِيَن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

كانت صلاة رسول الله ﷺ صلاة الحبِّ مع الله، والأنس بالله ﷻ.

### بعد صلاة الصبح:

وكان إذا صلى الصبح جلس ولم ينم، كما نفعل نحن الآن، وإنما كان ﷺ ينام مبكراً، ويستيقظ مبكراً، ولكن - للأسف - شغلت أجهزة الإعلام الناس، فجعلتهم لا ينامون، فإذا قاموا إلى الصلاة، صلوا ثم عادوا ينامون.

ولكن رسول الله ﷺ ما كان ينام بعد الصلاة، بل كان يجلس ذاكراً مسبحاً لله ﷻ، حتى تطلع الشمس، وكانت مجالسه كلها مجالس ذكر.

(١) سبق تخريجه ص ١٨٢، وفيه: كان يقوم حتى تنفطر قدماه.

فإذا طلعت الشمس بدأ يزاول حياته، وحياته حافلة، حياته مع أهل بيته، وحياته مع أصحابه، وحياته مع من يَفد إليه من النَّاس، وحياته في تدبير أمر هذه الدعوة، ومقاومة خصومها.

كانت حياة حافلة بالعبادة، بالجهاد، بالتعليم، بالتربية، بعمل الخير.

السنوات العشر التي قضاها في المدينة، غزا فيها سبعا وعشرين غزوة، وقيل: تسعا وعشرين، وبعث فيها قريبا من ستين سرية.

ولكنه مع شغله بالجهاد، كان يُعطي كلَّ ذي حقَّ حقه، فإذا أصبح الصباح دعا بأدعية الصباح، وهي مأثورة عنه ﷺ، نجدها في كتب الأذكار التي عُنت بأذكاره وأدعيته ﷺ.

### طعامه ﷺ :

كان يسأل أهله عند الصباح: هل عندكم شيء؟

فإذا وجد شيئا أفطر عليه، وإذا لم يجد شيئا، كان ينوي الصيام، كما ورد ذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم: «يا عائشة، هل عندكم شيء؟».

قالت: فقلت: يا رسول الله، ما عندنا شيء.

قال: «فإني صائم»<sup>(١)</sup>.

وقد كان ﷺ كثيرا ما يبيت الليالي طاويا، لا يجد ما يسدُّ الرمق، أو يطفىء الحرق.

(١) رواه مسلم في الصيام (١١٥٤)، وأحمد (٢٤٢٢٠)، عن عائشة.

وطالما شدَّ الحجر على بطنه من الجوع، فكثيرًا ما لا يكون في بيته شيء يفطر عليه، فكان ينوي الصوم، وهذا شرعٌ لنا في جواز أن ننوي الصيام من الصباح، إذا لم يأكل الإنسان ولم يشرب، يجوز له أن ينوي الصيام من ذلك الوقت، وله ثوابه منذ نوى.

إذا قَدَّم إليه شيء حاضرٌ أكل، فلا يردُّ موجودًا، ولا يتكلَّف مفقودًا، لا يكره الطيبات، بل يحبها، ولكنَّه لا يتكلَّف إحضارها، وما عاب طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه.

قَدَّم إليه الضب فلم يأكله، ولم يُحرِّمه على الأمة، لكن هذا الطعام لم يكن بأرض قومه، فلم يتعود أكله، فأكل على مائدته، وأقرَّه ﷺ، ولكنَّه لم يأكل<sup>(١)</sup>.

فكان يأكل ممَّا حضر، ومعظم ما حضر هو من خبز الشعير الجاف، أو من خبز الحنطة، وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما شبع نبي الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعًا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا<sup>(٢)</sup>.

وكان يسمي الله عند طعامه، ويأكل بيمينه، ويأكل ممَّا يليه، ويعلم ذلك لأُمَّته<sup>(٣)</sup>، فإذا فرغ من طعامه حمد الله وعجل، فبدأ طعامه باسم الله، ويختمه بحمد الله.

### النبيُّ الذاكر:

وهكذا كانت حياته ﷺ كلها ذكرًا، فكان لسانه رطبًا بذكر الله، يذكر الله في كلِّ أحواله، وعلى كلِّ أحيانه.

(١) إشارة إلى حديث خالد المتفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٩١)، ومسلم في الصيد (١٩٤٦).

(٢) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٧٦)، وأحمد (٩٦١١)، عن أبي هريرة.

(٣) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «يا غلام، سمَّ الله، وكُل بيمينك، وكل ممَّا يليك». رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٦)، ومسلم في الأشربة (٢٠٢٢)، عن عمر بن أبي سلمة.

فإذا لبس ثوبه قال: «الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حولٍ مِنِّي ولا قوَّةٍ»<sup>(١)</sup>.

وإذا ركب الدابة ذكر الله، وإذا خرج من بيته يذكر الله، وإذا دخل ذكر الله. فكانت حياته كلها ذكراً لله وَعَجَّلَ، في أكله إذا أكل، في شربه إذا شرب، في نومه إذا نام، في انتباهه إذا انتبه، حتى في وقت قضاء الشهوة، حينما يجامع أهله، كان يقول: «اللهم جنِّبنا الشيطان، وجنِّب الشيطان ما رزقتنا»<sup>(٢)</sup>، فلا تشغله الشهوة عن ذكر الله وَعَجَّلَ.

وهكذا علّمنا أن نكون دائماً ذاكرين لله وَعَجَّلَ، وكان من أدعيته: «ربِّ اجعلني لك شكاراً، لك ذكّاراً، لك رهّاباً، لك مطواعاً، إليك مخبتاً، لك أوّاهاً منيباً»<sup>(٣)</sup>.

ذكّاراً، أي: كثير الذكر.

فإن الله لم يكتف منّا بمجرد أن نذكره، ولكن قال: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا \* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وذمّ الله أهل النفاق حينما قال عنهم: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

(١) رواه أبو داود في اللباس (٤٠٢٣)، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (١٢٣/١)، عن معاذ بن أنس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٤١)، ومسلم في النكاح (١٤٣٤)، عن ابن عباس.

(٣) رواه أحمد (١٩٩٧)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في أبواب الوتر (١٥١٠)، والترمذي في الدعوات (٣٥٥١)، وقال: حسن صحيح. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٨٥)، عن ابن عباس.

فالمنافقون يذكرون الله في بعض الأحيان، فكيف بمن لا يذكر الله كثيراً ولا قليلاً؟! إنه لم يصل حتى إلى رتبة المنافقين، والعياذ بالله!

### النبي بين أصحابه:

يذهب النبي مع أصحابه، فيجلس معهم، وكأنه واحد منهم، لا يتميز عنهم بشيء، حتى يأتي الرجل الغريب، فيقول: أيكم مُحَمَّد؟ أيكم ابن عبد المطلب؟!!

فلم يجعل لنفسه خاصية تشعر الناس بأنه هو، كأن يجلس أعلى من الجالسين، أو تجد الخدم والحشم من حوله، أو بتاج يلبسه.

لا، بل كان كواحدٍ من الناس، حتى يدخل الغريب، فيقول: أيكم مُحَمَّد؟!!

### تواضع في حال النصر:

كانت حياته حياة التواضع والزهد والخشونة والقناعة، هكذا كان ﷺ، يوم فتح مكة دخلها مُطأطئاً رأسه لله ﷻ، متواضعاً على ظهر راحلته.

طاف بالكعبة لا يذكر اسمه كفاتح لمكة، وإنما ذكر الله، «لا إله إلا الله وحده، نصر عبده، وأنجز وعده، وهزم الأحزاب وحده»<sup>(١)</sup>.

دخل يوم الفتح على أم هانئ بنت عمه أبي طالب، فقال: «ما عندك يا أم هانئ؟»

قالت: إنَّ عندي لكسراً يابسة، وإنِّي لأستحي أن أقربها إليك.

فقال: «هَلُمِّيهَا».

فكسرتها ونثرت عليها الملح، فقال: «هل من إدام؟»

(١) رواه أحمد (١٥٣٨٨)، وقال مخرّجوه: صحيح. عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

فقالت: يا رسول الله، ما عندي إلا شيء من خلٍّ.

قال: «هَلْمِيهِ».

فلما جاءت به صبه على طعامه، فأكل منه ثمَّ حمد الله تعالى، ثمَّ قال: «نعم الإدام الخل. يا أم هانئ لا يُقفر بيت فيه خلٌّ»<sup>(١)</sup>.

فاتح مكة وسيد الجزيرة، لا يجد إلا كسرات من خبز وشيئا من خلٍّ، يأكله يوم الفتح.

### لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة:

يا أيها الإخوة، لا بدَّ أن نعيش مع رسول الله ﷺ، ولا بدَّ لنا من وقفات مع هذه الحياة الهادئة النيرة، المضيئة بنور الله ﷻ، ولا بدَّ أن نأخذ منها الأسوة، ليس مجرد أن نقرأ السيرة أو نسمعها، ونُضمِّص الشِّفاء، ونُصَلِّي عليه ﷺ، ولكن حياتنا في وادٍ، وهدى رسول الله في وادٍ آخر، إنَّما نتصر بالدنيا ونسود، ونسعد في الآخرة ونفوز، يوم نربط حبالنا بحبال النبي ﷺ، يوم نسير في ركابه، يوم نأخذ النور من هديه وسناه ﷺ، فالطرق مسدودة إلا على من اقتفى أثره ﷺ، وأبواب الجنة مغلقة، لا تفتح إلا لمن اهتدى بهديه ﷺ، ومحبة الله لا تُنال إلا باتباعه ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\*\*\*

(١) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٥٤/٤)، عن أم هانئ.

## الخطبة الثانية

الحمد لله، ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾  
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿[غافر: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يسبح له ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١].

وأشهد أن سيّدنا وإمامنا محمداً عبداً لله ورسوله، البشير النذير،  
والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا  
بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة:

## «المركز الإسلامي» في السودان:

يدور صراع في العالم الآن، بين الإسلام وبين غيره من الديانات  
والفلسفات، كلّ الديانات تقف ضد هذا الدين، وضد دعوته وانتشاره،  
وكلّ الفلسفات الأرضيّة والمذاهب الوضعيّة من شيوعيّة اشتراكيّة،  
ورأسماليّة، وماسونيّة، وغيرها، كلّها تقف ضدّ هذا الدين سداً منيعاً،  
لا تريد له أن ينتشر، بل تغزوه في عُقر داره، أصبحنا الآن نُغزى في عُقر  
دارنا، وما غزى قوم في عُقر دارهم إلاّ ذلّوا.

أصبحت الهيئات التبشيريّة في العالم تريد أن تُنصّر المسلمين في  
ديارهم، لا تكتفي بأن توقف زحف الإسلام، وإنّما تريد أن تُنصّر  
المسلمين، فإذا لم تستطع أن تجعلهم نصارى بالفعل، شككتهم في  
إسلامهم، أصبح لسان حالهم: إذا لم نستطع إخراج المسلم من الإسلام

إلى النصرانية، فلنزعزعه في دينه وفي عقيدته، ولنشككه في شريعته، وفي حضارته، وفي أمته.

وهذا ما تعمل له القوى التبشيرية، والشيعوية، والاشتراكية، والرأسمالية في العالم، وأشد القارات التي يقوم فيها هذا الصراع الرهيب المسلح بالعلم والمال، والمكر والدهاء، وكل أسلحة العصر، هي قارة إفريقيا، ومن هنا ففكر إخوان لكم من أهل الخير أن يقاوموا هذا المد التنصيري، والمد اللاديني، بعمل مؤسسات إسلامية، كان في طليعتها تلك المؤسسة الجليلة النافعة: «المركز الإسلامي» في الخرطوم.

هذا المركز الذي يقوم على تعليم أبناء المسلمين في إفريقيا، وتزويدهم بما يحتاجون إليه، تعليمهم العلم النظري، والعملي، تعليمهم مهناً وصناعات، وتعليمهم ما يجعلهم مبشرين بهذا الدين، دعاة إليه، قادرين على أن يقفوا ضد الموجات الغازية.

هذا المركز يقوم بمهمته، وقطر مشتركة مؤسسة في هذا المركز، وهي تستضيف اليوم الإخوة أمناء المركز الإسلامي، الذين أسعدنا حضورهم في هذا اليوم، وهم معنا الآن.

أسأل الله أن يرعى هذه المؤسسة، ويؤيدها، وأن يشد أزرها، وأزر القائمين عليها، وهذا يجعلنا نشعر بأن العبء ثقيل، وأن الطريق طويل، وأن الأعداء كثيرون، وأنهم يختلفون ما يختلفون، ولكنهم متفقون علينا، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣].

اللهم وفقنا لخدمة دينك، ونصرة شريعتك، اللهم اجعلنا من جنك، وتقبلنا في حزبك الغالبين، وأعل بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن.

اللهم أكرمنا ولا تُهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

\*\*\*





## رحلة الإسراء والمعراج

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

#### رسالة الإسلام:

نحن أمّة مُحَمَّدٍ ﷺ قد أكرمنا الله وَعَجَّلَ بِكِرَامَاتِ عِدَّةٍ، أكرمنا بهذه الرسالة العظيمة التي ختم الله بها الرسالات، رسالة الإسلام، الرسالة التي امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>، شؤون الفرد والجماعة، شؤون الجسم والروح، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ويقول في ختام قصة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

(١) من كلمات الإمام الشهيد حسن البنا، من مقال من وحي حراء في جريدة الإخوان المسلمون اليومية ص ١، السنة الأولى، العدد (١٦٨)، بتاريخ ٢٧ ذو الحجة ١٣٦٥هـ - ٢١ نوفمبر ١٩٤٦م. وانظر: سلسلة من تراث الإمام لجمعة أمين عبد العزيز (١٨١/٥)، نشر دار الدعوة، الإسكندرية، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

خصّنا الله بهذه الرسالة، وخصّنا كذلك بحفظ مصادر هذه الرسالة، مصدرها الأوّل هو القرآن، كتاب الله ﷻ، تكفّل الله بحفظه، لم يكَل حفظه إلى الأُمَّة كما وكلّ حفظ التوراة إلى أصحابها، كما قال الله تعالى عن التوراة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، أي: بما طُلب إليهم حفظه، الله هو الذي تولّى حفظ هذا الكتاب حينما قال ووعد وعدًا مؤكّدًا بأدوات التأكيد: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فهياً الله الوسائل والأسباب لحفظ هذا الكتاب، وتواتر عبر أجيال الأُمَّة، من جيل الصّحابة إلى جيل التابعين، إلى أتباع التابعين إلى اليوم، يحفظه الآلاف وعشرات الآلاف من أبناء هذه الأُمَّة.

وكما قرّر المحقّقون من العلماء أنّ الشّنة مبيّنة للقرآن، وضمن الله تعالى لحفظ القرآن يستلزم حفظ الشّنة؛ لأنّ حفظ المبيّن يستلزم حفظ بيانه، ومن هنا هيأ الله الأسباب لحفظ الشّنة، حينما هيأ العلماء لينخلوا الأحاديث ويردّوا ضعيفها ومكذوبها، ويحفظوا صحيحها وحسنها، فهذا ممّا أكرم الله به هذه الأُمَّة، حفظ لها مصادر هذا الدين، لا توجد أُمَّة حُفظ كتابها كما حُفظ كتاب هذه الأُمَّة.

### نموذج بشري فريد:

ثمّ أكرمنا الله بشيء ثان، أنّه وضع لنا نموذجاً بشرياً، تتمثّل فيه الأسوة الحسنة، ويتجسّد فيه الكمال البشري، أقصى الكمال البشري الذي يمكن أن يرتقي إليه بشر، هذا النموذج هو مُحَمَّدٌ ﷺ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

كان النَّاسُ في حاجة إلى نموذج تتجسّد فيه الكمالات البشريّة، النَّاسُ ليسوا فلاسفة، وإنّما النَّاسُ العاديُّون يحتاجون إلى شيء مرئيٍّ مُحسٍّّ مجسّم، فكان هذا هو رسول الله ﷺ الذي جسّدت فيه تعاليم القرآن وأخلاقه، كما قالت زوجته وألصق النَّاس به عائشة رضي الله عنها حين سُئلت عن أخلاقه فقالت: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ (١).

كانت حياته ﷺ قرآناً مفسّراً ومجسّداً، الله سبحانه تعالى أعطى لنا هذا النموذج، هذه الأسوة، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، أسوة حسنة في معاملته للحقّ تبارك وتعالى، وفي معاملته الحقّ له، في معاملته للخلق، وفي معاملته الخلق له، في كلّ شؤون الحياة نجد هذه الأسوة، هي أسوة جامعة، أسوة شاملة، لا يتسع المجال للحديث عن مجالات هذه الأسوة، لعلّ لنا في ذلك حديثاً آخر.

إنّما الذي نريد أن نقوله: إنّ سيرة مُحَمَّد ﷺ هي ينبوع دافق، تتجلى فيه هذه الأسوة، كيف دعا إلى الله ﷻ، وكيف صبر على متاعب الدعوة، وكيف ذاق الأمرين، ذاق الصّاب (٢) والعلقم وهو يدعو النَّاس إلى الله، يأخذ بأيديهم إلى صراط الله، يزيح من عقولهم أباطيل الوثنيّة، ينشر في هذه الرؤوس نور الله، ماذا قاسى وماذا لقي، نأخذ هذا من سيرته ﷺ التي حُفظت - أيضاً، لم تُحفظ سيرة نبي، ولا سيرة زعيم من الزعماء كما حُفظت سيرة مُحَمَّد ﷺ.

رُويت هذه السيرة لنا بحذافيرها بقضّها وقضيضها، الخاص فيها والعام، ليس فيها شؤون شخصيّة يقال: أبعدها هذه لا تروى للنّاس، ليس

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١)، عن عائشة.

(٢) الصّاب: شجر مرّ، واحدته: صابة. وقيل: هو عصارة الصبر.

فيها دائرة حمراء يقال: هذه خاصّة اتركوها، كما يقال عن الزعماء: اتركوا حياتهم الخاصّة.

لا، مُحَمَّدٌ ﷺ حياته الخاصّة ملك للأمة؛ لأنّهم يجدون فيها القدوة والتشريع، تروي ذلك عنه تسع نسوة مات عنهن ﷺ، إذا نسيت واحدة ذكرت الأخرى؛ لأننا نجد في هذه الحياة الخاصّة أسوة لنا وقدوة، نهتدي بهداها، ونقتبس من سناها.

من سيرة مُحَمَّدٍ ﷺ ما حدث له في مكّة، في العهد المكي؛ ثلاث عشرة سنة ظلّ يدعو فيها إلى الله ﷻ، ظلّ يربي الجيل الأوّل، الذي سيحمل رسالة الإسلام وعبء الدعوة إليه، يريه في تلك الدار عند الصفا؛ دار الأرقم بن أبي الأرقم، ظلّ مُحَمَّدٌ ﷺ ثلاثة عشر عامًا في مكّة يغرس العقيدة، يُرَبِّي النَّاسَ عَلَى التَّوْحِيدِ، عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، عَلَى الْإِيمَانِ بِأَصُولِ الْفَضَائِلِ وَالْأَخْلَاقِ، عَلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ نَاصِرٌ دَعْوَتِهِ، وَحَامٍ عَبْدِهِ، وَمُظْهِرٌ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، ظلّ النَّبِيُّ ﷺ ثلاثة عشر عامًا في مكّة.

### محطات الدعوة المكية:

في العهد المكي هناك محطات نعرفها في هذا العهد المكي، بعد أن بعث الله محمدًا ﷺ: موقف خديجة رضي الله عنها، وموقف ورقة بن نوفل، وموقف: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ودعوته على الصفا، موقف الإيذاء من قريش، موقف الهجرة إلى الحبشة مرتين، موقف المقاطعة للنبي ﷺ وأصحابه الذين آمنوا به وأقاربه من بني هاشم وبني المطلب، الحصار الاقتصادي والمقاطعة الاجتماعية ثلاث سنوات، وهناك موقف عام الحزن؛ موت خديجة رضي الله عنها وأبي طالب، خديجة كانت مؤنسه في الداخل، وأبو طالب كان الذي يسنده في الخارج.

ثمّ موقف ذهابه ﷺ إلى الطائف، وردُّ أهل الطائف له أسوأ ردِّ، وموقف دعائه وتضرعه ﷺ أثناء عودته من الطائف حينما لقي ما لقي منهم، وقال مناجياً ربّه: «اللهمَّ إليك أشكو ضعف قوّتي، وقلة حيلتي، وهواني على النَّاس، أرحمَ الراحمين، أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلمي؟ إلى عدوِّ يتجهَّمُني، أم إلى قريب ملكته أمري؟ إن لم تكن غضباناً عليّ فلا أبالي، إن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدُّنيا والآخرة: أن تُنزل بي غضبك، أو تُحل عليّ سخطك، لك العُتبي حتّى ترضى، لا قوّة إلَّا بك»<sup>(١)</sup>.

### المحطّة المهمّة في الحياة المكيّة:

ثمّ كانت محطّة الإسراء والمعراج، هذه المحطّة المهمة في حياته في مكّة، وعن هذا الإسراء والمعراج حديثنا في هذا اليوم.

الإسراء هو الرحلة الأرضيّة التي هيأها الله لرسوله ﷺ من مكّة إلى القدس، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، رحلة أرضيّة ليليّة، والمعراج رحلة من الأرض إلى السماء، من القدس إلى السماوات العلا، إلى مستوى لم يصل إليه بشر من قبل، إلى سدرة المنتهى، إلى حيث يعلم الله ﷻ.

هاتان الرحلتان كانتا محطّة مهمة في حياته ﷺ، وفي مسيرة دعوته في مكّة.

بعد أن قاسى رسول الله ﷺ ما قاسى، وعانى ما عانى من قريش،

(١) رواه الطبراني (٧٣/١٣)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٨٣٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٥١): فيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات. وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٩٣٣)، عن عبد الله بن جعفر.

قال: لعليّ أجد أرضاً أخصب من هذه الأرض عند ثقيف، عند أهل الطائف، فوجد منهم ما لا تحمد عقباه، ردّوه أسوأ ردّ، سلّطوا عليه عبيدهم وصبيانهم وسفهاءهم يرمونه بالحجارة، حتّى أدّموا قدميه الشريفتين ﷺ، ومولاه زيد بن حارثة يدافع عنه، ويحاول أن يتلقّى عنه هذه الضربات، حتّى شجّ عدّة شجاج في رأسه.

خرج ﷺ من الطائف داميّ القدمين، ولكن الذي ألمه ليس الحجارة التي جرحت رجله، ولكن الذي ألمه أكثر هو هذا الكلام الذي جرح قلبه، ولهذا ناجى ربّه هذه المناجاة، وبعث الله إليه ملك الجبال يقول له: إن شئت أن أطبق عليهم الجبلين؟

ولكنّه ﷺ أبى ذلك وقال: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً»<sup>(١)</sup>، «اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون»<sup>(٢)</sup>.

### حِكم الإسراء والمعراج:

ثم هيأ الله لرسوله ﷺ هذه الرحلة، رحلة الإسراء والمعراج؛ ليكون ذلك تسرية وتسلية له عمّا قاسى؛ تعويضاً عمّا أصابه، ليعلمه الله ﷻ أنّه إذا كان قد أعرض عنك أهل الأرض فقد أقبل عليك أهل السماء، إذا كان هؤلاء النَّاس قد صدوك فإنّ الله يرحّب بك، وإنّ الأنبياء يقتدون بك ويتخذونك إماماً لهم، كان هذا تعويضاً لرسول الله ﷺ، وتكريماً له من ربّه ﷻ، وتهيئة له للمرحلة القادمة، فإنّه ﷺ بعد سنوات قليلة، قيل: إنّها

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٣١)، ومسلم في الجهاد (١٧٩٥)، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٧)، ومسلم في الجهاد (١٧٩٢)، عن ابن

ثلاث سنوات، وقيل: إنها ثمانية عشر شهراً، فإنه لا يُعلم بالضبط الوقت الذي أسري به برسول الله ﷺ، إنما كان الإسراء قبل الهجرة يقيناً، ستبدأ حياة الجهاد والصدام والنضال المسلح، سيواجه النبي ﷺ العرب جميعاً، وسترميه العرب عن قوس واحدة، وستقف الجبهات المتعددة ضد دعوته العالمية: الجبهة الوثنية في جزيرة العرب، والجبهة الوثنية المجوسية من عبّاد النار، والجبهة اليهودية المحرّفة لما أنزل الله، والغادرة والتي لا ترقب في مؤمن إلا ولا ذمة، والجبهة النصرانية التي حرّفت الإنجيل، وخلطت التوحيد بالوثنية، التي تتمثل في دولة الروم البيزنطية.

كان لا بدّ أن يتهيأ ﷺ لهذه المرحلة الضخمة المقبلة، وهو يواجه كلّ هذه الجبهات بهذا العدد القليل، وبهذه العدة الضئيلة، فأراد الله أن يريه من آياته في الأرض وآياته في السماء، قال الله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، حتى يرى آيات الله في هذا الكون، وفي السماء - أيضاً، كما قال الله تعالى في سورة النجم التي أشار فيها إلى المعراج: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى \* لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٧، ١٨].

أراد الله أن يريه من هذه الآيات الكبرى حتى يقوى قلبه، ويصلب عوده، وتشتد إرادته في مواجهة الكفر بأنواعه وضلالاته، كما فعل الله تعالى مع موسى ﷺ حينما أراد أن يبعثه إلى فرعون الطاغية الجبار الذي قال للناس: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [التّأعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]. حينما أراد الله أن يبعث موسى إلى فرعون أراه من آياته ما يقوى قلبه، فلا يخاف فرعون ولا يتزلزل أمامه، حينما ناجى

اللَّهُ وَجَّكَ قَالَ: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنْوَكْتُهَا عَلَيْهَا وَأَهَشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَثَارِبُ أُخْرَى ﴾ قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَى ﴾ فَأَلْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ءَايَةٌ أُخْرَى ﴾ لِزُرَيْكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ [طه: ١٧ - ٢٣].

هذا هو السرُّ، ﴿ لِزُرَيْكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾، فإذا علمت أنك تركز إلى ركن ركين، وتعتصم بحصن حصين، وتتمسك بحبل متين، فلن تخاف عدوًّا، هكذا فعل الله مع موسى ﷺ، وهكذا فعل الله مع مُحَمَّدٍ ﷺ، أراه من آياته في الأرض، ومن آياته في السماء، الآيات الكبرى؛ ليستعد للمرحلة القادمة، فكان الإسراء والمعراج تهيئة لرسول الله ﷺ، وكان تكريمًا لرسول الله ﷺ، وكان تسليية لرسول الله ﷺ عما أصابه من قومه في مكة وفي الطائف.

### أهمية الصلاة في حياة المسلم:

وكان الإسراء والمعراج لشيء مهم جديد في حياة المسلمين وله أثره في حياتهم المستقبلية، هو فرض الصلاة، فرض الله الصلوات في هذه الليلة.

عادة الدول حينما يكون هناك أمر مهم تستدعي سفراءها، لا تكتفي بأن ترسل إليهم رسالة، إنما تستدعيهم ليمثلوا عندها شخصيًا، وتتشاور معهم، وهكذا أراد الله ﷻ أن يستدعي سفيره إلى الخلق محمدًا ﷺ؛ ليُسري به إلى المسجد الأقصى، ثم يُعرج به إلى السماوات العُلا، إلى سدرة المنتهى، ليفرض عليه الصلاة، إيذانًا بأهمية هذه الفريضة في حياة الإنسان المسلم والمجتمع المسلم.

هذه الفريضة التي تجعل المرء على موعد مع ربه دومًا، هذه الفريضة فُرِضت أوَّل ما فُرِضت خمسين صلاة، ثمَّ ما زال النَّبِيُّ ﷺ يسأل ربه التخفيف بإشارة أخيه موسى حتَّى خَفَّفَ اللهُ عنه هذه الصَّلوات إلى خمس صلوات في اليوم واللييلة، وقال: «هي خمس، وهي خمسون، لا يُبَدَّلُ القول لديَّ»<sup>(١)</sup>، أي: أنَّها خمس في العمل، ولكنَّها خمسون في الأجر، فالصَّلَاة من بقايا هذه اللييلة المباركة، فهي معراج لكلِّ مسلم، إذا كان النَّبِيُّ ﷺ قد عُرِجَ به إلى السماوات العلاء، فلديك - يا أخي المسلم - معراج روحي، تستطيع أن ترقى به إلى ما شاء اللهُ ﷻ بواسطة الصَّلَاة.

الله تبارك وتعالى يقول في شأن الصَّلَاة في الحديث القدسي: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ٣]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً: فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»<sup>(٢)</sup>.

فالمسلم وهو يصلي يستطيع أن يرتقي حتَّى ليكاد يسمع هذه الكلمات من الله تبارك وتعالى، فالصَّلَاة هي معراج المسلم إلى الله تبارك وتعالى.

(١) متَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري في الصَّلَاة (٣٤٩)، ومسلم في الإيمان (١٦٣)، عن أنس بن مالك.

(٢) سبق تخريجه ص ١٨٤.



## المرور ببيت المقدس:

ثم لا بدّ أن ننظر لماذا كان هذا الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؟ لماذا لم يعرج برسول الله ﷺ مباشرة من المسجد الحرام إلى السماوات العُلا؟

هذا يدلُّنا على أنّ المرور بهذه المحطّة القدسية، المرور ببيت المقدس، بهذه الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، المرور بالمسجد الأقصى كان مقصودًا.

والصلاة بالأنبياء الذين استقبلوا رسول الله ﷺ في بيت المقدس، وإمامته لهم ﷺ، هذا - أيضًا - له معناه وله دلالته، معناه: أنّ القيادة قد انتقلت إلى أمة جديدة وإلى نبوة جديدة، إلى نبوة عالميّة، ليست كالنبوات السابقة التي أرسل فيها كلُّ نبيٍّ لقومه.

هذه نبوة عامّة خالدة، لكلِّ النَّاس، رحمة للعالمين، ولجميع الأقاليم، ولسائر الأزمان، فهي الرسالة الدائمة إلى يوم القيامة، عموم هذه الرسالة وخلودها كان أمرًا لا بدّ منه، وهذه الصلاة بالأنبياء تدل على هذا الأمر، والذهاب إلى المسجد الأقصى وإلى أرض النبوات القديمة التي كان فيها إبراهيم، وكان فيها إسحاق، وكان فيها موسى، وكان فيها عيسى؛ إيدان بانتقال القيادة إلى أمة جديدة، وبالرسالة العالميّة الخالدة الجديدة.

ثمّ أراد الله ﷻ أن يربط بين المسجدين، المسجد الذي ابتداءً منه الإسراء، والمسجد الذي انتهى إليه الإسراء، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أراد أن يرتبط في وجدان المسلم هذان المسجدان،



المسجد الحرام والمسجد الأقصى، ويتجلى هذا بوصف الله المسجد الأقصى بقوله: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾، وصف الله هذا المسجد بالبركة، وهذا قبل أن يوجد مسجد رسول الله ﷺ؛ لأنَّ المسجد النبوي لم يُنشأ إلاَّ بعد الهجرة في المدينة، فأراد الله أن يوطد هذا المعنى ويثبته في عقول الأمة وقلوبها حتى لا يفرطوا في أحد المسجدين، من فرط في المسجد الأقصى أو شك أن يفرط في المسجد الحرام، الذي ارتبط بالإسراء والمعراج، والذي صلى إليه المسلمون مدة طويلة من الزمن.

حينما فرضت الصَّلَاة كان المسلمون يصلون إلى بيت المقدس، كان بيت المقدس قبلتهم، ثلاث سنين في مكة، وستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا في المدينة صلوا إليه، إلى بيت المقدس، فهو القبلة الأولى.

### مكانة القدس عند المسلمين:

كان المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى، وهو أرض الإسراء والمعراج، وهو أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلاَّ إليها، قال رسول الله ﷺ: «لا تُشَدُّ الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى»<sup>(١)</sup>.

وبهذا كانت القدس هي المدينة الثالثة المعظمة في الإسلام بعد مكة والمدينة.

هكذا ينبغي أن يعي المسلمون أهمية القدس في عقيدتهم، وأهمية المسجد الأقصى في دينهم وفي عقيدتهم وفي حياتهم، ومن أجل هذا حرص المسلمون طوال التاريخ أن يظلَّ هذا المسجد بأيديهم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١١٨٩)، ومسلم في الحج (١٣٩٧)، عن أبي هريرة.

حينما احتلّ الصليبيّون المسجد حينما جاؤوا إلى فلسطين بقضّهم وقضيضهم، وثالوثهم وصليبهم، جاؤوا من أوربا، ظهر من القادة من أبناء الإسلام من نذروا حياتهم لتحرير هذا المسجد.

وكان هؤلاء القادة من غير العرب، بدأ ذلك بعماد الدين زنكي القائد التركي، ثمّ بابنه نور الدين محمود الشهيد، الذي لقّب بالشهيد مع أنّه لم يُستشهد، ولكنّه عاش حياته تائقاً إلى الشهادة في سبيل الله، وكان يشبّه بالخلفاء الراشدين في عدله وزهده وحسن سياسته.

ثمّ تلميذه صلاح الدين الأيوبي، البطل الكردي الذي حقّق الله على يديه النصر في معركة حطين، وفي معركة بيت المقدس استعاد بيت المقدس، ولم يرق فيها من الدماء إلاّ بقدر الضرورة، أمّا الصليبيّون فلمّا احتلّوا بيت المقدس غاص النَّاس في الدماء إلى الركب، قُتل الآلاف وعشرات الآلاف، عندما دخل الصليبيّون بيت المقدس.

حينما كان الإسراء لم يكن المسجد الأقصى بناء، كان هناك مكان للمسجد، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦]، فقلوله: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ بشارة بأنّ المكان سيتحول إلى مسجد، وهو أقصى بالنسبة إلى أهل الحجاز، ومعنى هذا أنّ الإسلام سيمتد وسيأخذ هذا المكان الذي تسيطر عليه الإمبراطوريّة الرومانيّة ويدخل في مساجد المسلمين.

كان هذا بشارة للمسلمين أنّ دينهم سيظهر، وأنّ دولتهم ستوسع، وأنّ ملكهم سيمتدّ، وسيكون هناك مسجد أقصى، وقد كان.

دخل المسلمون القدس في عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، أبي بطريك القدس اسمه: «صفرونيوس» أن يسلم مفتاح المدينة إلّا إلى خليفة

المسلمين، لم يسلمها للقادة العسكريين، وجاء عمر في رحلة تاريخية شهيرة مثيرة وتسلم مفتاح المدينة، وكتب عهدًا يسمّى: «العُهدة العمرية»، عاهدهم على أن يأمنوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم ومعابدهم وشعائهم، وكلّ ما يحرص النَّاس عليه، وشرطوا عليه ألا يساكنهم فيها أحد من اليهود.

وحينما دخل المسلمون إلى القدس لم يكن فيها يهودي واحد؛ فقد أزال الرومان الوجود اليهودي تمامًا في سنة ١٣٥م.

ولذلك المسلمون لم يأخذوا القدس من اليهود، ولا من الإسرائيليين، إنّما أخذوها من الرومان، الرومان أجلوهم عن القدس تمامًا.

وقبل ذلك زالت الدولة اليهوديّة على يد البابليين، زالت دولة اليهود هناك منذ أكثر من خمسة وعشرين قرنًا، سنة ٤٨٦ قبل الميلاد.

والآن يريد اليهود أن يقولوا: نحن أصحاب القدس، هم لم يعيشوا فيها إلاّ أقلّ من خمسمائة عام، بعد داود وسليمان انقسمت دولتهم قسمين، دولة يهوذا، ودولة إسرائيل، دولة في القدس، ودولة في نابلس، إحدى الدولتين انقضت قبل أن تتم ثلاثة قرون، والأخرى بقيت أربعة قرون وعدة سنوات، ثمّ انتهت وجود السلطة الإسرائيليّة والدولة الإسرائيليّة تمامًا.

ثم يأتي هؤلاء الآن ويقولون: لنا حقّ تاريخي، أين هذا الحقّ؟

نحن أصحاب هذا الحقّ، القدس دخلها العرب من قديم، اليبوسيون والكنعانيون، قبل الميلاد بثلاثين قرنًا، دخلها اليبوسيون، ثمّ دخلها الكنعانيون، ثمّ أخذها المسلمون من الكنعانيين من أربعة عشر قرنًا أو تزيد، فأين حقّكم؟ وأين ما تدعوناه؟!

إنَّه لا حقَّ لهؤلاء، ولكنَّه حقُّ الحديد والنَّار، تكلمَّ السيف فاسكت  
أيُّها القلم، منطق القوَّة وليس قوَّة المنطق.

### لا تفريط في القبلة الأولى:

نحن نرفض هذا المنطق، ونتمسك بحقنا، نتمسك بالمسجد  
الأقصى، ولا نفرط فيه، إذا فرطنا في المسجد الأقصى فقد فرطنا في  
قبلتنا الأولى، ومن فرط في قبلته الأولى يوشك أن يفرط في قبلته  
الثانية، إن فرطنا في قبلتنا الأولى فرطنا في أرض الإسراء والمعراج،  
فرطنا في ثالث المسجدين المُعظَّمين، فرطنا في ديننا ودياننا وكرامتنا  
وحقوقنا، ولن نفرط في ذلك أبدًا، سنظلُّ نقاوم ونجاهد.

إسرائيل تريد أن ترغمنا على الأمر الواقع، هي في كلِّ يوم تفعل  
شيئًا، تقيم مستوطنات، تزيل بيوتًا، تهدد النَّاس في القدس، تُخرج  
النَّاس من مدنهم ولا تسمح لهم بالعودة، لا تسمح لأحد أن يبني بيتًا.

كلُّ ذلك لترغمنا أن نرضى بالأمر الواقع، وهم يقولون الآن: خذوا  
حجارة المسجد الأقصى، سرقمها لكم، واحد اثنان ثلاثة.. عشرة وهكذا،  
انقلوا هذه الحجارة إلى المملكة السعودية، وابنوا ما شئتم من مسجد  
هناك، مستعدون أن ندفع لكم النفقات، كأنَّ الحجارة هي المقدَّسة.

المكان هو الَّذي قدَّسه الله وليس الحجارة، يمكن أن تأتي بأي  
حجارة، إنَّما القدسية لهذا المكان الَّذي بارك الله حوله، في هذه  
الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، لن نقبل أن نبيع المسجد  
الأقصى، هم يحفرون تحت هذا المسجد حفريَّات مُتَّصلة، ولا ندري  
متى ينهار هذا المسجد!



والآن يقولون: إنَّ هناك بقرة حمراء، يزعمون أنَّها إشارة إلى قرب بناء معبد سليمان أو هيكل سليمان، ولا يُبنى هيكل سليمان إلاَّ على أنقاض المسجد الأقصى، ويزعمون أنَّ البقرة إذا بلغت ثلاث سنوات فقد آن الأوان لبناء الهيكل.

هكذا يمكرون، وهكذا يزعمون، ربَّما ليُهدِّدونا، ليُزعجوننا، ليُخيفونا، ليفتُّوا في عضدنا، لنستسلم أكثر ممَّا نستسلم، ولكننا لن نستسلم أبدًا، ليعيشوا بأبقارهم وعجولهم التي عبدوها من قديم، يوم عبدوا عجل السامري، لن يززعنا هذا، لن يزحزحنا عن موقفنا، لن نقبل أبدًا ضياع المسجد الأقصى.

كلُّ مسلم عليه واجب نحو هذا المسجد، الأمر لا يتعلَّق بالفلسطينيين وحدهم، كلُّ المسلمين مسؤولون عن القدس وعن المسجد الأقصى، أنا قلتُ لبعض الإخوة الفلسطينيين: لو أنكم تقاعستم وتخاذلتم واستسلمتم وهزمتم نفسيًّا وسلَّمتم المسجد الأقصى لوجب علينا أن نقاتلكم كما نقاتل اليهود، دفاعًا عن حرماننا وعن مقدَّساتنا، وعن قدسنا، وعن مسجدنا الأقصى.

المسجد الأقصى ليس ملكًا للفلسطينيين حتَّى يقول بعض النَّاس: هل أنتم ملكيُّون أكثر من الملك؟ هل أنتم فلسطينيُّون أكثر من الفلسطينيِّين؟

نعم نحن فلسطينيون أكثر من الفلسطينيِّين، وقدسيُّون أكثر من القدسيِّين، هذا مسجدنا، هذه حرماننا، هذه كرامة أممتنا، هذه عقيدتنا، سنظلُّ نوعيَّ المسلمين ونقف ضدَّ هذا التهويد للأقصى ومقدَّساته.

لقد أراد الله تبارك وتعالى أن يربط هذا المسجد بهذه الذكرى ذكرى الإسراء والمعراج؛ لنظّل في كلّ عام كلّما جاءت ذكرى الإسراء في أواخر رجب واحتفل بها المسلمون في كلّ مكان، تذكّرنا هذا الأمر الجلل، هذه القضية الخطيرة، هذه القضية المقدّسة.

لا يمكن - أيها الإخوة - أن نُفَرِّط فيها، إذا كان اليهود قد حلموا بإقامة دولة، واستطاعوا أن يحققوا حلمهم، فعلينا أن نحلم بأننا سنحرّر قدسنا؛ لأننا لا يمكن أن نُفَرِّط في مسجدنا، حتّى إن رأينا الواقع المرّ يستسلم هذا الاستسلام وينهزم هذا الانهزام، فلا يجوز لنا أن نسير في ركاب المنهزمين. يجب أن نعتقد أنّ الله تبارك وتعالى معنا، وأنّ الله مؤيّدنا وناصرنا، وأنّه مظهر دينه على الدّين كلّ، وأنّه ناصر الفئة المؤمنة، وكما روى الإمام أحمد والطبراني عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا تزال طائفة من أمّتي على الدّين ظاهرين، لعدوّهم قاهرين، لا يضرّهم من خالفهم، إلّا ما أصابهم من لأواء، حتّى يأتيهم أمر الله وهم كذلك». قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟

قال: «بيت المقدس وأكناف بيت المقدس»<sup>(١)</sup>.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنّهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

(١) رواه أحمد (٢٢٣٢٠)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره، دون قوله: قالوا: يا رسول الله، وأين هم...، وهذا إسناده ضعيف. وأطالوا في التخرّيج فليُنظر، ورواه الطبراني (١٤٥/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢٤٨): رواه عبد الله وجادة عن خط أبيه، والطبراني ورجاله ثقات. عن أبي أمامة الباهلي.



## أَقْبَلْ شَهْرَ الصِّيَامِ (١)

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ سَيَهْلُ عَلَيْنَا بِهَلَالِهِ الْمُبَارَكُ: شَهْرُ رَمَضَانَ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

### من فضائل شهر رمضان:

شهر رمضان شهر تجديد الإيمان، شهر تدارك المسلم ما فاته من تفريط في جنب الله؛ فيه يحاول كل مسلم أن يتطهر من سيئاته، وأن يضاعف من حسناته.

فهذا الشهر فرصة ليشحن المسلم بطائرته الروحية والإيمانية التي فرغت، أو أوشكت أن تفرغ من الغفلات واتباع الشهوات، وإضاعة الصلوات.

(١) أُلْقِيَتْ هَذِهِ الْخُطْبَةُ فِي جَامِعِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدُّوْحَةِ، ١ نَوْفَمْبَرٍ ٢٠٠٢مَ الْمَوْافِقَ ٢٦ شَعْبَانَ

فيه فرصة ليخرج المسلم مغفور الذنوب من هذا الشهر الكريم؛  
ف«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ  
الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(١)</sup>، «وَمَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا  
وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٢)</sup>.

إنَّهَا فُرْصَةٌ لِلتَّطَهُّرِ وَالْغَفْرَانِ.

وَيَا خَيْبَةَ مَنْ أَتَاهُ هَذَا الْمَوْسِمُ وَلَمْ يَظْفَرْ مِنْهُ بِمَغْفَرَةٍ، هَذَا هُوَ الشَّقِيُّ.  
الشَّقِيُّ مَنْ جَاءَهُ رَمَضَانٌ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، دَعَا جَبْرِيلَ، وَأَمَّنَ عَلَيْهِ  
مُحَمَّدٌ ﷺ: «بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ».  
هَكَذَا قَالَ جَبْرِيلُ، وَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: «آمِينَ»<sup>(٣)</sup>.

فِيَا وَيْلَ مَنْ دَعَا عَلَيْهِ جَبْرِيلُ وَأَمَّنَ عَلَى دَعَائِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ آمِينَ  
السَّمَاءِ وَأَمِينَ الْأَرْضِ.

شَهْرُ رَمَضَانَ فُرْصَةٌ لِلتَّطَهُّرِ وَالْغَفْرَانِ، فَتَنَافَسُوا فِي الْخَيْرَاتِ، لِمِثْلِ  
هَذَا فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

الشَّقِيُّ مَنْ حُرِمَ رَحْمَةَ اللَّهِ فِي رَمَضَانَ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فضل ليلة القدر (٢٠١٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠)،  
عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩)، عن  
أبي هريرة.

(٣) رواه الطبراني (١٤٤/١٩)، والحاكم في البر والصلة (١٥٣/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي،  
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣١٧): رواه الطبراني، ورجاله ثقات. وقال الألباني في  
صحيح الترغيب (٩٩٥): صحيح لغيره. عن كعب بن عجرة.



### الفرق بين استعداد السلف واستعدادنا في استقبال رمضان:

ولذلك كان السلف الصالح إذا أقبل رمضان يقولون: مرحبًا بالمُطَهَّر! الذي نتطهَّر فيه من الذنوب والخطايا، ولذلك كانوا يتأهبُّون لرمضان أمَّا نحن فتأهب لرمضان ونستعدُّ له بإحضار ما لذَّ وطاب من الطعام والشراب.

انظر إلى النَّاس في الأسواق والجمعيات ماذا يعدُّون لرمضان!؟

المسلمون يأكلون في رمضان ويُنفقون في رمضان أضعاف ما يُنفقون في الشهور الأخرى، فليس هو شهرًا للإعداد للتقوى كما قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، يعني: لعلكم تتهيَّؤون للتقوى بهذا الصيام، وتعلَّمون فيه مراقبة الله وَعَلَّكُمْ.

فالمسلم يصوم عن الطعام والشراب كما في الحديث القدسي: «يَدَعُ الطعام من أجلي، ويدع الشراب من أجلي، ويدع لذته من أجلي، ويدع زوجته من أجلي»<sup>(١)</sup>.

### الصَّيَامُ الْحَقِيقِيُّ:

الَّذِي يَفْطَمُ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ الَّتِي كَانَتْ حَلَالًا لَهُ أَوْلَىٰ بِهِ أَنْ يَفْطَمَ نَفْسَهُ عَنِ الْحَرَامِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

ليس الصَّيَامُ أَنْ يَصُومَ بَطْنُكَ وَفَرْجُكَ، وَكُلُّ جَوَارِحِكَ مَفْطَرَةً: لِسَانُكَ

(١) رواه ابن خزيمة في الصيام (١٨٩٧)، عن أبي هريرة. وأصل الحديث في الصحيحين: رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصوم.

يفطر على الكذب والغيبة والنميمة، والسخرية والسبّ والشتم، وعينك  
تفطر على رؤية الحرام في الطرقات أو في التلفزيون، وكذلك أذُنك تفطر  
على سماع الأغاني الخليعة والكلمات البذيئة.  
لا بدّ أن يصوم كلُّك عمّا حرّم الله وَعَجَلِك.

### رمضان شهر لتربية الإرادة:

شهر الصبر، الصبر يعني قوّة الإرادة، فلا بدّ أن نتعلّم من رمضان  
كيف تقوى إرادتنا؟

لا بدّ أن نهَيِّئ أنفسنا لتقوى الله في شهر رمضان، لنرتقي بأرواحنا،  
بأنفسنا، لننافس الملائكة وبياهي الله بنا الملائكة.

### الفهم الخاطئ عن رمضان:

أرى المسلمين أساءوا فهم شهر رمضان؛ فهناك من ظنّوا أنّ شهر  
رمضان شهر الكسل والبطالة، وهناك من ظنّوا أنّ شهر رمضان هو شهر  
الأكل والشرب طول الليل والنوم طول النهار، وهناك من اعتقدوا أنّ  
شهر رمضان شهر السهرات المباحة (النّعشة والفرفشة) شهر الفوازير  
المائعة، وهناك من اعتقد أنّ شهر رمضان شهر السباب والشجار يسبّ  
الإنسان صاحبه، ثمّ يقول الناس: اعذروه فإنّه صائم! كأنّ الإسلام شرع  
الصّيام ليفسد الأخلاق، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «والصّيام جنّة، وإذا كان يومٌ  
صوم أحدكم فلا يرفث ولا يضحّب، فإنّ سابّه أحد أو قاتله فليقل: إنّي  
امرؤ صائم»<sup>(١)</sup> يقولها في نفسه، ويقولها لصاحبه، إنّي صائم؛ فلا ينبغي  
أن أخرج الصّيام، وأن أخرج الصّيام.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصّوم، عن أبي هريرة.



### هل السباب والغيبة تفطر:

حتى إن بعض علماء السلف قالوا: إن مثل هذه الأشياء - من السباب والغيبة والنميمة والكذب - تفطر الصائم، أي: كأنما أكل أو شرب، وعليه أن يعيد يوماً بدل هذا اليوم.

وقال جمهور العلماء: لا؛ هي لا تفطره، ولكنها تضيّع أجره.

فما أحق هذا المسكين الذي يظلّ جائعاً عطشان يوماً كاملاً، ثم لا ينال من الأجر مثقال ذرة؛ ضيّع ثوابه وأجره بهذا الهراء، بهذا الكلام الفارغ، الذي يضر ولا ينفع.

### فاستبقوا الخيرات:

يا أيّها الإخوة المسلمون، نحن في حاجة إلى أن نستبق الخيرات، وأن نفظم النفوس عن الشهوات، وأن نسابق في عمل الصالحات، وأن نصوم فنحسن الصيام، ونقوم فنحسن القيام.

### رمضان ربيع الحياة الإسلامية:

أنا أسمي رمضان: ربيع الحياة الإسلامية؛ ففيه تتجدد حياتنا الإسلامية كلّ عام، فيه تتجدد العقول بدروس العلم والمعرفة، وفيه تتجدد القلوب بالإيمان والعبادة، وفيه تتجدد الأسرة بالتلاقي والترابط، ويتجدد المجتمع كلّهُ بحسن الصلة والبحث عن الفقراء والمساكين وإطعام الجائعين، فلا بدّ أن نستفيد من هذا الربيع وبالحياة الإسلامية الإيمانية.

### الاستفادة من رمضان لاستلهام الماضي التليد:

وما أحوجنا، ثمّ ما أحوجنا، إلى أن نستفيد من رمضان وروحانيّة رمضان والجوّ الرباني في رمضان، ما أحوجنا إلى ذلك في أيامنا هذه،

والإسلام يهاجم من كلّ جانب، وأمة الإسلام في أسوأ أحوالها، تمزق وتشردم وضياع وهوان واستخذاء أمام الأعداء.

الأمة التي كان لها ماضٍ مزدهر، الأمة التي كان خليفتها يتحدى السحابة في السماء، هذه الأمة أصبحت تستخذي وتستسلم أمام الأعداء، هذه الأمة أصبحت في مرحلتها الغثائية: «... ولكنكم غثاء كغثاء السيل»<sup>(١)</sup>، الغثاء الذي يجمع أشياء غير متناسبة وغير متناسقة: خشبٌ وحطبٌ وقشٌّ وورقٌ وعيدان، ولا تناسق بينها، وكلُّها خفيفة سطحية، لا تنزل إلى الأعماق، وليس لها هدف تسعى إليه ولا مجرى معلوم تمشي فيه. هذه هي الأمة في مرحلة الغثاء، ليس لها هدف واضح، ولا طريق معلوم.

### شهر الانتصارات:

الأمة في هذه المرحلة في حاجة إلى أن تتلقّى دروسًا من رمضان، وتستفيد من هذا الشهر الكريم، الذي وقعت فيه وقائع بين المسلمين وأعدائهم، انتصر فيها هذا الدين، وعلت كلمة الإيمان وارتفعت راية القرآن:

١ - بدر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

٢ - فتح مكة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا \* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر].

٣ - معركة عين جالوت: التي انتصر فيها المسلمون على التتار في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ.

ومعارك شتّى طوال التاريخ الإسلامي، حدثت في شهر رمضان.

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرجه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

فعلينا - أيها الإخوة المسلمون - أن نستفيد من شهر رمضان، أن نغذي فيه أرواحنا بالإيمان واليقين، أن نقوي الصلة فيه برّبنا، أن نستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

### على الأمة الإسلامية أن تضع يدها في يد الله:

لقد هانت هذه الأمة على نفسها، فهانت على ربّها، فهانت على أعدائها فما عادوا يقيمون لها وزناً، ولا يراعون لها حرمة، ولا يرقبون فيها إلا ولا ذمّة.

الأمة في حاجة إلى أن تضع يدها في يد الله، الأمة في حاجة إلى أن تتداوى من داء الغفلة، فشر ما أصاب أمتنا في هذه الفترة هو: الغفلة، والغفلة داء وبيل، وداء عُضال.

الله تعالى يقول لرسوله: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

لا تغفل عن ربك.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

لا يمكن أن تنتصر هذه الأمة وقد نسيت ربّها، فأنساها أنفسها، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

### لا بد أن تذكر الأمة ربّها ولا تبيس من روح الله:

في ساعات الشدائد لا يذكر الإنسان إلا ربّه، ويقول ما قال ذو النون حينما التقمه الحوت: ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

نادى في الظلمات: ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت.

هل يظنُّ أحد ابتلعه الحوت أن ينجو؟

ولكنَّ يونس - ذا النون - لم ييأس وقد التقمه الحوت وأصبح بطن الحوت قبراً له، ﴿فَكَادَى فِي الظُّلْمَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الأنبياء: ٨٨، ٨٩].

ولذلك جاء في الحديث: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إنِّي كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجلٌ مسلم في شيء قطُّ إلا استجاب الله له»<sup>(١)</sup>.

لا تيأس من روح الله مهما نزل بك من الشدائد، ومهما أحاط بك من المصائب، اعلم أنَّ هناك ربًّا يسيّر هذا الكون، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، خلق الأسباب، ولكن لا تحكم عليه الأسباب، يستطيع أن يفعل بسبب، ويستطيع أن يفعل بغير سبب، ويستطيع أن يعطل الأسباب، فيجعل النار لا تحرق، ويجعل البحر لا يُغرق، إنه الله عَزَّ وَجَلَّ.

يجب أن نتعلَّم من رمضان: أن نضع أيدينا في يد الله، وأن نقول: يا ربِّ، يا ربَّ الأرباب، ويا مسبِّب الأسباب، ويا مالك الملك، يا مَنْ تعزُّ مَنْ تشاء وتذلُّ مَنْ تشاء، اقهر أعداء الإسلام، ونجِّ هذه الأمة من الغمِّ والهَمِّ والكرب العظيم.

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٥)، وسكت الترمذي عنه؛ إلا أنَّه قال: ورواه جماعة عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن سعد؛ فلم يقل فيه: عن أبيه. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٤١٧)، والحاكم في التفسير (٣٨٢/٢، ٣٨٣)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. عن سعد بن أبي وقاص.

ما أحوجنا في شهر رمضان إلى أن نسط أكفنا بالضراعة إلى الله،  
شاعرين بالحاجة والاضطرار، وهو يجيب المضطر إذا دعاه، إذا دعوانه  
مضطرين أجابنا.

### رمضان والمصالحة مع الله ﷻ :

ما أحوجنا إلى أن نستفيد من شهر رمضان لنصطلح على الله،  
لا بد من مصالحة مع الله، ولا بد أن نعقد مصالحة مع أنفسنا، لا بد  
أن تتصالح هذه الأمة المتصارعة فيما بينها، التي مزقتها الفرقة  
ومزقتها التشرذم.

هذه الأمة قوة كبيرة، ولكنها قوة مقطعة الأوصال، قطعتها العصبيات  
والأيديولوجيات والأهواء والشهوات.

### رَبِّ ضارَّة نافعة:

من ثمرات الهجمة الصهيونية والأمريكية والصليبية الأخيرة على  
الإسلام وأمة الإسلام: إشعارنا أننا - نحن المسلمين - أمة واحدة، وكم  
من منحة في طي محنة، إن أعداءنا ينظرون إلى المسلمين باعتبارهم أمة  
واحدة! نحن حاولنا - أو حاول بعضنا - أن نضيّع هذا المعنى، وأن  
نميت هذا الشعور بين جنوبنا وفي داخلنا: هؤلاء عرب وهؤلاء عجم،  
وهؤلاء هنود، وهؤلاء أتراك، وهؤلاء إندونيسيون، وهؤلاء... حتى داخل  
العرب: هؤلاء شوام وسوريون، وهؤلاء مصريون، وهؤلاء مغاربة، إلخ.

أما هؤلاء، فينظرون إلى أمة الإسلام أمة واحدة.

ولهذا ينبغي أن نتوب من الغفلة، فنظر إلى أعدائنا أنهم كلهم  
جبهة واحدة.

الفقهاء قالوا: الكفر كله ملة واحدة، والله تعالى قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].  
ولذلك رأيت هذا الشعور قد تنامي، شعور وحدة الأمة، من جاكرتا، من جنوب الفلبين إلى رباط الفتح، إلى نواكشوط، كل هذه الأمة شعرت بأنها أمة واحدة، وأنها مهما حاولت أن تُخفي هذا فإن عدوها يعاملها على أنها أمة الإسلام، فلا يجوز أن يعاملنا عدونا على هذا ونعامل أنفسنا على أننا أمة متفرقة.

### الدعوة إلى المصالحة مع الأمة ومع أنفسنا:

ولذلك يُنمّي هذا الشهر فينا شعورًا مهمًا، ومن واجبنا أن نُقوّيه وأن نُغدّيه، ويجب أن ندعو إلى أن يتصالح أبناء الأمة بعضهم مع بعض، العرب والعجم، العرب بعضهم وبعض أولًا، ثم العرب والعجم ثانيًا.  
العرب لا يستطيعون أن ينشئوا قمة تجمعهم، إلا إذا صدرت إليهم الأوامر! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ليبيا تريد أن تخرج من العرب وتلتحق بإفريقيا، سواء كان هذا صوابًا أم خطأ فهذا ثورة على هذا العجز العربي، الذي لا يستطيع أن يحرك ساكنًا أو يفعل شيئًا، أمام الجبروت الصهيوني، وأمام العدوان على العراق، وأمام هذه القضايا الكبيرة.

يجب أن يتصالح الحكّام بعضهم وبعض، وأن ينسوا آثار حرب الخليج التي مزّقت الأمة، ويجب أن يصطلح الحكّام مع الشعوب، وأن يردموا هذه الهوة التي جعلت الحكّام في وادٍ والشعوب في أودية.  
يجب أن تصطلح الأمة، تصطلح النخب والجماهير، ويصطلح

الأغنياء والفقراء، الأقوياء والضعفاء، الإسلاميون والقوميون، الإسلاميون بعضهم وبعض.

هذا أوان التلاحم بين الجميع، وأن يكونوا كالبنيان المرصوص؛ لأننا في وقت معركة، ووقت المعركة لا مجال فيها للخلاف والتفرُّق، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بَنِينَ مُرْضُوعًا﴾ [الصَّف: ٤].

لا بدَّ أن نصلح مع أنفسنا، لا بدَّ من مصالحة عامَّة تجنِّد الأمة كلَّها في المعركة.

### مصدر القوَّة والنَّصر:

ولا بدَّ من مصالحة بعد ذلك، وقبل ذلك، مع الله **وَعَلَيْكُمْ**؛ فهو مصدر قوَّتنا، وهو الذي نلجأ إليه عند الشدائد والكربات، فيقوِّي الضعيف، ويأخذ بأيدي الفقير، ويمدِّ بالنَّصر والقوَّة ويُنزل الملائكة، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

### من شرِّ أمراض الأُمَّة في الفترة الأخيرة:

شرُّ ما أصيبت به هذه الأُمَّة في فترتها الأخيرة: الغفلة؛ الغفلة عن الله، والغفلة عن الآخرة، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ \* يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿ [الرُّوم: ٦، ٧].

### الغفلة عن الآخرة:

الغفلة عن الآخرة: أن يعيش الإنسان في يومه وينسى غده، ينسى مستقبله، ينسى قضيتته المصيرية الأولى: أهو من أهل الجنة أم من أهل النَّار.

## أذهلهم الطين عن الدين:

النَّاسُ غَفَلُوا عَنِ الْآخِرَةِ، وَاسْتَغْرَقَتْهُمْ الدُّنْيَا، عَاشُوا فِي وَحْلِ الدُّنْيَا  
وَفِي طِينِ الدُّنْيَا، أَذْهَلَهُمُ الطِّينُ عَنِ الدِّينِ، وَأَذْهَلَتْهُمُ الْأُولَى عَنِ الْآخِرَةِ،  
وَاسْتَبَدَّلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ، ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ  
الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿كُلُّ  
نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ تُجْرِكُمْ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ  
وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

الغفلة عن الآخرة، والاستغراق في الدنيا، والركون إليها هي الآفة.  
اتَّخَذْنَا الدُّنْيَا رَبًّا فَاتَّخَذْنَا الدُّنْيَا عِبِيدًا لَهَا، خَدَمْنَا الدُّنْيَا فَجَعَلْتَنَا  
خَدَمًا لَهَا.

والواجب أن يملك المؤمن الدنيا ولا تملكه، أن يعيش فيها  
ولا تعيش فيه، أن يجعل الدنيا في يده ولا يجعلها في قلبه، أن يكون  
أكبر همّه ومبلغ علمه «الآخرة» وليست الدنيا.

﴿فَاعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ  
الْعِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠]، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ \* وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ  
الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩].

## الغفلة عن سنن الله:

ثمَّ الغفلة عن سنن الله في الآفاق والأنفس، في الكون والمجتمع.  
غفلنا عن هذه السنن، عمل بها أعداؤنا فكسبوا الدنيا، وأهملناها  
فأضعنا الدنيا وأضعنا الدين.

عمل أعداؤنا بمراعاة سُنن الله في الأسباب والمُسببات، فتقدموا وتخلّفنا، وتعلّموا وجهلنا، ونظّموا أمورهم وأصبحت أمورنا فوضى. ومن سُنن الله: ألاّ ينتصر الجهل على العلم، ولا الفوضى على النظام، ولا القوّة على الضعف، ولا التلاحم على التفرّق.

فينبغي أن ننظر في سُنن الله ﷻ.

لماذا قوي أعداؤنا ولماذا ضعفنا؟

هذا ليس عبثًا، إنّه يجري وفق قوانين لا تتبدّل ولا تتخلّف.

نقول: أعداؤنا يُخطّطون ضدّنا، ويفعلون كذا وكذا! فإلى متى نظلّ نقول هذا؟ إلى متى يُخطّط لنا أعداؤنا ولا نُخطّط نحن لأنفسنا؟

### من آثار الغفلة:

إنّ هذه الغفلة هي التي خرّبت القوي العقلية، وخرّبت الحواس التي نطلّ بها على الكون والحياة، وهي أدوات تعليمنا، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] هؤلاء حطب جهنّم لهم قلوب لكنهم عطلوها: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

إنّها الغفلة التي تجعل أصحابها كالأنعام بل أضلّ من الأنعام سبيلًا؛ لأنّ الأنعام لم تؤت ما أوتوا من عقول ومواهب وقوى رُوحية وعقلية، ثمّ إنّ الأنعام تؤدّي وظائفها، هل رأيت بقرة تمرّدت أن تُحلب، أو رأيت حمارًا تمرّد على أن يُركب؟

هي تؤدّي وظائفها.

ولكنّ الإنسان - الذي خلقه الله تعالى لعبادته تعالى ولعمارة الأرض ولخلافته في هذه الأرض - لم يؤدّ وظيفته، لذلك كان هؤلاء كالأنعام، بل هم أضلّ من الأنعام سبيلاً: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

يجب أن نتداوى من هذه الغفلة.

إنّ من ثمرات الهجمة الصهيونيّة الصليبيّة الأمريكيّة الأخيرة على الإسلام وأمتّه: أنّها أشعرتنا بالحاجة إلى الله، كلُّنا يقول: ﴿أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧، ٥٨].

لا نملك ما يملك الأمريكان من قوَى جبّارة: قوَى عسكريّة، وقوَى اقتصاديّة، وقوَى علميّة، وقوَى استخباريّة.

لا نملك ما يملك هؤلاء، فليس لنا إلّا الله، فلنمدّ أيدينا إليه.

**ماذا تملك أمتنا؟!**

**١ - قوّة الإيمان:**

وأنا أقول: صحيح، أنّنا لا نملك من القوَى الماديّة ما يملك الأمريكان والصهاينة وحلفاؤهم، ولكنّا نملك قوّة الإيمان، الإيمان الذي يتحدى الجبابرة ولا يُبالي بهم.

سحرة فرعون حينما خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان وقالوا: ﴿ءَأَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠]، بعد أن ححصص الحقّ أمامهم، وعرفوا بمهارتهم في السّحر أنّ خصمهم هذا ليس بساحر، وأنّ ما فعله لا يمكن أن يقدمه ساحر، إنّما هو من الله، فخرّوا ساجدين مؤمنين برّب

العالمين، وقال فرعون لهم: ﴿ءَامَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صُلْبِنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ [طه: ٧١، ٧٢] قبل دقائق كانوا يقولون: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤]، ثُمَّ الْآنَ يَقُولُونَ: ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه: ٧٢].

انظر إلى هؤلاء السحرة المساكين الفقراء الذين كانوا يحتاجون إلى الأجر من فرعون، الآن ينظرون إلى فرعون باستهانة وازدراء: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه: ٧٢]، إِنَّهُ كَبِيرَاءُ الْإِيمَانِ، استعلاء الإيمان.

أُمَّتْنَا تَمْلِكُ قُوَّةَ الْإِيمَانِ.

## ٢ - قُوَّةُ الرِّسَالَةِ:

وتملك أُمَّتْنَا قُوَّةَ الرِّسَالَةِ الَّتِي تَعْتَقِدُ أَنَّهَا طُوقُ النِّجَاةِ لِلْبَشَرِيَّةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ؛ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي غَرَقَتْ فِي ظُلُمَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، إِذْ غَرَقَتْ فِي الْمَادِّيَّةِ الْمُجْحَفَةِ، وَالْإِبَاحِيَّةِ الْمُسْرِفَةِ، وَالْإِمْبِرْيَالِيَّةِ الْمُتَعَجَّرَةِ، وَالْمُظَالِمِ الْوَاقِعَةِ عَلَى النَّاسِ مِنَ النَّاسِ.

طُوقُ النِّجَاةِ لِلْبَشَرِيَّةِ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ، رِسَالَةُ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ لِلْعَالَمِينَ، رِسَالَةُ الْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ.

أَجَلٌ، لَنْ يَنْجِيَ الْبَشَرِيَّةَ مِمَّا هِيَ فِيهِ إِلَّا رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ.  
هَذِهِ قُوَّةُ تَمْلِكُهَا أُمَّتْنَا، أُمَّةُ الدَّعْوَةِ، أُمَّةُ الرِّسَالَةِ الْخَالِدَةِ.

## ٣ - قوّة الأخلاق:

وتملك هذه الأمة: قوّة الأخلاق.

لا تزال هذه الأمة تملك من الأخلاق ما لا يملكه غيرها، الأخلاق التي صنعها الإسلام، وغذاها الإيمان، وربّها محمد ﷺ الذي قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»<sup>(١)</sup>.

هذه الأمة تستطيع أن تعيش بالقليل وترفض الكثير، أمة عندها قناعة عجيبة، إذا هيئت وجنّدت لرسالة، إذا عرفت أنّ هناك رسالة ستسعى من أجلها وتحيا لها وتموت في سبيلها، فإنّها مستعدة أن تقنع بالقليل وتعيش بأقلّ العيش.

ولكنّها لا تستطيع أن تضحّي بذلك من أجل الحكّام، الذين يكسبون الحرام، ويأكلون السحت، ويعطون الشُّعوب الملايم، ويلعبون هم بالملايين.

هذه الأمة تملك قوّة الأخلاق ولكنّها تحتاج إلى رجال يجنّدونها.

## من ثمرات الشدائد والمحن:

## ١ - كشف المنافقين:

لقد كان من ثمرات هذه الهجمة - أيضًا: أنّها كشفت القناع عن المنافقين الزائفين المزيّفين، الذين يقولون: آمنا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، الذين ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]، كشف هؤلاء الموالون للأعداء، الذين يدعون أنّهم

(١) سبق تخريجه ص ٩١.

دعاة الحرية ودعاة الليبرالية ودعاة السّلام، وهم في الحقيقة عبيد الدولار، إنهم يقبضون من وراء ستار، إنهم يعملون لهذا الذي اشتراهم بدولاراته، وتولوه، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

انكشف زيف هؤلاء الذين وصفهم محمّد ﷺ حينما قال عنهم: «دعاة على أبواب جهنّم، من أجابهم إليها قذفوه فيها».

قالوا: صنفهم لنا يا رسول الله.

قال: «هم من جلدتنا، ويتكلّمون بألسنتنا»<sup>(١)</sup>، لسان عربيّ مبين، ولكنه لسان كاذب زائف يسير في ركاب أعداء الله ويعادي أمته.

انكشف الزيف، هذا من ثمرات هذه المحنة.

## ٢ - بروز جيل النّصر المنشود:

ومن ثمرات هذه المحنة: بروز الجيل الذي تربيّه المحن ويصهر في بوتقة الأحداث، الذي يعيش بين نيران الشدائد فتصهر معدنه، وتربيّه على الثبات وعلى القوّة.

هذا الجيل قد رأينا بشائره في جنين، وفي الخليل، وفي غزّة، وفي نابلس، وفي غيرها من بلدان الإسلام.

هذا الجيل جيل النّصر - إن شاء الله - هو الذي سيأخذ على عاتقه أن يقف لأعداء هذه الأمّة بالمرصاد، وأن يذود عن حياضها ويدافع عن حرّماتها ومقدّساتها بالنّفس والنّفس، والغالي والرّخيص، لا يبالي ما أصابه

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٠٦)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٧)، عن حذيفة بن اليمان.

﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٧، ١٥٨].

﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ سَيِّدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْهَمِمْ ﴿ وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد: ٤ - ٦].

يا أيُّها الإخوة، نحن على أبواب رمضان، شهر القرآن، شهر تجديد الإيمان؛ ربيع الحياة الإسلاميَّة، الشهر المطهَّر، فعلينا أن نستفيد منه، أن نشحن البطاريات فيه، أن نتزوَّد بالتقوى، أن نخرج من هذا الشهر الكريم وحظنا منه: كسب الرحمة والمغفرة والعتق من النَّار.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

### الامتناع عن التدخين:

أصدرت دولة قطر قانوناً ينبغي أن يُراعى ويُحترم، سيبدأ تنفيذه من أوائل رمضان، هو: الامتناع عن التدخين في الأماكن العامّة وفي المدارس والجامعات وغيرها.

وأنا أقول: ليت النَّاس يمتنعون بغير قانون، ويمتنعون عن التدخين في المدارس وفي البيوت من تلقاء أنفسهم.

إنَّ معظم هذه الأموال التي ندفعها لشراء السجائر، تذهب في غالبها إلى شركات استعماريّة، أكثرها صهيونيّة أو موالية للصهيونيّة.

فكيف ندفع أموالنا إلى أعدائنا؟!!

كيف يهون علينا أن نضرب أنفسنا بفلوس ندفعها من قوتنا، وقوت أولادنا، ومن عصارة أرزاقنا؟!!

هذا أمر لا يجوز شرعاً، ولا يجوز عرفاً، ولا يجوز خلقاً.

ولذلك أنا أدعو كلَّ مسلم أن يكون هو رقيباً على نفسه قبل القانون.

ليت الذي يدخن ينظر: كم كان يتكلّف في الشهر؟

خمسمائة ريال مثلاً، ففي السنّة: ستة آلاف ريال! ثمَّ يقرّر: والله إنِّي

لأرصدها للإخوة في فلسطين وأمنع نفسي من هذا السّمّ البطيء.

ليت الذين يتناولون السجائر وما شابهها يفعلون ذلك.

نحن في حاجة إلى أن نربّي أنفسنا من جديد.



### الاستمرار في معركة مقاطعة بضائع الأعداء:

لا بدّ أن تمضي سُنَّة المقاطعة التي دعونا إليها، مقاطعة البضائع الصهيونيّة والأمريكيّة، لا بدّ أن نستمرّ في هذا ولا نئس.

إنّي ليعجبني الأطفال وهم يراقبون آباءهم وأمهاتهم، ويقولون لهم: يا أبي ويا أمّي، لا، هذه بضاعة أمريكيّة، والآباء - مع الأسف - كأنّما سدّوا أذنًا من طين وأذنًا من عجين.

لا ينبغي أن نتساهل، المعركة مستمرّة، بل المعركة تزداد استعارةً واشتعالًا، فلا بدّ أن نستمرّ في مقاطعة هذه البضائع.

هذا أمرٌ لا بدّ منه، وهو تربية للأمة من جديد، ليست المسألة اقتصادية فقط؛ المسألة اقتصادية وأخلاقية ونفسية وتربوية وسياسية. هذا ما أدعو إليه أبناء هذه الأمة.

### تجديد التوبة والاجتهاد في العبادة:

وأرجو من الإخوة جميعًا أن ينتهزوا شهر رمضان ليتوبوا إلى الله توبة نصوحًا.

كلُّ مفرط وكلُّ مقصّر وكلُّ عاص عليه أن يقرع باب الله، ويقول: تُب عليّ يا ربّ، أستغفرُك يا ربّ، والله لا يردُّ عن بابهِ أيّ قادم عليه، مَنْ أقبل عليّ منكم تلقّيته من بعيد، ومَنْ أعرض عني ناديته من قريب.

لنرجع إلى الله، لنخلص الدعاء في شهر رمضان.

أدعو الصائمين أن يدعو الله عند الإفطار؛ فللصائم عند فطره دعوة لا تُرد، وأدعو الأئمّة في المساجد أن يدعوا الله ﷻ في القنوت، وأدعو

المصلّين أن يدعوا الله في السُّجود، وأدعو المتسحرّين أن يدعوا الله في السَّحر، السَّحور ليس للأكل فقط، القيام للسَّحور فيه زاد للبطن، ولكن فيه زاد للروح: الذكر والدعاء والاستغفار.

انتهزوا شهر رمضان لتُرطّبوا ألسنتكم بذكر الله، وبتلاوة القرآن.

استفيدوا من هذا الشهر، ابحثوا عن المساجد التي يطيل فيها الأئمّة صلاة التراويح.

فماذا تفعل بعد صلاة التراويح؟

ستذهب إلى البيت لتتكلّم عن هذا وذاك وتكسب سيئات، اكسب حسنات، أفضل لك وأزكى.

انتهز هذا الشهر، أيّها الأخ المسلم، وأحسن صيامه، وأحسن قيامه، وادعُ ربّك، واسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل لهذه الأئمّة من عُسرها يُسرًا، ومن ضيقها فرجًا، ومن همّها مخرجًا.

سنصلّي التراويح - إن شاء الله - على عادتنا في «جامع الشيوخ» ابتداءً من أوّل ليلة من رمضان، وفي الغالب ستكون ليلة الأربعاء القادم - إن شاء الله -.

اللهمّ هبّ لي هذه الأئمّة من أمرها رشداً.

اللهمّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك.

اللهمّ اجمع كلمة هذه الأئمّة على الهدى، وقلوبها على التّقى، ونفوسها على المحبّة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهمّ اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجرنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.



اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم رُدَّ عَنَّا كيدهم، وفُلِّحْ  
 حُدَّهم، وأزِلْ دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً  
 على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهم عليك باليهود المعتدين الغادرين، اللهم عليك بالأمريكيين  
 المعتدين، اللهم عليك بالوثنيين المتعصِّبين، اللهم عليك بالصلبيين  
 الظالمين، اللهم عليك بجميع أعدائك أعداء الدين، اللهم أنزل بهم  
 بأسك الذي لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين.

\*\*\*





## رمضان ربيع الحياة الإسلامية

### الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

#### التجارة الربحة:

أعظم تجارة هي التجارة مع الله، الَّذِي لَا يَغْدِرُ بِكَ وَلَا يَخُونُكَ، وَالَّذِي يُزْبِحُكَ رِبْحًا لَا يُمْكِنُ أَنْ تَحْصَلَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِ، إِنَّهُ الْمَغْفِرَةُ، إِنَّهُ الْجَنَّةُ.

إذا تاجرتَ مع الله في الطاعة فربحك المغفرة والجنة، وربحك في الدنيا سعادة لا تعادلها ولا تدانيها سعادة، إِنَّهَا سَعَادَةُ النَّفْسِ، سَعَادَةُ الرُّوحِ، تِلْكَ السَّكِينَةُ الَّتِي لَا يَثْمُرُهَا غَيْرُ الْإِيمَانِ وَحَسَنِ الصَّلَاةِ بِاللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا يَذْكُرَ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرَّعْدُ: ٢٨].

وإن من أعظم المواسم التي يترقبها تجار الآخرة، وينتظرونها بفارغ الصبر وعلى أحرّ من الجمر، ويتلهّفون على قدومها، ذلك الموسم السنوي العظيم، موسم شهر رمضان.

شهر رمضان هو موسم المُتَّقِينَ، ومتجر الصالحين، وربيع المؤمنين، رمضان ربيع الحياة الإسلاميَّة، تتجدَّد فيه الأنفس، تتجدد فيه الأرواح، تتجدد فيه النيات والعزائم، ينفض الإنسان عن نفسه غبار الكسل؛ ليقف مع الله شهراً، يحاول أن يعوِّض ما فات، وأن يتدارك غفلة أحد عشر شهراً مضت.

رمضان هو هذا الموسم العظيم الَّذِي تُضاعف فيه الحسنات، وتُغفر فيه الذنوب والسيئات.

ما أكثر ما يتعرَّض الإنسان للمعاصي في كلِّ يوم، وفي كلِّ ساعة، وفي كلِّ لحظة، معاصي القلوب ومعاصي الأبدان، معاصي الألسنة والجوارح، معاصي الأعين والآذان والأيدي والأقدام.

معاص نقع فيها دائماً، معاص نستصغرها ونستهين بها، ويحسبها هينة، يحسب هذا الإنسان الأمر هيناً وهو عند الله عظيم، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ \* ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

### المطهَّرات الثلاث:

رمضان فرصة للتطهُّر من السيئات وما أكثرها، وفرصة أخرى للازدياد من الحسنات وما أقلُّها، من فضل الله تعالى علينا أنه جعل لنا فرصة بعد فرصة، ومصفاة بعد مصفاة، ومغسلة بعد مغسلة، هناك مصفاة يوميَّة، مغسلة يوميَّة، يتطهَّر الإنسان فيها من أقدار ذنوبه ومعاصيه، تلك هي الصلوات الخمس، وهناك مغسلة أسبوعية، يغتسل الإنسان فيها من ذنوبه - أيضاً، تلك هي صلاة الجمعة، ثم تأتي هذه المغسلة، هذه المطهرة السنوية، رمضان، كما قال النبي ﷺ فيما رواه

مسلم: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر»<sup>(١)</sup>.

الكبائر تحتاج إلى توبة نصوح، لا تتصور أن تقتل أو تزني، أو تشهد زورًا، أو تأكل مال يتيم، أو تأكل ربا، أو تقذف مؤمنة محصنة غافلة، أو تفعل شيئًا من تلك الموبقات، ثمّ تصلي وتصوم وتقول: قد غفر لي، بحسبك أن تُغفر لك الصغائر، والصغير على الصغير كبير، والألف تجر إلى الباء، والجبل من حصيات، والبحر من قطرات، بحسبك أنك تجد في رمضان فرصة للتطهّر، في هذا يقول النبي ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه»<sup>(٢)</sup>.

ويقول ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه»<sup>(٣)</sup>.

عليك إذن أن تنتهز فرصة قدوم هذا الموسم لتتطهّر، والموسم على الأبواب، ما هو إلاّ يوم أو يومان ثمّ تصبح في رمضان، فماذا أعددت لرمضان؟

أكثر الناس يعدون لرمضان ما لذّ وطاب من الطعام والشراب، رمضان لصيام البطون ولكن الناس ينفقون في رمضان أضعاف ما ينفقون في غير رمضان، في رمضان تزداد تخمة الغني بقدر ما تزداد حسرة

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، وأحمد (٨٧١٥)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في صلاة التراويح (٢٠١٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩)، عن أبي هريرة.

الفقير، أفسد المسلمون شهر رمضان، وعلى المسلمين أن ينتفعوا بهذا الشهر لأرواحهم ولأبدانهم معاً، لأفرادهم ولمجتمعاتهم جميعاً.

### حُسن الصيام:

على المسلم أن يتهيأ لرمضان بنية صالحه، بعزيمة صادقة، بتوبة نصوح، عليه أن يستعد لهذا الشهر ليصومه فيحسن الصيام، ويقوم ليله فيحسن القيام، عليه أن يحسن الصوم بأن يصوم صيام المؤمنين المحتسبين، لا أن يأخذ الصيام مجرد عادة، فبطنه تصوم، وفرجه يصوم، ولكن لسانه مفطر على الغيبة والنميمة والكذب والزور والسخرية، والنبي ﷺ يقول: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»<sup>(١)</sup>.

الله غني عن صيامك، ما دمت لم تحفظ صيامك كما ينبغي، ما دمت قد خرقت هذه الجنة، هذا الدرع، هذا الترس الذي جعله الله وقاية لك في الدنيا من الإثم والمعصية، وفي الآخرة من النار، «الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم»<sup>(٢)</sup>.

جعل الله الصيام لتهديب النفس، لتتعلم الحلم والوقار، فجعله كثير من الناس للسباب والشجار، أصبح رمضان بدل أن يكون شهر الحلم والعفو، أصبح شهر الجهل والطيش والسب واللعن، فإذا سألت عن الشخص وما هذا؟

يقولون لك: هو صائم، كأن الله شرع الصيام ليفسد أخلاق الناس!

(١) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٣)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.

ما هذا شأن الصائم، الصائم إذا أوزي واعتدي عليه عَفَّ لسانه، وقابل السيئة بالحسنة، وقال: **إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ**، يخاطب بذلك نفسه، ويخاطب بذلك خصيمه، يقول ذلك بقلبه، ويقول ذلك بلسانه.

الصوم ليس صيام البطن والفرج فقط، هو صيام الجوارح كلها عما يغضب الله **وَعَجَلِكُ**، أمّا أن تصوم البطن والفرج ولكن اللسان مفطر على اللغو والرفث، والأذن مفطرة على سماع الأغاني التي لا تليق، أو على سماع الغيبة والبذاءة من الآخرين، والعين مفطرة تنظر إلى العورات وإلى ما حرّم الله، والأيدي مفطرة تمتد بالسوء والأذى إلى خلق الله، والرجل مفطرة تمشي للمعاصي وإلى ما يغضب الله **وَعَجَلِكُ**.

لا، على المسلم أن يصوم كيانه كله في هذا الشهر، أن يجعله فرصة للترقي والتقرب إلى الله، فرصة لإعلاء الروح على الجسم.

### طبيعة مزدوجة:

الإنسان مخلوق على طبيعة مزدوجة، فيه العنصر الرباني، الروحي، وفيه العنصر الجسمي، الطيني، كما أشار إلى ذلك القرآن في خلق أبينا آدم، فهو مخلوق من طين، أو من صلصال من حمأ مسنون، ولكن فيه عنصر آخر إليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ [الحجر: ٢٩]، هذه النفخة الروحية هي التي جعلت الإنسان إنساناً استحق أن يكرّم بالسجود له من العوالم الأخرى ومن الملائكة المقربين، في الإنسان طين وروح، إذا استجاب لعنصره الطيني أخلد إلى الأرض وهبط ثم هبط حتى صار كالأنعام أو أضلّ سبيلاً، وإذا استجاب لعنصره الروحي السماوي علا وعلا وارتقى حتى صار كالملائكة وربما أفضل من الملائكة.

الصيام يعطي الإنسان فرصة لإعلاء الروح على الطين، فهو هنا يدع الطعام والشراب والنساء والشهوات لله **وَعَجَّلْ**، هنا يصبح إنسان روح لا إنسان جسم، قد قال الشاعر المؤمن قديمًا:

يا خادِمَ الجِسمِ كم تَسْعَى لِخِدْمَتِهِ      أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ  
أقبلُ على الرُّوحِ واستكمل فضائلها      فأنت بالروح لا بالجسم إنسان<sup>(١)</sup>

أنت إنسان بروحك، بهذه اللطيفة الربانية، التي هي من آثار النفخة الإلهية فيك، فأنت بالصوم تعلي عنصرك السماوي على عنصرك الأرضي، تعلي عنصرك الروحي على عنصرك الطيني.

هذا هو شأن الصوم، المسلم عليه أن يصوم فيحسن الصيام، يحسن الصيام، ليس الصيام عن الطعام والشراب فحسب، إنما الصيام عن اللغو والرفث.

### حُسن القيام:

كذلك عليك - لتستفيد من هذا الموسم العظيم - أن تقوم ليل رمضان فتحسن القيام، استفد من ليل رمضان بأن تقوم إيمانًا واحتسابًا، وكيفيك للقيام أن تصلي التراويح، وأن تصلي الصبح في جماعة، فإذا فعلت ذلك فكأنما أحييت الليل كله، ولكن أي تراويح هي التي تعدُّ قيامًا وتعدُّ إيمانًا واحتسابًا؟

إنها ليست تلك الركعات التي يصلّيها الإنسان وكأن سوطًا يلهب ظهره، فهو يصلّي عشرين ركعة في أقل من عشرين دقيقة، ليست هذه

(١) من شعر أبي الفتح البُستي. انظر: قصيدة عنوان الحكم ص٣٦، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

هي الصَّلاة المطلوبة، إننا نريد صلاة الخاشعين، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾  
الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿[المؤمنون: ١، ٢].

صلاة الخشوع التي يحضر فيها القلب، وتطمئن فيها الجوارح.

أما الصَّلاة التي لا يحضر فيها قلب، ولا يستقيم فيها صُلب في ركوع، ولا تستقرُّ فيها جبهة في سجود، ولا يطمئن فيها في ركن من الأركان، وإنما هي نقر كنقر الديكة، هذه الصَّلاة المنقورة ليست هي المرادة.

إنَّ كثيرًا من النَّاس يستعجلون في صلاة التراويح، يصلون تلك الصَّلاة السريعة، عصر السرعة، ثمَّ بعد ذلك ماذا يفعلون؟

والله ما يفعلون شيئًا ينفعهم في دينهم أو دنياهم، معظم المستعجلين يذهبون بعد ذلك ليتحدثوا عن هذا وذاك، وعن فلانة وفلان، فهم يخسرون مرتين، يخسرون الصَّلاة الخاشعة المطمئنة، ويخسرون مرَّة ثانية بإضاعة الأوقات فيما لا يحب الله تبارك وتعالى، والأوقات هي رأس مالهم الأول.

لكي ننتفع من الموسم علينا أن نصوم فنحسن الصيام، ونقوم فنحسن القيام، بهذا ننال المغفرة.

### غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ:

من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، وقام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدَّم من ذنبه، وأي كسب أعظم من أن يكسب الإنسان المغفرة، ثمَّ هي فرصة أخرى، تكسب المغفرة وتربح بعد ذلك حسنات ومثوبات عند الله، والعمل في رمضان يضاعف ثوابه.

## فعل الخير في رمضان:

لهذا كان على المسلم أن يستكثر من الطاعات، أن يستكثر من ذكر الله وَعَبَّكَ، أن يستكثر من التسبيح والتهليل والتكبير، أن يستكثر من تلاوة كتاب الله وَعَبَّكَ، يتلوه بنفسه، أو يسمعه فيحسن السماع، عليه أن يستكثر من الدعاء والاستغفار، من سؤال الجنة والاستعاذة من النار، كلُّ هذا على الإنسان المسلم أن يفعله في رمضان.

على الإنسان المسلم أن يفعل الخير ما استطاع في رمضان، يقول عبد الله بن عباس: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كلِّ ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة<sup>(١)</sup>.

لهذا كان من المطلوب في رمضان إطعام الصائمين، أن تَفْطِرَ صائماً، «ومن فطَّر صائماً، كتب له مثل أجر الصائم لا ينقص من أجر الصائم شيء»<sup>(٢)</sup>.

وليس المقصود أن تَفْطِرَ أقاربك وأصدقاءك فقط، وهذا أمر طيب - أيضاً، أن يتزاور النَّاس ويتحابوا، وأن تتوثق روابطهم في رمضان، ولكن - أيضاً - عليك أن تبحث عن المحرومين، عن الفقراء، ابحث عن هؤلاء في شهر رمضان، لا يجوز لك أن تجلس على مائدة حافلة بما يسر الله لك من ألوان الأطعمة والأشربة وأنت تعلم أن في المسلمين في

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٦)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٨).

(٢) رواه أحمد (٢١٦٧٦)، وقال مخرَّجوه: حسن لغيره. والترمذي (٨٠٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٧٤٦)، والنسائي في الكبرى (٣٣١٧)، ثلاثتهم في الصيام، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب (١٠٧٨)، عن زيد بن خالد الجهني.

بلدك وفي غير بلدك من يئن من الجوع أنين الملسوع، وأنت تعلم أن هناك أزمات خانقة آخذة بخناق المسلمين، وأنت تعلم أن هناك لاجئين ومشرّدين ومخيمات، وأنت تعلم إخوانك في الأرض المحتلة في فلسطين، وإخوانك في أفغانستان، وإخوانك في بلاد أخرى كثيرة، لا بدّ أن تذكر هؤلاء.

إنّ من حكم الصيام أن يشعر الإنسان بجوع الآخرين، هناك أناس لم يعرفوا الجوع، الذين ولدوا وفي أفواههم ملعقة من ذهب - كما يقولون، الذين عاشوا في النعيم ونشئوا فيه ورتعوا في أحضانه، ولم يذوقوا يوماً مرارة الجوع ولا حرارة العطش، قد يظن هؤلاء أنّ الناس كلّهم كذلك، فأراد الله أن يذيقهم إجبارياً مرارة الجوع وحرارة العطش بالصيام، ليعرفوا أنّ في الدنيا جائعين ومحرومين فيحاولوا أن يشركوهم معهم.

هذا من حكمة الصيام، لهذا كان علينا أن نبحث عن الآخرين؛ حتّى نشركهم معنا في النعمة.

رمضان فرصة للحسنات، لأنّ تزيد فيه من رصيدك عند الله، يا من تحرص على رصيدك وزيادته في بنك الدنيا وبنك الدنيا لن تأخذ منه شيئاً حينما تفارقها، هل تأخذ معك دفتر شيكات وأنت تنزل إلى القبر؟ هل تنفعك الملايين التي تجمعها؟

لا والله، لن ينفعك إلا عملك، فحاول أن تزيد هذا الرصيد المذخور لك عند الله، رصيد الطاعة، رصيد الحسنات، انتهز الفرصة، فرصة الموسم فأكثر فيه من الذكر والتسبيح والاستغفار والدعاء وتلاوة القرآن، وأكثر فيه كذلك من فعل الطاعات، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والإحسان إلى الخلق، هذا هو رمضان المسلمين.

رمضان فرصة، فرصة لأن نجدد فيه الحياة الإسلامية بجوانبها  
الربانية والإنسانية والأخلاقية.

رمضان فرصة ليراجع المسلم نفسه، ويراجع رصيده، ويحاسب نفسه  
حساب الأتقياء لأنفسهم، وقد قال السلف: التقى أشدُّ حسابًا لنفسه من  
سلطانٍ غاشمٍ ومن شريكٍ شحيح<sup>(١)</sup>.

### الصيام حُجَّةٌ لك أو عليك:

يا أيُّها الإخوة، هذا هو رمضان، هذا هو الموسم، فاستفيدوا من هذا  
الموسم، علينا أن نجعل هذا الموسم لصالحنا، ليشهد لنا رمضان يوم  
القيامة ويشفع لنا، فرمضان والقرآن يشفعان يوم القيامة، «الصيام والقرآن  
يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أيُّ ربُّ، منعتك الطعام والشهوات  
بالنَّهار، فشَفَّعني فيه. ويقول القرآن: منعتك النَّوم بالليل، فشَفَّعني فيه».  
قال: «فيشفعان»<sup>(٢)</sup>.

فهناك من يشهد له رمضان، ويشفع له القرآن.

وهناك من يشهد عليه الصيام، هناك من يكون رمضان حُجَّةً عليه،  
أولئك الذين يدعون الإسلام وينتهكون حُرمة هذا الشهر، علينا أن  
نقاطعهم، الذين ينتهكون حُرمة رمضان من أبناء المسلمين، لا يجوز أن

(١) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٩)، عن ميمون، تحقيق مصطفى بن علي بن عوض،  
نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) رواه أحمد (٦٦٢٦)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (٣٨١/١٣)، والحاكم في فضائل  
القرآن (٥٥٤/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد  
(٥٠٨١): رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال الطبراني رجال الصحيح. عن عبد الله بن  
عمرو.



يعاملوا ولا أن يؤاكلوا ولا أن يشاربوا ولا أن يشاركوا ولا أن يصاهروا، فإنه لا ينتهك حُرمة رمضان بالفطر إلا فاجر، بل إذا استحلَّ هذا واستخفَّ به كان كافرًا بإجماع المسلمين، ومن أفطر يومًا من رمضان بغير عذر ولا مرض ولا رخصة لم يقضه صوم الدهر وإن صامه.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا الشهر بركة لنا، وأن يجعله شاهدًا لنا لا علينا، وأن يخرجنا من هذا الشهر مغفورًا لنا، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*



## الخطبة الثانية

أمّا بعد، أيّها الإخوة المسلمون:

### خطف الطائرات:

كنتُ أودُّ أن أتحدث عن حركة المقاومة الشعبية الإسلاميّة في فلسطين، تلك الحركة التي دخلت شهرها الخامس، والتي فرضت نفسها على الدُّنيا، حركة أطفال الحجارة، الحركة التي تستمد قوتها من الإيمان بالله تبارك وتعالى، تستمد قوتها من القرآن الكريم، وتنطلق من المساجد وترفع المصاحف.

كنتُ أودُّ أن أتحدّث عن هذه الحركة، وعن مساندتها، وقد فتحنا لها حسابًا باسم الهيئة الخيريّة الإسلاميّة في مصرف قطر الإسلامي.

ولكن هناك أمرًا فرض عليّ نفسه أن أتحدّث فيه، هذا الحدث هو ذلك الحادث الذي شدّ أنظار النّاس عن هذه الثورة الإسلاميّة في فلسطين، بعد أن كانت الأنظار مشدودة، والأعناق مشرّبة، والعقول كلّها مركزة في فلسطين، جاء هذا الحادث ليشدّ أنظار النّاس؛ لأنّه مقصود أن يدع النّاس ويدع العالم كلّهُ الانتفاضة الإسلاميّة، والثورة الإسلاميّة، والمقاومة الإسلاميّة في فلسطين؛ ليتحدّث النّاس عن الطائرة المخطوفة، ما أدري بأي عقل يفكّر هؤلاء النّاس، الذين يخطفون هذه الطائرات، ثمّ يتحكّمون في رقاب عباد الله، يذلّونهم ويؤذونهم ويهينونهم ويعذبونهم، ثمّ - للأسف - يفعل ذلك من يفعله باسم الإسلام، سمعنا من فعل ذلك من قبل تحت عناوين كثيرة، وطنيّة أو قوميّة أو عنصريّة أو أي شيء، أمّا أن يُفعل ذلك باسم الإسلام فهذا ما يرفض رفضًا حاسمًا.



### لا يقبل الإسلام ترويع الأمنين:

لا يقبل الإسلام أبدًا أن يروّع مسلم مجرد ترويع؛ فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدّثنا أصحاب رسول الله ﷺ، أنّهم كانوا يسرون مع رسول الله ﷺ في مسير، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى نبل معه فأخذها، فلما استيقظ الرجل فزع، فضحك القوم، فقال: «ما يضحككم؟».

فقالوا: لا، إلا أننا أخذنا نبل هذا ففزع.

فقال رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ لمسلم أن يروّع مسلمًا»<sup>(١)</sup>.

انظروا، الأمر أمر مداعبة وممازحة، ولكن المسلم فزع عندما استيقظ ونظر في كنانته فلم يجد فيها سهمًا من سهامه، هذه الفرعة الخفيفة استنكرها رسول الله ﷺ، وقال: «لا يحلُّ لمسلم أن يروّع مسلمًا».

فكيف بمن يُعيّش الناس أيامًا طويلاً في ترويع مستمر، كلُّ واحد منهم ينتظر أن تقطع رأسه، أو يرمى به من الطائرة كأنه كلب من الكلاب، أي ترويع أشدُّ من هذا الترويع!؟

\*\*\*

(١) رواه أحمد (٢٣٠٦٤)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٥٠٠٤)، وصحّحه الألباني في غاية المرام (٤٤٧)، عن رجال من أصحاب النبي ﷺ.

## التناصر من حقوق الأخوة الإسلامية

## الخطبة الأولى

أما بعد، فيا أيها الإخوة المسلمون:

تحدثنا فيما سبق عن حقوق الأخوة الإسلامية، وأول هذه الحقوق حقوق المسلم على أخيه المسلم: ألا يظلمه، وثاني هذه الحقوق: ألا يُسْلِمه، ألا يخذله، كما قال النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يُسْلِمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

## الحق الأول:

وقد تحدثنا عن الحق الأول ألا يظلم المسلم المسلم، بل ألا يظلم المسلم الإنسان، بل ألا يظلم المسلم الحيوان، ألا يظلم أحداً ولا يظلم مخلوقاً كان، فإنَّ أشدَّ ما يبغضه الله تعالى هو الظلم، وبخاصة ظلم القويِّ الضعيف، لا يظلم المسلم أخاه هذا أول الحقوق.

(١) سبق تخريجه ص ٢٩.



## ثاني الحقوق:

أَلَّا تُسَلِّمَ أَخَاكَ الْمُسْلِمَ، أَنْ لَا تَخْذَلَهُ، أَنْ لَا تَدْعَهُ يُظْلَمُ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى دَفْعِ الظُّلْمِ عَنْهُ، أَلَّا تَدْعَهُ تَفْتَرِسَهُ أَنْيَابُ الْفَاقَةِ وَالْفَقْرِ، وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ تَمُدَّ إِلَيْهِ يَدَ الْمَعُونَةِ، أَنْ لَا تَتْرَكَهُ لِمَنْ يَعْدُو عَلَيْهِ، لِمَنْ يَعْتَدِي عَلَى دَمِهِ، أَوْ عَلَى مَالِهِ، أَوْ عَلَى عِرْضِهِ، أَوْ عَلَى نَفْسِهِ، أَوْ أَيِّ حُرْمَةٍ مِنْ حُرْمَاتِهِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَدَافِعَ عَنْهُ، وَتَذُودَ عَنْ حِيَاضِهِ، فَالْمُسْلِمُونَ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ يَجِبُ عَلَيْهِمُ التَّنَاصُرُ وَالتَّعَاوُنُ، «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»<sup>(١)</sup>، هَكَذَا عَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ.

وَحَدَّدَ النَّبِيُّ ﷺ مَفْهُومَ هَذِهِ النَّصْرَةِ عَلَى غَيْرِ مَفْهُومِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَقَدْ كَانَ مَفْهُومُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الْإِنْسَانَ ابْنَ قَبِيلَتِهِ، مُحِقًّا كَانَ أَوْ مُبْطِلًا، عَادِلًا كَانَ أَوْ ظَالِمًا، مُصِيبًا كَانَ أَوْ مُخْطِئًا، عَلَى مَا قَالَ الْمَثَلُ: أَنَا وَأَخِي عَلَى ابْنِ عَمِي، وَأَنَا وَابْنُ عَمِي عَلَى الْغَرِيبِ.

وهذه هي العصبية، كما قال قائلهم:

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا<sup>(٢)</sup>

إِذَا اسْتَصْرَخَ قَوْمُهُ كَانُوا مَعَهُ، أَيًّا كَانَ الْمَوْضُوعُ، لَا يَبْحَثُونَ فِيهَا صَرْخًا، وَلَا فِيهَا يَنَادِيهِمْ، هُمْ مَعَهُ فِي بَاطِلِهِ وَفِي حَقِّهِ، وَلِذَلِكَ كَانَ يُقَالُ عَنِ الرَّجُلِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا كَانَ مِنْ سَادَاتِ الْقَوْمِ: هَذَا إِذَا غَضِبَ غَضِبَ لَهُ عَشْرَةُ آلَافِ سَيْفٍ، أَوْ مِائَةُ آلَافِ سَيْفٍ، لَا يَسْأَلُونَهُ فِيهِمْ غَضِبَ؟

(١) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢)، عن أنس.

(٢) من شعر قريظ بن أنيف العنبري، سبق عزوه ص ١٤٤.

جاء الإسلام فعُدل مفهوم هذه الكلمة التي كانت سائدة في الجاهلية، ولذلك لما قال النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً، أفأريت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: «تحجزه - أو تمنعه - من الظلم؛ فإن ذلك نصره»<sup>(١)</sup>.

الأخذ فوق يدي الظالم ومنعه من الظلم نصر له على نفسه الأمارة بالسوء، نصرته على شيطانه، أعنته على الخير وأبعدته عن الشر، فذلك نصر له في الحقيقة، وليس خذلاناً.

هكذا عدل الإسلام مفاهيم الجاهلية إلى مفاهيم جديدة، تتفق مع مفاهيم الحق والعدل والخير التي جاء بها الإسلام.

التناصر، انصر أخاك، لا تسكت على إنسان يُظلم ولو كان هذا الظلم بكلمة تسمعها في حقّه، إذا سكت على ظلم وأنت قادر على أن تدفعه فأنت شريك الظالم، إذا سكت على غيبة إنسان يُغتَاب أمامك ويُلاكَ عِرضه ويؤكل لحمه حياً وأنت ساكت، تُجامل في الحق خوفاً أو طمعاً أو مداهنة أو نفاقاً؛ فأنت شريك من فعل ذلك، ولهذا قال النبي ﷺ: «من أُذِلَّ عنده مؤمنٌ فلم ينصره وهو يقدرُ على أن ينصره، أذله الله وعجلَ على رؤوس الخلائق يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: «ما من امرئٍ يخذل امرأً مسلماً عند موطن تُنتهك فيه حرمة، وينتقص فيه من عِرضه، إلاَّ خذله الله وعجلَ في موطن يحبُّ فيه نصرته.

(١) سبق تخريجه ص ٢٤٧.

(٢) رواه أحمد (١٥٩٨٥)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (٧٣/٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١٣٦): رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وهو حسن الحديث، وفيه ضعف. وبقية رجاله ثقات. عن سهل بن حنيف.

وما من امرئٍ ينصر امرأً مسلماً في موطنٍ ينتقص فيه من عرضه،  
وينتهك فيه من حرمة، إلا نصره الله في موطنٍ يُحبُّ فيه نصرته»<sup>(١)</sup>.

انصر أخاك ينصرك الله وَعَلَيْكَ، ويردُّ عنك كما رددت عن أخيك  
المؤمن، إذا لم تقدر فذع هذا المكان، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيُنَا  
فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]، من لم يزل الشرَّ فليزل  
عنه، لا تجلس مع قومٍ يغتابون النَّاسَ، ثمَّ تقول: أنا لم أخض معهم.  
يكفي أنك جلست إليهم، واستمعت إليهم، فأنت بمجرد جلوسك  
واجتماعك في مجالس السوء أصبحت عضواً مشاركاً فيها.

انصر أخاك، تناصر المسلمين بعضهم مع بعض فريضة، هي من  
حقوق الأخوة، المسلمون حيثما كانوا أمة واحدة، «يسعى بذمتهم  
أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم»<sup>(٢)</sup>.

هكذا حدّد النبي ﷺ هويّتهم وعلائقهم بعضهم ببعض، يسعى  
بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم.

### ضرورة توحّد المسلمين:

يقفون صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص في مواجهة الأعداء، قد  
يختلفون بعضهم مع بعض، ولكن إذا واجههم عدو مشترك نسوا  
ما بينهم من خلاف ووقفوا صفّاً واحداً.

هذا هو شأن المؤمنين الذين ينتسبون إلى أمة واحدة، دستورهم

(١) رواه أحمد (١٦٣٦٨)، وقال مخرّجوه: ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٨٨٤)، وضعّفه الألباني  
في الضعيفة (٦٨٧١)، عن جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل الأنصاريين.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٧.

كتاب الله، وإمامهم رسول الله ﷺ، وقبلتهم بيت الله، لا بدّ أن يتناصروا، قال الفقهاء: لو أنّ امرأة سُبيت بالمشرق لوجب على المسلمين من أهل المغرب أن يسعوا في فكاكها، ولو أدّى ذلك إلى بذل أموالهم ودمائهم<sup>(١)</sup>.

فالمسلمون متضامنون بعضهم مع بعض.

سمع الخليفة المعتصم أنّ امرأة في بلاد الروم أذلتها رومي فصرخت صرختها التاريخية المعروفة: «وامعتصماه.. وامعتصماه»<sup>(٢)</sup>، تنادي الخليفة أن يحفظ كرامتها وينقذها، وبينها وبينه بلاد وبلاد، وجبال ووهاد.

وبلغت الصيحة الخليفة فقال: لبيك لبيك، وجيش الجيوش، وكانت موقعة عمورية المعروفة في التاريخ، والتي قال فيها أبو تمام قصيدته البائية المعروفة:

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكُتُبِ      في حدّه الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ  
بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصحائفِ في      متونها جلاءُ الشكِّ والرَّيبِ<sup>(٣)</sup>

وامعتصماه، الآن تصرخ الصارخات، الثكالي والأرامل واليتامى، في كلِّ مكان من أرض الإسلام فأين من ينقذ؟

(١) انظر: حاشية ابن عابدين (١٣٦/٤)، نشر دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. وتفسير القرطبي (٢٤٢/٢)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٥٧/٩ - ٧١)، والكامل لابن الأثير (٣٨/٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٥٣/١٤)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٣) انظر: زهر الآداب وثمر الألباب (٤٨٠/٢)، نشر دار الجيل، بيروت.

رَبِّ وَاَمْتَصَمَاهُ انْطَلَقَتْ مَلءَ أَفْوَاهِ الصَّبَايَا الْيُتِّمِ  
لَامَسَتْ أَسْمَاعَهُمْ لَكِنَّهَا لَمْ تَلَامَسْ نَخْوَةَ الْمُعْتَصِمِ<sup>(١)</sup>

سمعها من سمعها ولكن أين المعتصم؟ أين من ينقذ؟ أين تناصر  
المسلمين بعضهم مع بعض في كل مكان؟

في أرض الإسلام دماء تُراق، وأرواح تُزهق، وأعراض تُنتهك، فهل  
من يغيث؟ هل من يلبي؟

لا، أصبح المسلمون متخاذلين، يخذل بعضهم بعضاً، في حين أنّ  
أهل الكفر يشدُّ بعضهم أزر بعض، ويوالي بعضهم بعضاً.

وهذا هو الخطر الذي أشار إليه القرآن الكريم حينما قال: ﴿وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ  
كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، إلا يوالي بعضكم بعضاً ويساند بعضكم بعضاً  
تكن فتنة في الأرض وفساد لا حدود له؛ لأنّ معنى هذا أنّ الكفر  
يتجمّع على باطله، والإسلام يتفرّق على حقه، أنّ هناك إيجابية من  
ناحية الكفر، وسلبية من ناحية الإسلام وأهله، أنّ هناك عملاً، وعندنا  
فراغاً، وهذا ما نراه.

أهل الكفر يجتمعون إذا كان عدوهم المشترك هو الإسلام، قد  
يكونون رأسماليين وشيوعيين، وقد يكونون يهوداً أو نصارى، وقد  
يكونون يمينيين ويساريين، قد يختلفون في الدين، وقد يختلفون في  
الأيديولوجية، وقد يختلفون في السياسة، ولكن إذا كان الإسلام هو  
الهدف اتفقت الكلمة، وتوحد الصف، ووقفوا جميعاً.

(١) ديوان عمر أبو ريشة (٧/١ - ١١)، قصيدة بعد النكبة، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

هكذا رأينا، رأيناهم نسوا خلافاتهم ووقفوا ضدنا.

أين نحن الآن؟

لقد أصبحنا إلى حد أن المسلم لم يعد يكتفي بخذلان المسلم، لا، بل أصبح المسلم يقتل المسلم، أصبح الرصاص في يد الإنسان المسلم موجهاً إلى صدر الإنسان المسلم، ما هذا؟

أصبحنا أشداء على أنفسنا رحماء بغيرنا، لم نر ضراوة في القتال على إسرائيل كما نراها بين المسلمين، أو من يزعمون أنهم مسلمون، كما رأيناها بين المسلمين المزعومين بعضهم وبعض، ما هذا؟ يقتل الإنسان المسلم أخاه المسلم، والنبي ﷺ يقول: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>(١)</sup>، ويعتبر ذلك من الكفر، ومن رواسب الجاهلية؟!!

ويقول: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»<sup>(٢)</sup>، مجرد أن تسب المسلم فقد فسقت، أمّا إذا قتله فقد كفرت، وخاصّة من استحل ذلك، من استحلّ الدماء، كيف تُستحلّ دماء المسلمين؟ كيف تُستحلّ دماء الصبيان والشيوخ والنساء؟ كيف تهدم البيوت عليهم؟ كيف تستخدم أقصى أنواع الأسلحة وأحدثها في محاربة هؤلاء؟ ما هذا؟ أين التناصر؟ «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه، لا يخذله»<sup>(٣)</sup>، فكيف أصبح يقاتله؟ كيف أصبح يوجّه الرصاص إليه؟ ويعدّ ذلك بطولة؟ من وراء هذا الشرّ المستطير؟ من الذي يوجّه هذه القوى؟ من الذي يكيّد

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٩.

هذا الكيد العظيم؟ ما للناس لا يفصحون؟ ما للناس لا يتكلمون؟ أي فتنة وقع فيها المسلمون اليوم؟!

هكذا أصبحنا نرى هذا التخاذل بين المسلمين، بل هذا التعادي، بل هذا التقاتل، أين حقوق الأخوة الإسلامية؟

«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسَلِّمُه»، كيف ندع المظلوم دون أن ننصره؟ أين بلاد العرب؟ أين بلاد الإسلام، أين الزعماء والملوك والأمراء؟ أين أصحاب القوة والسلطان؟ كيف يدعون هذه الدماء تُهدر؟ لا بدّ من عمل، لا بدّ من سعي؛ حتّى نوقف نزيف الدماء الإسلامية، ما أحوجنا إلى أن نحفظ بهذه الدماء لنريقها في نصرة الحقّ، لنريقها أمام العدو المتربص الذي يتربّص بنا الدوائر، ويكيد لنا كيداً!

المسلم أخو المسلم.

### ثالثاً: التعاون:

من حقوق الأخوة التناصر والتعاون، أمّة الإسلام أمّة متعاونة متناصرة، صوّر النبي ﷺ تعاونها حينما قال: «إنّ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً»، وشبّك ﷺ أصابعه<sup>(١)</sup>.

«المؤمن للمؤمن كالبنيان»، اللبنة وحدها لا تستطيع أن تقاوم، تستطيع أن تضربها في الأرض فتتكسر، ولكن إذا وضعت لبنة على لبنة بنظام وتماسك، تمسك اللبنة بعضها ببعض، وجعلت منها صفّاً، وبعد الصف صفّاً، وجعلت منها جداراً، ومع الجدار جداراً، حتّى تكونت

(١) سبق تخريجه ص ٣٤.

حُجْرَة، ومع الحُجْرَة حُجْرَة حَتَّى تَكُون صرْح، لا يستطيع أحد أن يهدم هذا الصرح بسهولة، يصبح قويًا بقوة التماسك.

«كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا»، ولذلك المرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده، قويٌّ بجماعته.

وهذا ما جعل موسى ﷺ حينما كلفه الله دعوة فرعون وملئه، وقال له: ﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿ هَارُونَ أَخِي ﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ [طه: ٢٤-٣٢]، فأجاب الله سؤاله، وقال: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [القصص: ٣٥]، موسى وهو نبي من أولي العزم احتاج إلى من يشدُّ أزره، ﴿ هَارُونَ أَخِي ﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿.

كان موسى في حاجة إلى هارون، وكلُّ إنسان في حاجة إلى غيره، والمسلمون كهذا البنيان وخاصة في ساعة الشدائد والأزمات، في ساعات المواجهة، وهذا ما ذكره القرآن في سورة سُميت: «الصف»، الصف المتراص، الصف المتلاحم، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بَنِينَ مُّرْصُوصًا ﴾ [الصف: ٤]، في ساعات المواجهة يقفون صفًا واحدًا، كأنهم بنيان مرصوص، وكيف لا وهم واقفون في سبيله، جمعتهم كلمة الله، إنَّهم يعملون لتكون كلمة الله هي العليا، كأنهم بنيان مرصوص.

### مجالات التعاون:

التعاون، تعاون المسلمين بعضهم مع بعض في أصغر الأمور وأكبرها، ابتداء من الأسرة؛ يتعاون الزوج مع زوجته، يتعاون الأب مع

أولاده، هذا المجتمع الصغير لا يقوم إلا بالتعاون، ولهذا جعل الله أُسُسَهُ السَّكِينَةَ وَالْمُودَّةَ وَالرَّحْمَةَ، ﴿وَمَنْ ءَايَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: ٢١].

ثم بعد ذلك تعاون أهل الحي بعضهم مع بعض، تعاون الجيران، فالإسلام جعل للجوار حقًا أي حقًّا، حقًّا أكيدًا للجار ذي القربى والجار الجنب.

للجيران حقوق أكيدة حتَّى ولو كان هذا الجار غير مسلم، له حق الجوار، «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه»<sup>(١)</sup>.

ثم يأتي بعد ذلك حقُّ أهل القُطر أو أهل الإقليم، بحكم القرب المكاني، فالزكاة توزع في أهل الإقليم الواحد، ولا تُنقل إلى إقليم آخر إلا إذا ستغنى أهل الإقليم الأوَّل، أو كان الآخرون أشدَّ حاجة، أو أصابتهم مجاعة، أو غير ذلك، ثمَّ الأُمَّة بعد ذلك، الأُمَّة الإسلاميَّة.

التعاون بين المسلمين بعضهم وبعض فريضة، الله تعالى كما أمرنا بالصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ أمرنا بالتعاون، وقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، ليست عصبية للباطل كعصبية الجاهليَّة، النَّبِيُّ ﷺ برئ من العصبية في كلِّ ألوانها، وقال: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهليَّة، ومن قاتل تحت راية عميَّة يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتله جاهليَّة، ومن خرج على أمّتي، يضرب برّها

(١) رواه البزار (٧٤٢٩)، والطبراني (٢٥٩/١)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمى في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٥)، عن أنس.

وفاجرهما، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفى لذي عهدٍ عهده، فليس مِنِّي ولستُ منه»<sup>(١)</sup>.

ولما سئل عن معنى العصبية: ما هي؟ قال: «أن تعين قومك على الظلم»<sup>(٢)</sup>.  
فالتعاون ليس تعاوناً على الإثم والعدوان، وإنما هو تعاون على البرِّ والتقوى، وهاتان كلمتان جامعتان لكلِّ خير، مانعتان من كلِّ شرِّ، البرُّ والتقوى، كلُّ ما فيه الخير للنَّاس في دينهم ودنياهم، أفراداً وأسرّاً وجماعات ودولاً، يشمله البرُّ والتقوى.

التعاون، تعاون النَّاس بعضهم مع بعض، تعاون الأغنياء والفقراء، تعاون أرباب العمل والعمال، تعاون الملاك والمستأجرين، تعاون الحكَّام والمحكومين.

### تعاون الحاكم الصالح ذي القرنين:

انظروا إلى القرآن، قصَّ لنا قصة من قصة التعاون بين حاكم ومحكومين، قصة ذي القرنين، حينما شكوا إليه ظلم يأجوج ومأجوج وإفسادهم، ﴿قَالُوا يَنْذِ الْأَقْرَبِينَ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا \* قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا \* ءآتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءآتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا \* فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٤ - ٩٧].

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٤٨)، وأحمد (٧٩٤٤)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٦٩٨٩)، وقال مخرَّجه: حديث حسن. وأبو داود في الأدب (٥١١٩)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٤٩)، عن وائلة بن الأسقع.

لم يرض هذا الحاكم الصالح أن يقوم بكل شيء، وأن يظنوا هم مكتوفي الأيدي، لا يقدمون شيئاً، ولكنه أشركهم في المسؤولية، وطلب منهم أن يعملوا ويمدوا أيديهم بما يستطيعون، ولذلك قال: ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَلْجَلِّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾، اجمعوا لي قطع الحديد القديمة من كل مكان، ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الضَّعِيفِينَ﴾ أي: السدين ﴿قَالَ أَنْفُخُوا﴾، انفخوا على هذه النار، اعملوا، ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ إذا صهر هذا الحديد ﴿قَالَ أَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ نحاساً مذاباً؛ لأنَّ النحاس مع الحديد يعطي قوَّة وصلابة.

هذا هو التعاون الذي يريده القرآن.

يريد الإسلام من المسلمين أن يتعاونوا، وأن يكونوا قوَّة أمام أعدائهم، أن يكونوا كما صورهم النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى عَضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى»<sup>(١)</sup>.

وَخُدَّة، تَعَدَّدت الأجهزة، وَتَعَدَّدت الأعضاء، وَتَعَدَّدت الخلايا، وَلَكِنَّ الكُلَّ جسد واحد، كيان واحد، يشعر بعضه بما يشعر به كله، وهكذا شأن المسلمين، هذه هي الأخوة الإسلامية التي جاء بها الإسلام، والتي ينبغي أن نتنادى بها نحن المسلمين.

### عوامل القوَّة لدى المسلمين:

نحن المسلمين قوَّة كبيرة، ولكن هل انتفعنا بهذه القوَّة؟

ألف مليون مسلم في العالم، مليار من البشر في أخصب بلاد الله بقعة، وأطيبها رقعة، يملكون من الثروات الشيء الكثير، الثروة

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البرِّ والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

الصناعية، والثروة الزراعية، الثروات المعدنية، يملكون الرصيد التاريخي العظيم، يملكون أعظم رسالة في العالم، رسالة الهداية الإلهية، كلمات الله الأخيرة للبشر، يملكون رسالة الإسلام، يملكون هذا الرصيد كله، ولكن لا وزن لهم في العالم، ليس لهم وزن، هم العالم الثالث، بل معظمهم لا يصلحون إلا أن يكونوا في العالم الرابع.

### أين قوّة المسلمين؟

ضاعت لَمَّا تفرَّقوا وتخاذلوا، وأصبح كلُّ واحد منهم في وادٍ وأخوه في وادٍ آخر، تفرَّقوا فضعفوا، ولو اتَّحدوا وتماسكوا لقوُّوا، وما الذي يُوحِّدُهم؟  
إنَّه الإسلام، إنَّه حبل الله المتين، إنَّه كتابه المُبين، إنَّه دينه العظيم،  
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

يا أيُّها الإخوة المسلمون، عودوا إلى دينكم، اعملوا به، اعملوا له، ادعوا إليه، وعلِّموا النَّاس به، نريد عودة إلى الإسلام، نريد أن يكون للأُمَّة الإسلامية مكان على خريطة العالم، نريد لهذه الأُمَّة أن تتبوأ مكانتها تحت الشمس، وأن تعود كما كانت وكما أراد الله لها ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولن يكون ذلك إلا بالعودة إلى الإسلام الصحيح، لا يصلح آخر هذه الأُمَّة إلا بما صلح به أولها، وما صلح أولها إلا بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\*\*\*



## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

### المؤسسة الخيريّة الإسلاميّة العالميّة:

سألني كثير من الإخوة الغيورين على دينهم عن المشروع الذي كنت أعلنت عنه في السنة الماضية، مشروع مقاومة التيارات الغازية للمسلمين، التي تريد أن تقتلع المسلمين من جذورهم، وهو المشروع الذي نحاول به أن نحافظ على الوجود الإسلامي، وعلى الذاتيّة الإسلاميّة.

كنا نادينا بأنّه إذا كان خصوم الإسلام قد رصدوا لتنصير المسلمين في العالم ألف مليون دولار فلنرصد مثلها - نحن المسلمين، ولسنا بعاجزين، ولو أن كلّ مسلم في العالم دفع دولارًا واحدًا، لكان متوسط ذلك الألف مليون في النهاية، وأرسل إليّ بعض الإخوة من المملكة العربيّة السعوديّة يقول: لو أحصينا مليون مسلم من ميسوري الحال ودفع كلّ منهم ألف دولار لجمعنا الألف مليون.

وبهذا نرى أنّه ليست المشكلة مشكلة الأموال، إنّما هي مشكلة العمل التعاوني الجماعي، أن توجد مؤسسة تقوم بهذا العمل؛ لإنقاذ المسلمين الجياع، والضائعين في العالم في كلّ مكان، الذين لا يجدون اللقمة تقيم أودهم، ولا اللباس يستر عورتهم، ولا كراصة لتلاميذهم أو كتابًا، هذا المشروع دعونا إليه وهو سائر في خطوات.

أحبُّ أن أبشّر الإخوة الغيورين الحريصين على دينهم وأمتهم أنّ المشروع يسير بخطوات متتدة، ولكّنها حدّدت هدفها وعرفت الطريق،

وضعنا النظام الأساسي، وأصبح هناك لجنة تحضيرية، مني ومن بعض الإخوة في الكويت، وفي المملكة العربية السعودية، وفي بلاد الخليج، وأرسلنا إلى عدد من الناس ممّن يهتمون بهذا الأمر من أهل الفكر والدعوة، ومن أهل المال والاقتصاد، وجاءتنا ردود كثيرة من الذين يؤيدون هذا لتجتمع عن قريب - إن شاء الله - الجمعية التأسيسية لهذه المؤسسة الإسلامية الخيرية العالمية، وهذا هو الاسم الذي اخترناه لها: «المؤسسة الخيرية الإسلامية العالمية».

وإننا لندرجو أن تقوم عن قريب - إن شاء الله، وتؤدي واجبها في خدمة ضعفاء المسلمين في العالم - إن شاء الله.

هذه بشرى، وهي من ثمار التعاون، من ثمار العمل الجماعي، الإنسان وحده لا يستطيع أن يقوم بشيء، ولكن إذا اجتمع مجموعة من أهل الخير يستطيعون أن يفعلوا الكثير.

### الدعاء:

اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العفو والعافية في الدُّنْيَا والآخرة، اللهمَّ أصلِح لنا دِينَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشِنَا، وَأصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِنَا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شرِّ.

اللهمَّ اجعلْ يومنا خَيْرًا منْ أَمْسِنَا، واجعلْ غَدْنَا خَيْرًا منْ يَوْمِنَا، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخرة.

اللهمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، واجمعْ كلمتنا على الهدى، واجمعْ قلوبنا على التُّقى، واجمعْ أنفسنا على المحبَّة، واجمعْ نياتنا على الجهاد في سبيلك، واجمعْ عزائمنا على عمل الخير وخير العمل.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ بِمِثْلِ مَا عَلَّمْتَهُ وَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّكَ لَكَارِهُمُ الْعَادِلِينَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

\*\*\*

## قيمة المساجد في الإسلام (١)

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

#### حدث مبارك في أيام مباركة:

نَبِّشُرْكُمْ بِهَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارِكِ، الَّذِي تَنْزَلُ فِيهِ رَحْمَاتُ اللَّهِ وَنَفْحَاتُ السَّمَاءِ، نَبِّشُرْكُمْ بِهَذَا الْيَوْمِ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ، وَلَا أَدْحَرُ، وَلَا أَحْقَرُ، وَلَا أُغِيظُ مِنْهُ يَوْمَ عَرَفَةَ؛ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِمَّا يَرَى مِنْ تَنْزُلِ الرَّحْمَةِ، وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنِ الذَّنُوبِ، إِلَّا مَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ»<sup>(٢)</sup>.

هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي يَصْغُرُ فِيهِ الشَّيْطَانُ، وَتَنْزَلُ فِيهِ النِّفْحَاتُ، شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ افْتِتَاحَ هَذَا الْمَسْجِدِ فِي يَوْمِ عَرَفَاتٍ.

(١) أَلْقَاهَا فُضَيْلَةُ الشَّيْخِ بِمُنَاسِبَةِ افْتِتَاحِ مَسْجِدِ التَّوْبَةِ فِي مَدِينَةِ «الْمَحَلَّةِ الْكُبْرَى يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ الْمَوْافِقِ ٨ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٣٧٢هـ - الْمَوْافِقِ شَهْرِ أَوْغُسْطُسِ ١٩٥٣م.

(٢) رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمُنَاسِكِ (١٥٩٧)، تَحْقِيقُ الأَعْظَمِيِّ. وَالبَيْهَقِيُّ فِي شُعْبِ الإِيمَانِ (٣٧٧٥)، وَقَالَ الْمُنْذَرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ (١٧٩١): مَرْسَلٌ. عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيْزٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي التَّمْهِيدِ (١١٦/١): هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ فِي فَضْلِ شَهَادَةِ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْمُبَارَكِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى التَّرْغِيبِ فِي الْحَجِّ. وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ مَحْفُوظٌ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ.

أبشركم بافتتاحه في هذا اليوم المبارك، وهذا المكان المبارك، وهذه الأيام الطيبة، وهذه الليالي الكريمة ليالي عشر ذي الحجة، التي أقسم الله بها في كتابه فقال: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾ [الفجر: ١، ٢].

أبشركم بهذا المسجد، وأرجو لكم أن تظّلوا في هذا الوقت منصتين مُلقينَ السمعَ لما يُلقى عليكم، ثمّ تصمّموا العزم على أن تعيشوا لدعوة الله، وعلى أن تموتوا على ملة رسول الله، وأن يكون لكم نصيب من التوبة والعودة إلى السماء، فعسى أن نقرع باب ربنا فيفتح علينا.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

### قيمة المسجد في الإسلام

أيها الإخوة المسلمون، نحن في هذا اليوم نحتفل بافتتاح هذا المسجد، ولم كلُّ هذا؟

قد يقول بعض الناس: هل للمساجد من الأهمية حتى تستحقّ هذا الاحتفاء؟

لقد بلغني أن بعض الناس يعارضون في افتتاح المسجد وقالوا: أولى بهذه النقود أن تُجمع وتُفتح بها مؤسّسات أخرى.

هؤلاء الناس يجب أن يعلموا هذه الحقيقة، الإسلام لا يمنع من إنشاء هذه المؤسّسات، ولكن بجوار ذلك كلّه يريد هذه البيوت التي تخِرُّ فيها الجباه ساجدة لله، ويعفّر المسلم فيها وجهه لله وحده، والإنسانية في حاجة إلى مساجد أكثر منها إلى مصانع ومعامل؛ فإنها تقوم لحاجة الجسم، أمّا المسجد فيقوم على حاجة الرُّوح والقلب.

ليس الإنسان جسمًا فقط، ولا لحمًا ولا دمًا ولا عصبًا، إنما هو سرٌّ من أسرار الله، ونفخة من رُوح الله، وقبس من نور الله، وما أسجد الله الملائكة إلا بهذا النور الذي جعله بين جنبيه، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

### الإنسان جسد وروح:

إنَّ الإنسان ليس إنسانًا بجسمه، ولا بلحمه وعظمه، ولكنَّه بهذا القلب وهذه الروح، بهذا القلب يسعد الإنسان، وعلى مقدار طهارته وإخلاصه وصفائه يتوقف نور العبد يوم القيامة.

قلبك - أيها الإنسان - هو المستند الذي ينجيك عند ربِّ العالمين، هو الحجَّة الواضحة التي يثبت بها قدمك على الصراط، ويثقل ميزانك يوم تخفُّ الموازين، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعراء: ٨٨، ٨٩].

### أيها الإخوان:

إنَّ الإسلام ليس مقصورًا على الرهبنة والدروشة؛ فالإسلام ليس دين دروشة ولا رهبانية.

### المسجد وتغذية الأرواح:

فإذا ظنَّ بعض النَّاس أنَّ مهمَّة المسجد مقصورة على التسبيح والتهليل، فقد أخطؤوا الطريق، وقد حادوا عن فهم الإسلام الصحيح؛ لقد كانت المساجد مكانًا للصَّلاة، وكانت بجوار ذلك معاهد للتربية، وثكنات للجنود المجاهدين، وبرلمانات للخلفاء.

كانت المساجد أماكن للعبادة الصحيحة، لا كهذه الصلاة التي ينقرها صاحبها نقر الدبابة، ويختطفها اختطاف الغاصب، فلا يحضر فيها قلب، ولا يُراقب فيها رب، يتحرك الجسم انخفاصًا وارتفاعًا بلا خشوع ولا خضوع، مع أن الله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه، فقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها<sup>(١)</sup>. هكذا كانوا، وهكذا كانت عبادتهم.

اسمعوا هذه الكلمات التي ذكرتها من قبل عن حاتم الأصم رضي الله عنه، وقد سُئِلَ عن صلاته، فقال: إذا حانت الصلاة، أسبغتُ الوضوء وأتيتُ الموضع الذي أريد الصلاة فيه، فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلى صلاتي، وأجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأظنّها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبر تكبيرًا بتحقيق، وأقرأ قراءة بترتيل، وأركع ركوعًا بتواضع، وأسجد سجودًا بتخشع، وأقعد على الورك الأيسر، وأفرش ظهر قدمها، وأنصب القدم اليمنى على الإبهام، وأتبعها الإخلاص، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا<sup>(٢)</sup>.

(١) إحياء علوم الدين (١٥١/١)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) المصدر السابق نفسه.

هكذا كانت المساجد معابد للتقوى، والصلاة الخاشعة التي تُربّي الرُّوح، وتربط الإنسان بالصلاة، وتُخرجه من الدنيا إلى حضرة السماوات العُلا.

### الدور السياسي للمسجد:

كان المسجد له الإشراف الديني، والتوجيه السياسي، يجتمع المسلمون فيه ونواب الأمة، يقيمون الصلاة، ويخطب فيهم الحاكم خطبة العرش. لقد قال الخليفة الأوّل أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا أيّها النّاس، إنّي قد وُلّيتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإنّ ضعفتُ فقوّموني، وإن أحسنتُ فأعينوني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، الضعيف فيكم القوي عندي حتّى أزيح عليه حقّه - إن شاء الله، والقوي فيكم الضعيف عندي حتّى آخذ منه الحقّ، إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلّا ضربهم الله بالفقر، ولا ظهرت الفاحشة في قوم إلّا عمّهم البلاء، أطيعوني ما أطيعتُ الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم<sup>(١)</sup>.

هذه هي خطبة العرش، حدّد فيها أبو بكر سياسته باختصار، فلم يقل: ستعمل حكومتي، وستقوم وزارتي.. سياسة محدّدة في كلمات قصار.

وعمر رضي الله عنه يقول: أيّها النّاس ألا تسمعون؟

فقال سليمان: لا نسمع.

قال: ولم يا أبا عبد الله؟

قال: لأنك قسّمت علينا ثوبًا ثوبًا وعليك حلّة (والحلّة: ثوبان).

(١) ذكره ابن هشام في السيرة (٨٢/٦)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤١٩/٩)، وصحّح إسناده،

عن أنس.

قال: لا تعجل يا أبا عبد الله، ثم نادى: يا عبد الله، فلم يجبه أحد، فقال: يا عبد الله بن عمر.

قال: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: نشدتك بالله، الثوب الذي ائترت به هو ثوبك؟

قال: اللهم نعم.

فقال سليمان رضي الله عنه: أمّا الآن فقل نسمع<sup>(١)</sup>.

أسئلة واستجابات صريحة.

وهذا عمر رضي الله عنه، يروي عنه حذيفة يقول مرّة: مَنْ رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومني، فيقوم أعرابي جلف ويقول: والله - يا أمير المؤمنين - لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحدّ سيفنا.

ماذا قال أمير المؤمنين؟ لم يقل: اقبضوا عليه، ولكنّه قال هذه الكلمة الطيبة: الحمد لله الذي جعل في أمّة المسلمين مَنْ يقوم أمير المؤمنين بحدّ سيفه<sup>(٢)</sup>.

### المساجد معاهد للتربية:

كانت المساجد برلمانات للأمة، ومعاهد للتربية، تربّي المسلم على الجندية، تربّي رُوحه بالخشوع في العبادة، وتربّي نفسه على الخلق الكريم، وتربيّه على الجندية وعلى الحياة العسكريّة.

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة (١١٨/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

(٢) ذكره على بن خلف في كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد (١٩١/١)، تحقيق محمد محمد تامر، نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة. ورواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٢٩) بنحوه بدون ذكر السيف.

إنَّ أساس حياة الجنديَّة أمران لا يختلفان باختلاف العصور والأمكنة، هما الطاعة والنظام، إذا توفرا في شعب من الشعوب وفي جماعة من الجماعات، فإنها ستسير إلى التقدُّم والرقى.

والمسجد يربِّي المسلم على الطاعة والنظام، فالإسلام يحثُّ على صلاة الجماعة في المسجد، فكلُّ خطوة بحسنة تُكْتَب، أو سيئة تُمَحَى، أو درجة تُرْفَع، وجعل «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»<sup>(١)</sup>، بل همَّ رسول الله ﷺ أن يُحَرِّق على قوم بيوتهم؛ لأنَّهم يتخلَّفون عن صلاة الجماعة<sup>(٢)</sup>.

يحرص الإسلام على الجماعة لأسباب كثيرة، يهْمُنَا أن نذكر منها حياة الطاعة والنظام، إذا قال الإمام: الله أكبر. قلنا مثله، فإذا قرأ نصت، وإذا ركع نركع، وإذا رفع رأسه من الركوع نرفع، وإذا سجد نسجد، وإذا اعتدل من السجود نعتدل، وإذا سلَّم نسلَّم.

يجب على المأمومين أن يتَّبِعُوا الإمام، والنَّبِيَّ ﷺ يقول: «أما يخشى أحدكم - أو ألا يخشى أحدكم - إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو صورته صورة حمار؟»<sup>(٣)</sup>.

وقد يكون المعنى المسخ مسخ الصورة أو مسخاً معنوياً.

يقول عبد الله وقد رأى رجلاً يركع قبل الإمام: يا هذا، لا وحدك صليت، ولا بإمامك اقتديت<sup>(٤)</sup>.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٤٥)، ومسلم في المساجد (٦٥٠)، عن ابن عمر.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٤٤)، ومسلم في المساجد (٦٥١)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٩١)، ومسلم في الصَّلَاة (٤٢٧)، عن أبي هريرة.

(٤) المغني لابن قدامة (٣٧٨/١)، نشر مكتبة القاهرة.

وعن أبي هريرة أنه قال: الذي يرفع رأسه ويخفضه قبل الإمام، فإنما ناصيته بيد شيطان<sup>(١)</sup>.

هذا كله لتعود على النظام، صفوف متراصة كالبنيان المرصوص، تتبع الإمام إذا ركع أو سجد.

وكان ﷺ يسوي الصفوف ويقول: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»<sup>(٢)</sup>، «سؤوا صفوفكم؛ فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة»<sup>(٣)</sup>، وكان يعدل الصفوف بيده حتى يكون الصف مستقيماً معتدلاً.

وهذا كله تربية على معنى النظام.

كانت المساجد معاهد تربية، ومدارس للثقافة، تعلم المسلمين وتهذبهم، فإذا تمسك المسلمون بدينهم كما أنزل الله، ودعا إليه رسوله ﷺ، وفهمه أصحابه، هذا الفهم الدقيق العميق، سنكون كما أراد الله خير أمة أخرجت للناس.

### المسجد معسكر الجنود:

كانت المساجد ثكنات للجنود، منها تخرج الجيوش، منها تنطلق كتائب الله، ترفع لواء الحق، وتعلي كلمة الله، من المسجد خرجت الجيوش تعلي كلمة الحق، وتنشر الإسلام في كل مكان، لتعلم الناس أن الدين الإسلامي قد جاء بالحق والعدالة.

وبعث سعد بن أبي وقاص رسولاً - وهو رباعي بن عامر - إلى رؤسهم

(١) رواه مالك (٣٠٦)، تحقيق الأعظمي، وابن أبي شيبة (٧٢٢٣)، كلاهما في الصلاة.

(٢) رواه مسلم في الصلاة (٤٣٢)، وأحمد (١٧١٠٢)، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٢٣)، ومسلم في الصلاة (٤٣٣)، عن أنس.

قائد الفرس، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة، والزرابي الحرير، وأظهرت اليواقيت واللالئ الثمينة، والزينة العظيمة، وجلس رستم وعليه تاجه، على سرير من ذهب، ودخل رباعي بثياب صفيقة، وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضة على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إنني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

فقال رستم: ائذنوا له.

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام<sup>(١)</sup>.  
هكذا كانت المساجد، ومن يتخرج منها، وهكذا يجب أن تكون.  
إن الذي نريد أن نتعلمه اليوم أن المسجد يربّي الفرد على الجندية، ويربّي الجماعة على معاني كثيرة، منها المساواة والإخاء والعدالة.

### المساواة:

المساواة يجب أن نأخذها من المساجد، فإن الإنسان عندما يدخل المسجد لا يجد الصفّ الأوّل مخصّصاً للملوك، والثاني للوزراء أصحاب المعالي، والثالث لأعضاء مجلس الشيوخ، والرابع لأعضاء مجلس النواب، والخامس لمن يملك عدة أفدنة.

(١) سبق تخريجه ص ١٩.

ليس في الإسلام هذا، بل لكلِّ مسلمٍ غنيٍّ أو فقيرٍ أن يتقدّم الصفوف إذا ذهب إلى المسجد مُبَكَّرًا؛ حتّى يتعلّم المسلمون معنى المساواة.

لقد قال إمامنا الأستاذ حسن البنا يومًا ذات مرّة مداعبًا للسامعين في إحدى المحاضرات، وكان مثلاً موفقاً فيه غاية التوفيق: «إنّ هذه الصلّاة الإسلاميّة التي نوذّيها في اليوم خمس مرّات، ليست إلّا تدريباً يوميّاً على نظام اجتماعي عملي، امتزجت فيه محاسن النظام الشيوعي بمحاسن النظام الديمقراطي بمحاسن النظام الدكتاتوري». فعجبوا وقالوا: كيف ذلك؟

فقال: «أفضل ما في النظام الشيوعي من حسنات؛ تدعيم معنى المساواة، والقضاء على الفوارق والطبقات، ومحاربة الاعتزاز بالملكيّة التي يكون عنها هذا التفاوت. وهذه المعاني كلّها يستحضرها المسلم، ويشعر بها تمامًا، وتتركّز في نفسه إذا دخل المسجد؛ لأنّه يستشعر لأول دخوله: أنّ هذا المسجد لله، لا لأحد من خلقه، وأنّه سواء العاكف فيه والباد، لا صغير فيه ولا كبير، ولا أمير ولا حقير، ولا فوارق ولا طبقات، فإذا صاح المؤذّن: قد قامت الصلّاة، قد قامت الصلّاة. استوى هذا الجمع خلف إمامه كالبنيان المرصوص، فلا يركع أحد حتّى يركع الإمام، ولا يسجد حتّى يسجد، ولا يأتي بحركة أو سكون إلّا تابعاً له ومقتدياً به ومقلدًا إياه، وهذا هو أفضل ما في النظام الدكتاتوري: الوحدة والنظام في الإرادة والمظهر على السواء.

ولكن هذا الإمام مقيّد هو نفسه بتعاليم الصلّاة ودستورها، فإذا انحرف أو أخطأ في تلاوة أو عمل، كان للصبي الصغير، وللرجل الكبير، وللمرأة المصلية خلفه، كان لكلِّ واحد من هؤلاء الحقُّ كلِّ الحقّ: أن

ينبّه إلى خطئه، وأن يردّه إلى الصواب في أثناء الصلّاة، وكان على الإمام كائناً من كان أن ينزل على هذا الإرشاد، وأن يعدل عن خطئه إلى الحقّ والصواب، وليس في الديمقراطية أروع من هذه الحسنات.

فماذا بقي بعد ذلك لهذه النظم من فضل على الإسلام؟! وقد جمع محاسنها جميعاً، واتقى بهذا المزج البديع كلّ ما فيها من سيئات: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] (١).

في المسجد مساواة كاملة في الحقوق والواجبات.

لقد سرت امرأة مخزومية شريفة فاهتمت قريش بشأنها، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟

فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حبّ رسول الله ﷺ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حدّ من حدود الله؟». ثم قام فاخطب، ثمّ قال: «إنّما أهلك الذين قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ، وإيم الله لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرت لقطع يدها» (٢).

مساواة كاملة أمام القضاء والقانون.

بل إنّ النّبي ﷺ أنفذ المساواة على نفسه، كما روي من أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قِدْح يعدل به

(١) رسالة: مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا ص ٦٧٦،

٦٧٧، نشر دار التوزيع الإسلامية، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٥)، ومسلم في الحدود (١٦٨٨)، عن

عائشة.



القوم، فمرّ بسواد بن غزيرة حليف بني عدي بن النجار، وهو مستنل من الصف<sup>(١)</sup>، وقال: «استوي يا سواد».

فقال: يا رسول الله، أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل. قال: فأقطني.

فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال: استقد.

قال: فاعتنقه فقبّل بطنه.

فقال: «ما حملك على هذا، يا سواد»؟

قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدي جلدك.

فدعا له رسول الله ﷺ بخير<sup>(٢)</sup>.

النبي نفسه مكن الرجل من أن يقتص منه، ليس في الإسلام كبير وصغير، ولا من يعلو على القانون وذاته مقدّسة ومصونة، إنّما الأمر كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَتَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، لا في الدنيا ولكن عند الله، المساواة هي المبدأ الذي يربّي المسجد.

الديمقراطية أفضل ما فيها العدل، والعدل كلُّ مصلٍّ يأخذه من الصلّاة في المسجد؛ لو أخطأ الإمام في قراءته، أيُّ واحد يردُّ عليه، حتّى المرأة تصفّق، فلها الحقُّ في أن تصحّ خطأ الإمام.

### العدل:

فالصلّاة في المسجد عبارة عن صورة مصغّرة لحياة المسلمين؛ فيها العدل بين الغني والفقير، والحاكم والمحكوم، والرئيس والمرؤوس.

(١) أي: متقدّم عن الصف.

(٢) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٥٥٠)، وانظر: سيرة ابن هشام (٢٧٨/٢، ٢٧٩).

فالعَدْلُ مَبْدَأٌ مِنْ مَبَادِيءِ الْإِسْلَامِ الرَّئِيسِيَّةِ الَّتِي يَلْقِنُهَا الْمَسْجِدُ  
لِلْمُسْلِمِينَ، فَالْعَدْلُ أَسَاسُ الْمَلِكِ، وَمَبْدَأُ رِئِيسِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يُفَرِّطَ فِيهِ،  
وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ  
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَرْضَى الظلم، حَتَّى لِلْكَافِرِ، وَالنَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ:  
«اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»<sup>(١)</sup>.

بَلْ يَجِبُ أَلَّا نَظْلِمَ الْحَيَوَانَاتِ؛ لِأَنَّهُ دِينَ الرَّحْمَةِ الْعَامَّةِ، وَالنَّبِيِّ ﷺ  
قَالَ وَقَدْ وَقَفَ عَلَى دَوَابِّ لَهُمْ وَرَوَاحِلَ فَقَالَ لَهُمْ: «ارْكَبُوهَا سَالِمَةً،  
وَدَعُوهَا سَالِمَةً، وَلَا تَتَّخِذُوهَا كِرَاسِيًّا لِأَحَادِيثِكُمْ فِي الطَّرِيقِ وَالْأَسْوَاقِ،  
فَرُبَّ مَرْكُوبَةٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهَا، وَأَكْثَرُ ذِكْرًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

هَذَا هُوَ الْعَدْلُ مَعَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ، فَكَيْفَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ؟

يَجِبُ أَنْ نَعْدَلَ، إِذَا كَانَ عِنْدَكَ خَادِمٌ أَوْ أَجِيرٌ فَاعْدَلْ مَعَهُ وَلَا تَظْلَمْهُ،  
الْإِسْلَامُ لَا يَرْضَى أَنْ تَظْلِمَ الْعَامِلَ، إِنَّ الْعَامِلَ الَّذِي يَعْمَلُ سَحَابَةَ يَوْمِهِ،  
وَيَعْرِقُ جَبِينَهُ، ثُمَّ لَا يُعْطَى أَجْرَهُ مَظْلُومٌ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعْطُوا  
الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ»<sup>(٣)</sup>.

الْإِسْلَامُ دِينَ الرَّحْمَةِ، يَرِيدُ لِلنَّاسِ أَنْ يَعِيشُوا بِكَرَامَةِ الْآدَمِيِّ، بِكَرَامَةِ  
الْإِنْسَانِ الَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ.

(١) مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي (٤٣٤٧)، وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ (١٩)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ (١٥٦٢٩)، وَقَالَ مَخْرَجُوهُ: حَدِيثٌ حَسَنٌ إِلَى قَوْلِهِ: وَلَا تَتَّخِذُوهَا كِرَاسِيًّا. وَقَالَ

الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (١٧١٥٦): إِسْنَادُهُ حَسَنٌ. عَنْ مَعَاذِ بْنِ أَنَسٍ.

(٣) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي الرَّهْنِ (٢٤٤٣)، وَالْقُضَاعِيُّ فِي مَسْنَدِ الشَّهَابِ (٧٤٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ

فِي صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ (١٩٨٠)، عَنْ ابْنِ عَمْرِو.

اعلموا أنّ هناك طائفة مهضومة ضائعة جائعة، تنظر إليهم فتراهم صُفر الوجوه من الأسى، من الجوع، من الفقر، وهناك طوائف أخرى تشكو من التخمة، هؤلاء ينظر الله إليهم فيسلبهم محبته، ويُنزل عليهم سخطه، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منّا من بات شبعان، وجاره جائع وهو يعلم»<sup>(١)</sup>، «أيما أهل عَرَصَة<sup>(٢)</sup> ظلّ فيهم امرؤ من المسلمين جائعًا، فقد برئت منهم ذمّة الله وعجل»<sup>(٣)</sup>.

إذا ذهب العامل إلى الطبيب قال له: عندك فقر دم من سوء الأكل، يشتغل كثيرًا، ويحرق كثيرًا، وليس هناك طاقة.

ويذهب إليه رجل آخر فيقول له: عندك تخمة، عندك سمنة، عندك ضغط دم؛ لأنك لم تشتغل أبدًا وتأكل كثيرًا.

ولو أعطى من أصيب بالتخمة اللقمة الزائدة للثاني، ما اشتكى هذا ولا ذاك. هذا هو معنى العدالة: ترفع من مستوى الفقير، وتخفض من مستوى الغني، والمسجد يعلمنا هذا المعنى الاجتماعي وهو العدالة.

والله تعالى لا يرضى بالظلم: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، وسيخيب الظالمين في الدنيا الآخرة: ﴿وَعَنْتَ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقِيُومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

(١) رواه البزار (٧٤٢٩)، والطبراني (٢٥٩/١)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمى في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٥)، عن أنس.

(٢) العرصة: البقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها.

(٣) رواه أحمد (٤٨٨٠)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو يعلى (٥٧٤٦)، والحاكم في البيوع (١١/٢). وقال الذهبي: عمرو بن الحصين العقيلي تركوه، وأصعب بن زيد الجهني فيه لين. عن ابن عمر.

إِنَّ اللَّهَ بِرَحْمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ لَا يُؤَجِّلُ عِقُوبَةَ الظَّالِمِ إِلَى الآخِرَةِ فَقَطْ، بَلْ يَجْعَلُهَا فِي الدُّنْيَا كَذَلِكَ خَرَابًا فِي الْبُيُوتِ، وَضُرًّا فِي الْأَجْسَادِ، وَارْتِفَاعًا فِي ضَغْطِ الدَّمِ، وَفَسَادًا فِي الْأَوْلَادِ، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢].

### الإخاء:

#### أيها الإخوان:

يَعْلَمُنَا الْمَسْجِدُ مَعَانِي اجْتِمَاعِيَّةً، مِنْهَا الْمَسَاوَاةُ، وَمِنْهَا الْعَدَالَةُ، وَمِنْهَا الْإِخَاءُ، يَعْلَمُنَا الْمَحَبَّةَ حَتَّى لَا يَتَشَاخَرُ النَّاسُ، بَلْ يَجْتَمِعُونَ فِي الْيَوْمِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَفِي الْأَسْبُوعِ مَرَّةً، فُضِرَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فَرَضًا مُؤَكَّدًا، وَيَجْتَمِعُ أَهْلُ الْبَلَدِ مَرَّتَيْنِ، سُنَّ لَهُمْ ذَلِكَ فِي صَلَاةِ الْعِيدِ.

هَكَذَا يَحْتُمُّ الْإِسْلَامُ عَلَى الْمَحَبَّةِ، إِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَغْرَسَ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ الْمَحَبَّةَ فَيَتَعَارَفُوا، وَيَتَعَاوَنُوا، وَيَتَأَلَّفُوا، فَيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تَتَوَّأَمُوا، وَلَا تَتَوَّأَمُوا<sup>(١)</sup> حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ: أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

### فضل بناء المساجد وعمارتها:

هَذِهِ بَعْضُ الْمَعَانِي الَّتِي يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَهَا عَنْ مَهْمَّةِ الْمَسْجِدِ، فَلَيْسَتْ الْمَسَاجِدُ مَقْصُورَةٌ عَلَى الصَّلَاةِ، وَدَعَا الْإِسْلَامُ إِلَى عِمَارَتِهَا فَقَالَ تَعَالَى:

(١) كَذَا وَرَدَ الْحَدِيثُ بِحَذْفِ النُّونِ، وَهِيَ عَلَى لُغَةٍ قَلِيلَةٍ تَحْذِفُ نُونَ الْأَفْعَالِ الْخَمْسَةَ مِنْ غَيْرِ نَاصِبٍ وَلَا جَازِمٍ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ (٥٤)، وَأَحْمَدُ (٩٧٠٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة: ١٨]، وقال الرسول ﷺ: «مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا لِلَّهِ تَعَالَىٰ بَنَىٰ لِلَّهِ لَهٗ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

ومن مشى إلى المسجد كان له ثواب عظيم: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

كانت المساجد - كما علمنا - مدارس للثقافة، ومعاهد للتربية، وبرلمانات للأمة، وثكنات للجيش، وتربية للفرد والأمة على المساواة والعدل والإخاء.

### لماذا ضعف تأثير المسجد؟

أيها المسلمون، إنَّ المسجد وحده لا يستطيع أن يؤدي رسالة الإسلام - كما قلنا، فمهما خشعت القلوب في المسجد، وارتعشت الأبدان خوفاً من الله، ثمَّ خرجوا إلى الشارع فإذا بالأغاني الخليعة، والبارات والمقاهي، والنساء الكاسيات العاريات، المائلات المميلات. كلُّ هذا يُفسد على الخطيب خطبته، وعلى المحاضر محاضرتَه، وعلى المدرِّس درسه.

متى يبلغُ البيانُ يوماً تاماً إذا كنتَ تبنيه وغيرُك يهدِمُ<sup>(٣)</sup>

(١) متَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري في الصَّلَاة (٤٥٠)، ومسلم في المساجد (٥٣٣)، عن عثمان بن عفَّان.

(٢) رواه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وقال: غريب. كلاهما في الصلاة، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (١٨٥)، عن بريدة الأسلمي.

(٣) من شعر صالح بن عبد القدوس. كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.



وقال آخر:

أرى ألفَ بانٍ لا تقومُ بهادمٍ فكيف بيانٍ خلفه ألفُ هادمٍ<sup>(١)</sup>  
 إذن فلا بدّ أن يتعاون مع المسجد كلُّ مقومات التوجيه، لا بدّ أن  
 يتعاون البيت مع المسجد، ولا بدّ أن تتعاون المدرسة مع المسجد في  
 تحقيق هذه المعاني، لا بدّ أن يتعاون المسرح والسينما، لا بدّ أن يتعاون  
 مع المسجد الإذاعة، والصحافة، والكتب في أداء رسالة الإسلام.

أمّا أن يظلّ المسجد وحده في إرشاد الناس، والدعوة إلى الخير،  
 والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الأدوات الهدامة تعمل  
 عملها في أبنائنا، فلا يمكن أن نصل إلى غاية.

فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المسلمون، وقولوا كما قال أبوكم آدم  
 وأمكم حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ  
 الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

\* \* \*

(١) من شعر عبد الله بن الرية المالقي. انظر: مطالع الأنوار ونزهة الأبصار (٢٢٩/١)، تحقيق  
 عبد الله المرابط الترغي، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

## حجاب المرأة المسلمة

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ:

#### مشروعية الحجاب:

حديثنا اليوم عن الحجاب، حجاب المرأة المسلمة؛ بمناسبة ما يجري في بعض بلاد الإسلام من منع المرأة المسلمة أن تمارس حقها في الحجاب، الحجاب في تراثنا كلمة لها معنى، ومدلول غير المدلول الذي نعرفه اليوم، الحجاب حيز المرأة في بيتها، فلا تخرج إلا لحاجة، كما كان شأن نساء النبي ﷺ، ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

هذا هو الحجاب التاريخي.

ولكن كلمة «الحجاب» إذا ذكرت اليوم أصبح لها مدلول معروف، شاع بوصفه مصطلحًا عامًا لدى جماهير المسلمين، يُقصد بكلمة

الحجاب إذا ذكرت: لبس الخمار الذي يغطي الرأس والأذنين والعنق والنحر مع الثياب الساترة، التي لا تشف ولا تصف.

هذا هو الحجاب الشرعي، حينما تذكر كلمة «الحجاب» يُقصد هذا، ويقولون - أيضًا: لبس الخمار، وهذه ليست من اختراع الناس، وإنما الخمار هو ما أمر به القرآن الكريم في سورة النور، حيث قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، الزينة الظاهرة، ما ظهر بحكم العبادة والعادة، وهو الوجه والكفان، كما جاء عن عدد من الصحابة: ابن عباس<sup>(١)</sup> وعائشة<sup>(٢)</sup> وأنس<sup>(٣)</sup>، وكما جاء عن عدد من التابعين<sup>(٤)</sup>، قالوا: الوجه والكفان، أو الكحل والخاتم، أي: الزينة الخفيفة، مثل الكحل في العينين، والخاتم في الأصابع.

### مواصفات الزي الشرعي:

ثم قال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، والخمار: هو غطاء الرأس، أي: يضربن بغطاء الرأس بـ(الطَّرْحَة بالإيشارب) بالخمارة، سمّه ما تسميه، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ والجيب: هو فتحة الصدر، هذه الفتحة كان نساء الجاهلية يكشفن صدورهن ونحورهن؛ لأنهن يتزينن بقلائد الذهب والجوهر، ويردن أن يظهرن ذلك للناس، للرجال

(١) رواه ابن أبي شيبة في النكاح (١٧٢٨١، ١٧٢٩٧).

(٢) رواه البيهقي في الصلاة (٢٢٦/٢).

(٣) رواه البيهقي في النكاح (٨٥/٧).

(٤) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (١٧٢٩٢ - ١٧٢٩٨).

ولغيرهم، وأراد الله تعالى للنساء المؤمنات أن يتميزن عن نساء الجاهلية، فقال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، بحيث تغطي المرأة فتحة الصدر - هذا هو الجيب - فتغطي رأسها، وتغطي عنقها، وتغطي نحرها.

هذا ما جاء به الإسلام، وأكدته القرآن في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًّا لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]، أمر الله النبي ﷺ أن يخاطب أزواجه وبناته ونساء المؤمنين عامّة، ﴿يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾، أي: يرخين الجلابيب (العباءات والملاءات وما شابه)، كل عصر له ثيابه، ففي بعض الأوقات كانت المرأة تلبس الملاءة، فيقال لها: أرخي الملاءة بحيث تغطي جسمك، تغطي الذراعين وتغطي الساقين، بعض البلاد كان النساء يلبسن «الملس»<sup>(١)</sup>، بعض البلاد تلبس (بلطو أو معطفًا)، ليس المهم نوع الملابس، المهم أن يكون هذا الملابس ساترًا للجسم كله، ما عدا الوجه والكفين عند جمهور العلماء، والوجه والكفين والقدمين عند بعضهم، وكل ما عدا ذلك يجب ستره، ستره بما لا يشف ولا يصف، ليست العبرة أن تلبس المرأة ثيابًا فقط، بل يجب أن تكون ساترة ولا تصف؛ لأن النبي ﷺ ذكر نساء من أهل النار يلبسن ثيابًا في الظاهر، ولكن هذه الثياب تجعل المرأة ظاهرة المفاتن، أي: يلبسن ثيابًا تشف ما تحتها، وتكشف ما وراءها.

هذا ثوب ليس بساتر، فالحديث سماهن الكاسيات العاريات، يعني: لابسة وعريانة، وهؤلاء من أهل النار كما بيّن الرسول ﷺ في الحديث: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون

(١) الملس: رداء قديم كانت تلبسه النساء في مصر، متسع، يشبه العباءة.

بها النَّاسُ، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة  
البُخْتِ المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد  
من مسيرة كذا وكذا»<sup>(١)</sup>.

«قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها النَّاسُ»، وهم الحَكَّام  
الطَّغاة والجلادون الَّذِينَ يعذَّبون الشعوب.

«ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت  
المائلة»، القَصَّات التي يعملونها كأنها سنام الناقة، «لا يدخلن الجنة،  
ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».

الكاسية العارية هذه ليست محجبة، تلبس ملابس، ولكنها تكشف  
عن مفاتن الجسد.

مصيبتنا في عصرنا - أيها الإخوة والأخوات - أننا مبتلون بالحضارة  
الغربية الغازية، الحضارة المكتسحة للعالم، هذه الحضارة لها فلسفة في  
اللباس والزِّي غير فلسفتنا - نحن المسلمين.

فلسفة الحضارة الغربية أنَّ المرأة تلبس ما يغري الرجال بها، ما يلفت  
الأنظار إليها، ما يجعل الأعين تختطفها، الغادون والرائحون ينظرون  
إليها، لا بدَّ للمرأة أن تلبس من الثياب ما يحدّد صدرها، ويظهر خصرها،  
ويبرز مفاتنها.

هذه هي فلسفة الحضارة الغربية.

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٩٦٨٠)، عن أبي هريرة.

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تِكُمْ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

أول هدف للباس مواراة السوءات، أي: ستر العورة، خصوصًا المرأة، ﴿يُؤَرِّى سَوْءَ تِكُمْ وَرِيْشًا﴾: جمالًا، الإسلام لا يمنع أن تلبس اللبس الجميل، والمرأة تلبس اللبس الجميل ولكن في حدود الشرع.

فهذه فلسفة غير فلسفة الحضارة الغربيّة، لا قيمة للحجاب، إذا لبست المرأة الحجاب وكان لباسها شفافًا أو وُصَافًا، كانت الملابس تصف كلّ عضو من الجسم، تصف المحاسن والمفاتن.

هذا ما يرفضه الإسلام.

دخلت امرأة على السيّدة عائشة رضي الله عنها، وهي تلبس ملابس شفافة، فقالت لها: لا تلبس هذه امرأة تؤمن بسورة النور<sup>(١)</sup>؛ السورة التي قالت: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾.

لكي يكون الحجاب إسلاميًا لا بدّ أن تلبس المرأة ما لا يشفّ ولا يصفّ، وأن يغطي الملبس جميع جسمها، ما عدا الوجه والكفين والقدمين على مذهب، ولكن لا يجوز أن تكشف شيئًا من شعرها، أو شيئًا من نحرها، أو شيئًا من الذراعين أو الساقين.

لا يجوز هذا للمرأة المسلمة، المرأة المسلمة لا تلبس الثياب القصيرة، إذا كانت تريد أن تُرضي الله وعجل، وأن تُرْخِزَ عَنِ النَّارِ وَأَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ.

(١) عزاه السيوطي لسنن سعيد بن منصور في الدر المنثور (١٨٢/٦)، نشر دار الفكر، بيروت.

## مظهر المرأة كما يريد الإسلام:

لا يجوز للمرأة المتحجبة المستترة المحتشمة المؤتمرة بأوامر الله وَعَلَيْكُمْ، المنتهية عن نواهي الله تعالى، أن تكون ممَّن لعنهن رسول الله ﷺ؛ فعن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله النامصة والمتنمصة، والواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله»<sup>(١)</sup>.

النامصة والمتنمصة التي ترقق حاجبيها، تزيل شعر الحاجبين فلا يبقى فيه إلا خيط رفيع، في عصرنا أصبحن يفعلن أكثر من ذلك، يذهبن إلى محلات الزينة، أو ما يسمونه الكوافير، فيزيل لها الحاجب الذي خلقه الله، تزيل خلق الله! تستدرك على الله! لا يعجبها خلق الله! تزيل الحاجب، وترسم خطأ رفيعاً فوق الحاجب، وتلبس حجاباً، أي حجاب هذا؟! أي حجاب هذا!؟

النامصة والمتنمصة كيف تكون محجبة تأتمر بأمر الله وَعَلَيْكُمْ؟

من تريد أن تأتمر بأمر الله لا بد أن تأخذ به كله، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، ما يفعله النساء بأنفسهن في هذا العصر شيء عجيب، المفروض المرأة عندما تتزين، تريد أن تكون كأجمل امرأة خلقها الله، والله لم يخلق امرأة حاجبها فوق المعتاد، ولم يخلق امرأة حاجبها خط رفيع، لم يخلق الله هذا، لم يخلق الله امرأة هكذا، هذا شيء غير خلق الله وَعَلَيْكُمْ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٨٦)، ومسلم في اللباس والزينة (٢١٢٥)، عن

ابن مسعود.

والوشم الذي يفعله بعض النساء فيه تشويه للوجه واليدين بهذا اللون الأزرق والنقش القبيح، لعن رسول الله الواشمة والمستوشمة<sup>(١)</sup>.

«والواصلة والمستوصلة»، الوصل: أن يلبس «باروكة» أو «نصف باروكة» أو شيء من هذا، هذا أمر غير جائز، الحجاب الشرعي ينبغي أن يكون بعيداً عن هذه الأشياء التي لعنها الله ورسوله.

«والمتفلجات للحسن»: كان نساء العرب في الجاهلية، يبردن أسنانهن؛ لتكون فلجاء، كن يُمتدخنَ بالفلج، وهو فرق ما بين الأسنان؛ لئلا تكون أسنانها مزدحمة، فبعض النساء يكون عندهن فلج خلقي طبيعي، ولكن البعض الآخر ليس عندهن، فتقوم المرأة ببرد أسنانها، وتعذب نفسها حتى تكون فلجاء، لعن الله هؤلاء المتفلجات للحسن، المغييرات خلق الله، وهذا يدخل فيه في عصرنا ما يسمى بـ«عمليات التجميل»، المبالغة في عمليات التجميل، التي تصغر أنفها، والتي تصغر صدرها، والتي تضخم ثديها، والعجيب واحدة تصغر، وأخرى تكبر، مبالغات.

لا مانع في أن تعالج المرأة الشيء الشاذ حتى تعود إلى الطبيعة، عندها ستة أصابع في اليد أو في القدم، لا مانع شرعاً أن تعمل عملية جراحية لإزالة الإصبع الزائد، سنٌ خارجة عن الأسنان تزيلها، أو تقوم بعملية تقويم أسنان، كلُّ هذا لا مانع فيه من أجل أن تعود إلى الطبيعة التي خلق الله الناس عليها.

إنما ما يحدث اليوم فهو مبالغات، المرأة تريد أن تغيّر خلق الله، يفعل ذلك من لم يلتزم بالإسلام.

(١) رواه البخاري في الطلاق (٥٣٤٧)، عن أبي جحيفة السوائي.

أما من التزمت بالإسلام والتزمت بالحجاب، فلا يجوز أن تخوض فيما حرّم الله، وفيما لعن الله ورسوله فاعله، نريد من المسلمة المتحجبة الملتزمة أن تبتعد عن هذا كلّه.

### الحجاب المتبرّج!

يجب على المرأة أن تبتعد عما يسمونه بالحجاب المتبرّج، تلبس حجابًا ولكنّه في غاية الزينة، يلفت إليها أنظارًا قد لا تلتفت إلى أخرى لا تلبس الحجاب، لا يجوز هذا للمرأة المسلمة، لا يجوز للمسلمة المحجبة أن تلبس البنطلون الجينس الضيق، الذي يكاد (يأخذ قطعة من جسدها) كما يقولون، وعليه «بلوزة» - أيضًا - أشدّ ضيقًا، و«إيشارب» لا يكاد يستر الرأس، هذا ليس حجابًا.

### ولا تخضعن بالقول:

وكلّ مسلم عليه أن يأمر زوجته، وأن يأمر ابنته أن تلتزم بهذا الحجاب السابغ، الذي لا يصف ولا يشف، الذي ليس فيه تبرّج.

لا يجوز التفريط في خصائصنا، نحن لسنا أوروبيين ولا أمريكيين، نحن عرب مسلمون، ينبغي أن نحترم ما أمرنا الله ﷻ به، ينبغي أن نتميز، ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسُنٌّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]، أيضًا نساء المسلمين لسن كسائر النساء غير المسلمات، فلا بدّ أن يتميزن بزيهن، ولا بدّ أن يتميزن بكلامهن، كلامهن ليس فيه تكسّر، ولا إغراء، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾، ليس معنى ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ أن تغلقن أفواهكن فلا تتكلمن أبدًا.



لا، قلن قولاً معروفاً، الكلام المعروف ليس ممنوعاً، المرأة المسلمة، تتجلى إسلاميتها في كلامها إذا تكلمت، في مشيها إذا مشت، تمشي على استحياء، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾، في حركتها إذا تحرّكت، في كلّ تصرّفاتهما، تتصرّف بوقار المسلمة، المؤمنة التي تخشى الله وَعَجَّلَ، وتحرص على رضاه، لا على رضا الناس، ولا على اجتذاب هذا أو تلك، إنّما مهمتها وغايتها أن تحرص على إرضاء ربها، هذا هو الحجاب.

### دول إسلامية تحارب الحجاب!

هناك من المسلمات من رجعن إلى هذا الحجاب، وهن بحمد الله تعالى بالملايين، وهذا من آثار الصّحوة الإسلامية المعاصرة، هذه الصّحوة كانت بركة على المسلمين والمسلمات، على الرجال والنساء، في وقت من الأوقات ما كان المرء يجد امرأة محجبة تمشي في شوارع المدن العربيّة والإسلاميّة، العواصم الكبرى لا يكاد يجد فيها امرأة محجبة، حتّى إنّ المرأة تكون عجوزاً شمطاء، أكل الدهر عليها وشرب، ومع هذا تلبس الـ «ميني جب»، والـ «ميكرو جب»، والـ «جابونيز»، هذا قبل عصر الصّحوة الإسلاميّة.

فلما جاءت الصّحوة الإسلاميّة، دخل الآلاف ومئات الآلاف والملايين من الفتيات المسلمات عصر الحجاب الشرعي، عصر الخمار والزي الشرعي، مختارات غير مكرهات، كثير منهن فعّلت ذلك رغم اعتراض الآباء والأمّهات، استجابة لأمر الله وَعَجَّلَ.

## هذا من آثار الصّحة الإسلاميّة.

ومما يُؤسف له أن بعض بلاد الإسلام يضيق بهؤلاء المحجبات، لم يضيقوا ذرعًا بالمتكشّفات، بالمتبرجات، بالمتعريّات، لم يقولوا شيئًا لهؤلاء، ولكنهم وقفوا بالمرصاد، وقفوا بقوة، وبجبروت وقسوة، ضد هؤلاء المحجبات.

كانت تركيا في وقت من الأوقات تفعل ذلك، والآن في ظلّ الحكومة الحالية أصبح الحجاب غير ممنوع، ولكن في بعض البلاد في الشمال الإفريقي، أنا أقول بصراحة: في تونس يمنعون الحجاب بقوة، يعتبرون الحجاب جريمة، لا يجيزون للمرأة المختمرة أن تدخل المدرسة الحكومية، ولا الجامعة الحكومية، ولا الوظيفة الحكومية، ولا القطاع العام، ولا يسمحون لها أن تعالج في مستشفى من مستشفيات الدولة، ولا أن تلد في مستشفيات الدولة.

كيف يحدث هذا في بلد إسلامي، هذا أمر في منتهى الغرابة، الله وَجَلَّ جَلَالُهُ يريد أن يستر المرأة، وهؤلاء يريدون أن يعروها، الله وَجَلَّ جَلَالُهُ يقول لها: اضربي بخمارك على جيبك، وهؤلاء يقولون لها: انزعي خمارك من على رأسك. المرأة تقول: أريد أن أحتشم، وهم يقولون لها: تعري. أي منطق هذا؟

هذا ضد الدين، ضد أوامر الله ورسوله، وضد المواثيق الدولية، مواثيق حقوق الإنسان تجعل اللبس من الحرية الشخصية، وهؤلاء يعارضون حريتين أساسيتين من حريات الإنسان، ومن حقوق الإنسان: الحرية الأولى الحرية الشخصية، أن يلبس كلُّ إنسان ما يشاء، لماذا المسلمة التي تريد أن تحتشم هي التي تمنع، هذا ضد الحرية الشخصية.

ومن ناحية أخرى ضد الحرية الدينية، والحرية الدينية كفلتها جميع مواثيق حقوق الإنسان، وميثاق الأمم المتحدة، والدساتير الحديثة كلها تقول: الحرية الدينية مكفولة، والحرية الشخصية مكفولة، فإذا ما تعلق الأمر بالمسلمة ولباسها، تضيع الحرية الدينية وتضيع الحرية الشخصية.

الحجاب ليس مجرد حرية شخصية، المسلمة ليست حرة في أن تحتجب أو لا تحتجب، إنها ملزمة من الله تعالى، ملزمة أن تحتجب، فهذا أمر من الله من خالفته استحققت عقوبة الله.

من ذا الذي يفرض على المسلمة أن تخالف دينها؟ هذا لا يقول به أحد، لا يقول به دستور، لا يقول به ميثاق حقوق إنسان.

هذا شيء عجيب، نحن أصبحنا في زمن العجائب، أصبحنا في بلاد تعاقب من يعدد الزوجات، ولا تعاقب من يعدد العشيقات.

أصبحنا في بلاد تقوم على فلسفة تجفيف المنابع، ما معنى تجفيف المنابع: كل ما يؤدي إلى التدين الحقيقي، إلى إنشاء الشخصية المسلمة، التي تغار على الحق، تغار على الحرمات، مستعدة أن تبذل وتضحى في سبيل الله، تجاهد من أجل دينها ووطنها وقومها، هذه الشخصية ينبغي أن تُجفّف كل المنابع التي توصل إليها.

هذا ما نراه في عصرنا.

لا يجوز أبداً أن يسكت المسلمون على هذا، من حق المسلمة أن تلبس الزي الإسلامي.

قالوا: هذا زي طائفي، أي طائفية هذه؟!

إذا كانوا يعتبرون المسلمين في بلاد العالم طائفة، فهذا صحيح؛ لأن المسلمين في كل العالم يلبسون هذا الزي، الخمار والحجاب، أي طائفية؟!

والبعض يقول: زيٌّ مستورد.

مستورد، من أي البلاد استُورد؟

لقد استوردتم الأفكار من الغرب، واستوردتم الأنظمة، واستوردتم القوانين، واستوردتم التقاليد، واستوردتم كلَّ شيء من الغرب، فإذا كان هذا الزي مستورد من الشرق، أو من بعض البلاد الإسلاميّة، فما الذي يضُرُّ؟

وهذا ليس زيًّا مستوردًا، هذ زيٌّ أصيل، أن تغطي المرأة رأسها وعنقها ونحرها، هذا زيٌّ إسلامي.

فقالت أخواتنا: نلبس الزي التقليدي في تونس وهو زي طويل وسابغ لا يصف ولا يشف، ولبسته بعض الطالبات في الجامعة، ومع هذا ضاقوا به ورفضوه.

إنَّ من حقِّ المرأة المسلمة، بل من واجب المرأة المسلمة، أن تلبس ما يأمرها الله تعالى به، ومن واجب أسرتها أن تعينها على ذلك، ومن واجب المجتمع حولها، أن ييسر لها هذا الأمر، ومن واجب الدولة أن تحميها، وأن توفرَّ لها هذا الأمر، لا يجوز للدولة أن تمنعها؛ لأنَّها في هذه الحالة تضاد ما شرع الله ورسوله، تحارب الله ورسوله.

هذا ما ينبغي.

بعض البلاد تتيح للمرأة المتبرجة أن تظهر على الشاشة، فإذا تحجبت امرأة مُنعت أن تظهر على الشاشة، أصبحت عندهم (بُعبعًا)، غُولًا، لم هذا؟ لماذا؟ أليست هذه من المجتمع؟!

إنَّها تمثِّل المجتمع الَّذي تعيش فيه، والمحجبات بالملايين، فلماذا لا تظهر المرأة المحجبة على الشاشة؟

هذا اضطهاد، الحجاب والحشمة ما ينبغي أن يرفضوا، نحن نريد لمجتمع المسلمين أن يعيش في حرية، أقل ما ينبغي أن تُوفَّر له الحرية، إذا لم تُوفَّر له المساعدة، وتهيئة الجو الإيجابي، على الأقل نترك له الحرية، حرية الاحتشام، حرية الترقى، أن يترقى الإنسان عن الغرائز، أن يكون إنسانًا لا يجري وراء الشهوات كما تجري المجتمعات الغربيَّة، الَّتِي تركت الدين وتركت المسيحية.

المسيحية تقول: من كان قبلكم يقولون: لا تزني، وأنا أقول: من نظر إلى امرأة بشهوة فقد زنى<sup>(١)</sup>.

النظر بشهوة يعتبره المسيح عليه السلام زنى.

هؤلاء ليسوا مسيحيين، إنَّهم أجازوا كلَّ ما حرَّمته الأديان، أجازوا زواج المثليين، زواج الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، أجازوا الشذوذ وباركوه، أجازوا العري، خصَّصوا أندية للعراة.

ولكن هذا مجتمع ونحن مجتمع آخر، ينبغي أن نحرس نحن على أن نترقى بفضائلنا، المجتمع إذا ترك الفضائل سينهار حتمًا، نحن تحمينا فضائلنا، وتحرسنا قيَمنا وعقائدنا وشرائعنا، نحن نرتقي بهذه الفضائل.

(١) انظر: إنجيل متى (٥/٢٧ - ٢٩).

منذ عدّة سنوات حصلت طالبة في مصر في الإعدادية على مائة في المائة من الدرجات، وكان عمرها أربع عشرة سنة، فذهب الصحفيون إليها ليأخذوا منها أحاديث، وكان من الصحفيين صحفية متبرجة تلبس وفق آخر صيحة، ففوجئت بأن هذه الطالبة محجبة محتشمة، ففزعت حينما رأتها، وقالت: ما هذا؟ لماذا تصنعين هذا في نفسك؟

فقالت الطالبة: أي شيء فعلته في نفسي؟

قالت: هذا الحجاب وأنت في هذا السن الصغيرة.

فقالت لها الطالبة: بل أنا الذي أسألك: ما هذا الذي تفعليه في نفسك؟

فقالت الصحفية: أنا (على الموضة)، هذه هي الموضة، هذه هي الحضارة.

فقالت الطالبة: لا، بل على العكس من ذلك، الذي أفعله أنا هو الحضارة، أمّا الذي تفعليه هو الهمجية؛ لأنّ الإنسان البدائي الهمجي، لم يكن يعرف الثياب، كان مكشوفاً عرياناً، فلا شيء يستره، فلمّا بدأ يتحضر، بدأ يعرف اللباس ويخيط لنفسه اللباس شيئاً فشيئاً، حتّى وصل إلى ما وصلنا إليه، فالعري هو الهمجية، والاحتشام هو الحضارة، هذا ما قالته فتاة بنت الرابعة عشر.

### التزام المرأة بالزّي الشرعي هو قَمّة الحضارة:

نحن المسلمين الملتزمين نمثّل المجتمع الراقّي، الأمّة الراقية، الأمّة التي تحرس تراث الأنبياء، وموارث النبوة، كلُّ ما بعث الله به الأنبياء، من هدايات وموارث أخلاقيّة، نحن حراسها، ونحن جنودها، ونحن دعائها.

هذا ما نريده - أيها الإخوة.

للأسف في تونس، اتصلت بي إحدى الفتيات وهي تبكي، وتقول يا أستاذ: هل يجوز لي أن ألبس «الباروكة» لأغطي رأسي، وأدخل الجامعة لأتعلم.

قلت لها: يا ابنتي هذه الباروكة ليست غطاء، هذه زينة، هذه مبالغة في الزينة، كيف تكون غطاء للرأس؟

قالت: ماذا نفعل؟

هذه مصيبة كبرى - أيها الإخوة، إنَّ المسلمة أصبحت في بلاد الإسلام تحتار ماذا تفعل، في تونس معركة حول الحجاب، في فرنسا معركة حول الحجاب.

في بريطانيا معركة حول النقاب، ليس عندهم مشكلة حول غطاء الرأس، إنّما المشكلة عند بعضهم - وليس عند كلهم - حول تغطية الوجه، قال أحد المرشحين للانتخابات: لا أستطيع أن أتعامل مع امرأة منتقبة، امرأة لا أستطيع أن أراها وجهًا لوجه لا أستطيع أن أتعامل معها، وقامت الدنيا ولم تقعد.

أنا أقول لكم أيها الإخوة: أنا لست من أنصار النقاب، وجمهور علماء المسلمين لا يوجبون النقاب، الجمهور يوجبون الحجاب، ولا يرون الوجه عورة، ولكنني من أنصار الحرية، هب أن امرأة اقتنعت بأنَّ النقاب واجب عليها، أنلزمها أن تكشف وجهها وهي ترى ذلك حرامًا؟

لا يجوز هذا، هي حرة فيما تقتنع به، أقنعها أحد العلماء أن تغطية الوجه واجب، وذكر لها من النصوص ومن الأدلة ما أقنعها، هب أنّها

لا تراه واجبًا بل تراه أفضل وأحوط، هي حرة، ولذلك أنا أقول: ينبغي أن نقدر الحريات، وإن كنت لا أرى النقاب واجبًا، ولكن لا أقول ما قاله - للأسف - بعض الصحفيين وأيدهم بعض العلماء السطحيين: إنَّ النقاب بدعة وليس من الإسلام في شيء.

لا، هناك من قال بأنَّ النقاب واجب، وهو قول من الأقوال موجود في الفقه الإسلامي، وهناك بلاد إسلامية تقول بالنقاب، في المملكة العربية السعودية وفي باكستان وفي الهند وفي أفغانستان يفتون بوجوب النقاب، وهم أحرار في هذا، فنحن مع حرية المرأة المسلمة، المرأة المسلمة ينبغي أن نترك لها الحرية، ونتعامل معها بالحوار، من يستطيع أن يحاورها ويقنعها بأنَّ النقاب ليس فرضًا فلا حرج في ذلك، لكن انظروا المسافة بين من يحاور في فرضية النقاب أو عدم فرضيته، وبين من يحاور في مسألة الحجاب لمنع الحجاب بالكلية، هذا أمر خطير.

إنَّ الإسلام أدبنا بأفضل الآداب، وعلمنا مكارم الأخلاق، الإسلام يريد للمرأة المسلمة أن تترقى، لا أن تعيش في جانب الغريزة فقط، تعيش لمجرد الزينة، لا تعيش المرأة من أجل جسدها، المرأة ليست مجرد جسد، المرأة جسد وعقل وروح وضمير، وهي عضو في هذا المجتمع، و«النساء شقائق الرجال»<sup>(١)</sup>، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.

ينبغي للمرأة أن تشارك في المجتمع بإيجابية، وأن تقوم بدورها في تربية الأجيال، في معاونة زوجها، في مشاركة المجتمع في مهماته

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. ورواه أبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، كلاهما في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.

العظيمة، فلا يطير المجتمع إلا بجناحين، لا يطير بجناح واحد، ولا يعمل إلا بالجنسين معاً، وصدق الله العظيم إذا يقول: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾، أي: إن الرجل من المرأة، والمرأة من الرجل، هو يكملها، وهي تكمله، لا يستغني عنها، ولا تستغني عنه، ثم قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾، فالَّذِينَ هَاجَرُوا، أي: الرجال والنساء، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

أسأل الله ﷻ، أن يفقهنا في ديننا، وأن يردَّ المسلمين إلى رشدهم، وأن يردَّ النساء البعيدات عن الحجاب والاحتشام إلى الإسلام رداً جميلاً، وأن يردَّ الحكام البعيدين عن الإسلام إلى الإسلام، وأن يوفق الجميع إلى ما يحب ويرضى.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

ادعوا الله تعالى يستجب لكم، واستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

\*\*\*



## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

### حصار حكومة حماس:

منذ ما قبل رمضان، والأحداث كما هي، أحداث أمّتنا العربيّة والإسلاميّة لا تكاد تتحرك، لا تزال تدور في مدارها، لا يزال المرء حينما يرى نشرات الأخبار يرى المآسي والآلام، كلّها في بلاد الإسلام، الأخبار المؤسفة والمؤلمة، كلّها في ديارنا العربيّة والإسلاميّة، أحداث ما قبل رمضان لم تختلف عن أحداث اليوم، لا تزال قضية فلسطين كما هي، لا تزال قضية العراق كما هي، لا تزال قضية كشمير كما هي، لا تزال قضية أفغانستان كما هي، لا تزال قضية الصومال كما هي، لم تنته أحداث لبنان، ولم تنته المشكلة في لبنان بعد، كلّ ما كنا نشكو منه لا يزال قائماً كما هو، وأشد ما نشكو منه، وأمر ما نشكو منه، وأخطر ما نشكو منه، هو قضية القضايا، أم القضايا، قضية فلسطين، قضية أرض الثبوت، أرض المقدّسات، أرض الإسراء والمعراج، التي تتعرّض للأخطار باستمرار، ويزداد الخطر يوماً بعد يوم على المسجد الأقصى.

لا تزال هذه القضية في مكانها، لا تزال الحكومة التي انتخبها الشعب الفلسطيني بإرادته الحرة، لم يؤثر عليه أحد، السلطة هي التي أقامت الانتخابات، واختار الشعب الفلسطيني البطل، الصامد الصابر المضحي، اختار الإخوة في حماس ليحكموه بأمانة وطهارة واستقامة، ولكن الحرب لم تزل معلنة على الحكومة التي جاءت نتيجة الديمقراطية، أين الديمقراطية؟

لقد عُقد في قطر منذ أيام مؤتمر عالمي دولي للديمقراطيات، حضره المئات من الشخصيات، من الحكومات ومن المؤسسات، ومن البرلمانات، ومن مؤسسات المجتمع المدني، وأشادوا بالديمقراطية، أين الديمقراطية في فلسطين؟ أين العالم الذي اجتمع من أجل الديمقراطية؟ أين صوته المسموع؟ وأين لواءه المرفوع الذي يؤيد الحكومة التي جاءت بالنظام الديمقراطي؟ هل الديمقراطية مجرد كلام في كلام، شعارات في شعارات، مؤتمرات تجتمع ثم تنفض، وقرارات تُكتب ثم تبقى حبراً على ورق، أين الديمقراطية؟ أين العالم العربي؟ أين الدول العربيّة؟ أين جامعة الدول العربيّة لتشد أزر الحكومة الديمقراطية المنتخبة، لتهيئ الطريق لتصل إليها الأموال، أين العالم العربي؟ أين العالم الإسلامي؟ أين الحكومات؟ أين المؤسسات المجتمعية المدنيّة؟

لا نجد الصوت العالي، هناك أصوات ولكنها أصوات خافتة، الصوت الخافت يُنمّ اليقظان، والصوت الصارخ يوقظ النائم، نريد صرخات من شعوبنا من مؤسساتنا تؤيد الحقّ ضد الباطل، تؤيد النظام ضد الفوضى، تؤيد الطهارة ضد التلوث، تؤيد الاستقامة ضد الانحراف، نريد أصواتاً قوية تقف مع إخواننا، أين هذا كلّهُ؟ لماذا لا نرى هذه الأصوات في عالمنا؟

إخواننا لا يزالون يُحاربون إلى اليوم، ولم تقم الأمة بما يجب عليها نحو هؤلاء الإخوة، إسرائيل في كلّ يوم تقتل تذبّح تدمّر تحرق، تقتلع أشجاراً، وهي ماضية في طريقها، وآخرها الاجتياح الأخير في بيت حانون، بالأمس ثلاثة عشر شهيداً، ولا ندري ماذا كان اليوم، أين صراخ

العالم العربي والعالم الإسلامي، وعالم الديمقراطيات الجديدة والمستعادة والمستفاد، أين هذا العالم؟

نحن لا يسعنا إلا أن نقف بقوة وراء الحق الفلسطيني، وراء إخوتنا في فلسطين، وراء اختيار الشعب الفلسطيني، لا يجوز أبداً أن نضيع اختيار الشعب الفلسطيني، الشعب الفلسطيني اختار بملء إرادته، بكامل حريته، فلا يجوز أبداً أن يضيع هذا الاختيار هباء، أن يذهب سدًى.

على الأمة كلها أن تفعل شيئاً، الأمة إذا اجتمعت كانت شيئاً كبيراً، أمّتنا العربيّة ثلث مليار، أمّتنا الإسلاميّة مليار ونصف مليار، وتستطيع أن تفعل شيئاً.

لا يجوز أبداً أن نتخلّى عن إخوتنا في محنتهم، إننا نستطيع أن نأكل نصف بطوننا، نعيش على نصف بطوننا، كما قال عمر رضي الله عنه: لن يهلك الناس على أنصاف بطونهم. أيام المجاعة أعطى كل بيت واحداً من أهل المجاعة، وقال: لن يهلك الناس على أنصاف بطونهم<sup>(١)</sup>.

تستطيع أن تأكل نصف أكلة، نحن نستطيع أن نوّفر من أموالنا ونعطي إخوتنا.

وقد قلت: نستطيع أن نعطيهم من الزكاة، وأن نعجل لهم الزكاة، وأن نعطيهم من الصدقات التطوعية، وأن نعطيهم من وصايا الأموات، ومن عوائد الأوقاف، ومن الأموال التي فيها شبهة، ونمد إخواننا بما نستطيع؛ حتّى يصمدوا في موقفهم؛ حتّى لا يستسلموا للإرادة الصهيونية الظالمة؛ حتّى لا يستسلموا لما يريده الصهاينة والأمريكان من ورائهم.

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/٣١٦).

نسأل الله وِعَجَلِكُ أَنْ يُؤَيِّدَ إِخْوَتَنَا فِي فِلَسْطِينَ، اللَّهُمَّ أَمِّدْهُمْ بِمَدَدٍ مِنْ عِنْدِكَ، وَجِنْدٍ مِنْ جِنْدِكَ، كُنْ لَهُمْ وَلَا تَكُنْ عَلَيْهِمْ، أَثْرَهُمْ وَلَا تَوَثِّرْ عَلَيْهِمْ، انصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوَّهُمْ.

نسأل الله تعالى أَنْ يَعْلَمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا رِشْدَنَا، وَأَتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيهَا وَمَوْلَاهَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا، اللَّهُمَّ اسْتِرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رُوعَاتِنَا، اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شِمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا، وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مَطْمَئِنًا، سَخَاءَ رِخَاءٍ، وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



## الردُّ على بابا الفاتيكان

### الخطبة الأولى

أمَّا بعد؛ فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

#### هجوم وردُّ واجب:

لا نزال نتابع هذه المعركة التي فرضت علينا، ما خضناها مختارين، ولكن كما قال القرآن الكريم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

لقد مددنا أيدينا؛ لنصافح من يحاوروننا من النصارى، في المشرق والمغرب، حاورناهم حوار النَّد للند، كما أمرنا القرآن الكريم، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، أي: اذكروا عند الحوار النقاط المشتركة، والقواسم الجامعة، التي تقرّبكم منهم، وتقرّبهم منكم، ولا تذكروا نقاط التمايز والاختلاف، ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، هكذا أمرنا القرآن، وهكذا سرنا في طريقنا.

ولكننا فوجئنا بهذه الإساءات إلى ديننا وإلى نبينا وإلى قرآننا، منذ عدّة أشهر فوجئنا بتلك الصحيفة الدانمركيّة التي تسيء إلى نبينا مُحَمَّد ﷺ، خير الخلق، وصفوة رسل الله، وأعظم شخصيّة إنسانيّة في التاريخ.

أُسيء إليه بتلك الرسوم السخيفة السفيفة الحقيرة، وقلنا ما قلنا، وحدث ما حدث، ودعونا إلى مقاطعة البضائع الدانمركيّة، ولكننا فوجئنا بالرجل الأوّل في المسيحية، بابا الفاتيكان، يهاجم الإسلام بغير مبرّر، وبغير ضرورة، لم يحدث شيء يقتضي هذا الهجوم، وهذا العنف في الكلام، ولكننا فوجئنا به، فاضطّررنا أن نردّ عليه؛ لأنّه قد أذن لنا أن ندافع عن أنفسنا، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

لا يمكن أن نسكت على الأذى، ونغضي الأعين على القذى، بل لا بدّ أن نردّ السيئة بمثليها، وخصوصاً أنّ الإساءة ليست إلى أشخاصنا، حتّى يمكننا أن نغفو أو نسامح، لو كان الأمر يتعلّق بحقّ الأشخاص، لقلنا: يمكن أن نأخذ بالفضل، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، ولكن السيئة تتعلّق بدين، تتعلّق بنبي عظيم، تتعلّق بعقيدة، تتعلّق بشريعة، تتعلّق برسالة، تتعلّق بأمة كبرى، تتعلّق بتاريخ حافل، تتعلّق بحضارة من الحضارات الكبرى في تاريخ الإنسانيّة، لهذا كان علينا أن ندافع.

وقد رأينا أنّ هذا الهجوم فتح الباب لهجومات أخرى، ومنذ أيام نشرت صحيفة اللو فيجارو الفرنسية مقالاً لرجل يزعمون أنّه فيلسوف، يهاجم محمداً ﷺ، يهاجم نبي الرحمة وهادي الأمة، يهاجمه بأنّه قاطع طريق، وأنّه كذا وكذا.

ولا عجب؛ فما دام كبير القوم قد فتح الباب، فلا غرو أن يأتي بعده من يقول ومن يقول ومن يقول. لهذا كان علينا أن نضع النقاط على الحروف، ونردّ عن نبينا وديننا بالحقّ لا بالباطل، وبالرفق لا بالعنف، وبالحيّة واللسان لا بالسيف والسنان.

لقد قال البابا في محاضرتة، التي قالها بمناسبة ذكرى الحادي عشر من سبتمبر، قالها في الثاني عشر من سبتمبر، بعد مرور خمس سنوات على أحداث الحادي عشر من سبتمبر، قالها في محاضرة في إحدى الجامعات في جنوب ألمانيا، في ولاية بافاريا، وهذه الجامعة كان أستاذًا فيها، يدرّس علم الأديان، فهو يتحدّث في موضوع المفترض أنّه من اختصاصه، ولكنّه - للأسف - قال في هذه المحاضرة ما لا يجوز أن يقوله طالب في الثانوية.

كان ينبغي قبل أن يتحدّث عن الإسلام أن يتأكّد ويستيقن من الموضوع الذي يتحدّث عنه، أهو صواب أم يشتمل على خطأ، أهو حقّ أم فيه شيء من الباطل، أهو رشد أم غي.

ينبغي لرجل كبير مثل هذا الرجل أن يتأنّى ويترث قبل أن يقول كلامًا يتعلّق بأمة كبرى، تبلغ مليارًا ونصف مليار من البشر، ولكن - للأسف - لم يبالي البابا بهذه الأمة، ولم يبالي باتباع هذا الدين وهم كثر في الشرق وفي الغرب، وفي البلاد التي يتحدّث فيها، ونحن نذكر له أنّه دعا الدولة الألمانية أن تعامل المسلمين هناك بما ينبغي لهم، من إدماجهم في المجتمع الألماني دون تعقيدات، وأنّه دعا إلى الحوار.

نحن نذكر له هذا بالخير، ولكنّه لم يمهد لهذا الحوار الذي دعا إليه، بل سدّ باب الحوار حينما أراد أن يتحدّث عن الموضوع الذي يشغله، يشغله موضوع الجهاد، وموضوع العنف، العنف الذي حدث في الحادي عشر من سبتمبر، لكنّه ربطه بموضوع الجهاد في الإسلام، أو ما سمّاه: «الحرب المقدّسة».

وفي ظنّه أن هذا الجهاد قام على العنف، وأنّه ينافي العقل، وينافي الإيمان بالعقل، على خلاف ما جاء في المسيحية، المسيحية تقوم على المحبة، وتقوم على مخاطبة العقل، وتقوم على رفض العنف، أمّا الإسلام فيقوم على العنف ويقوم على السيف، يقول - كما يقول الكثيرون: إنّ المسيحية تقول: من ضربك على خدك الأيمن، فأدر له خدك الأيسر، من سخرك لتسير معه ميلاً، فسِرْ معه ميلين، إلى آخر ما قال<sup>(١)</sup>.

### التاريخ الدموي للنصرانية:

ونستطيع أن نقول للبابا: لماذا نسيت ما جاء في الإنجيل: ما جئت لألقي على الأرض سلاماً بل سيفاً<sup>(٢)</sup>.

وقد قال بعض الأوربيين: بحقّ لم يصدق المسيح في نبوءة من نبوءاته، إلّا في هذه النبوءة التي قال فيها: ما جئت لألقي على الأرض سلاماً بل سيفاً؛ لأن أتباع المسيح، خصوصاً في أوروبا، ما نفذوا شيئاً، كما نفذوا هذه المقولة؛ فهم أسرع الناس إلى السيف، وأسرع الناس إلى الحرب، وإلى سفك الدماء، ولم تسفك دماء في تاريخ أمة، مثل ما سفك

(١) انظر: إنجيل متّى (٣٨/٥ - ٤٣)، وإنجيل لوقا (٢٩/٦، ٣٠).

(٢) إنجيل متّى (٣٤/١٠)، ولوقا (٥١/١٢).

من دماء في تاريخ الأمة المسيحية من دماء، طوال ما يسمونه: القرون الوسطى، وما قبل القرون الوسطى.

مصر حينما كانت مسيحية، مرّت بعصور يسمونها: عصور الشهداء؛ لما سقط فيها من الآلاف وعشرات الآلاف لخلافٍ بين مذهبين في المسيحية، في تفسير حقيقة المسيح ﷺ وطبيعته، الملكانية واليعاقبة.

وفي العصور التي يسمونها: العصور الوسطى، سفك المسيحيون دماء بعضهم البعض، الكاثوليك حينما ظهر البروتستانت، أقاموا مجازر مروعة، ذُبح فيها الآلاف ومئات الآلاف والملايين، والبروتستانت كالوا لهم الصاع صاعين، وهذا تاريخ معروف ومشهود.

وآخر ما صدر من أتباع المسيحية ليحققوا نبوءة المسيح: ما جئت لألقي على الأرض سلامًا بل سيفًا، الحربان العالميتان الكونيتان الأخيرتان، في النصف الأول من القرن العشرين: الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية، كم سفك فيهما من دماء؟ كم ذُبح فيهما من البشر؟

ملايين بل عشرات الملايين من المسيحيين بعضهم وبعض، ماذا يقول البابا في هذه المقولة التي في الإنجيل، وفي هذا التاريخ المسيحي الحافل؟

### تاريخ الإسلام يردُّ:

المسلمون هم المتهمون بالسيف؟! أي سيف يُتهم به المسلمون؟ قام مُحَمَّدٌ ﷺ بدعوته لم يكن معه سيف، بل دعا النَّاسَ بالكلام، بالقول الحسن: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، فرفع السيف في

وجهه، وأعلن الأذى والاضطهاد لأتباعه، ضَبَّ عليهم ما ضَبَّ عليهم من  
سياط العذاب.

ثمَّ بعد العهد المكي بدأ العهد المدني، وأُذِنَ للمسلمين أن يدافعوا  
عن أنفسهم، ويقاتلوا عن دينهم، وعن عقيدتهم وعن حياتهم، وكانت  
الغزوات، ماذا كان في تلك الغزوات؟

بعض الباحثين أحصى كلَّ من قُتِلَ في الغزوات حتَّى وفاة النَّبِيِّ ﷺ  
من المسلمين وغيرهم، كانوا مئات قليلة، لم يبلغوا ألفاً فضلاً عن أن  
يبلغوا آلافاً مؤلفة، يعني في غزوة بدر استشهد من المسلمين أربعة عشر  
شهيداً، ومن المشركين سبعون، وفي غزوة أحد استشهد من المسلمين  
سبعون شهيداً، وقُتِلَ من المشركين عدد قليل، وفي غزوة الخندق قتل  
مجموعة من الأفراد، كما قال الله تعالى في حديثه عن غزوة الخندق:  
﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ  
قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

كلُّها أعداد محدودة، ولكن - للأسف - وجدنا البابا يتحدث عن  
الفكرة المخبوءة في رأسه، وهو أن الإسلام دين عنف؛ لأنَّه جاء بالجهاد،  
واستدلَّ على هذا بكلام نقله عن قيصر بيزنطي هو مانويل الثاني، مقرِّراً  
كلامه بقوله عنه: إنَّه عالم، أقام حواراً مع عالم مسلم من فارس،  
ولا نعرف ما إذا كان هذا الحوار حقيقياً أم ملفقاً؛ لأنَّ الذي نقل هذا  
الحوار هو هذا القيصر، ومما قاله في هذا الحوار - الذي استشهد به  
البابا، ليؤيد فكرته السابقة في ذهنه - لمحاورة الفارسي العالم المسلم:  
أرني ما الجديد الذي أتى به مُحَمَّدٌ ﷺ، لن تجد غير ما هو شرِّير وغير  
إنساني، مثل أمره بنشر دينه الذي يدعو إليه بحدِّ السيف!

وقد رددت في الجمعة الماضية في الخطبة السابقة على الجزء الأول، أن محمداً ﷺ قد جاء بالجديد في العقيدة والشريعة والأخلاق والتشريعات والعبادات والمعاملات.

وأنا أردُّ اليوم على تلك الفقرة التي تقول: إنَّ محمداً لم يأت إلا بما هو شرير وغير إنساني، ومثل لذلك بأنه أمر بنشر دينه بحدِّ السيف!

نقول لهذا الإمبراطور وللبابا الذي نقل كلامه ولم يرد عليه، ولم يأتنا بردُّ المحاور المسلم: إذا كان الإمبراطور قال هذا، فلا بدَّ من أن يحاوره العالم المسلم قد ردَّ عليه، وإلا كان حواراً من جانب واحد، لم يكن أميناً لياتينا بردُّ هذا المحاور.

### هل انتشر الإسلام بالسيف؟

هل أمر مُحَمَّدٌ ﷺ بنشر دينه الذي يدعو إليه بحدِّ السيف؟

ليأتنا البابا، وليأتنا كلُّ الكرادلة، وكلُّ الأساقفة، وكلُّ القسس، ليجهدوا أنفسهم، وليتعبوا أذهانهم، وليقرؤوا في الكتب ما استطاعوا، ليأتونا بنصِّ واحد يأمر فيه مُحَمَّدٌ أي واحد من أتباعه بأن ينشر دينه بحدِّ السيف، القرآن الكريم عندنا محفوظ في الصدور، متلوٌّ بالألسنة، مكتوب بالمصاحف، يُذاع على النَّاسِ آناء الليل وآناء النَّهار، يحفظه مئات الألوف حتَّى من الصبيان والبنات، ليأتونا بنصِّ قرآنيٍّ واحد يقول للنَّاسِ: انشروا هذا الدين بحدِّ السيف، أو بنصِّ نبوي، أو بموقف من السيرة النَّبوية، في أيِّ غزوة من الغزوات، في أيِّ مكان من الأماكن، أنَّ محمداً أمر أن ينشر دينه بحدِّ السيف، ليأتنا بالتاريخ الإسلامي كلاً، وهو تاريخ حافل، تاريخ الفتوحات الإسلاميَّة، هل وجد فيها أن أحداً نشر الدين الإسلامي بحدِّ السيف!

المستشرقون المنصفون أنفسهم ردّوا على هذا الكلام، ردّ عليهم من قديم الفيلسوف المعروف توماس كارليل في كتابه «الأبطال»، الذي تحدّث فيه عن البطل في صورة نبي، وكان البطل في صورة نبي عند كارليل هو مُحَمَّد ﷺ، ومما قاله «كارليل» في ردّه على أنّ الإسلام انتشر بالسيف، قال: هذا كلام لا يُعقل، هل إذا جاء واحد يدعو إلى دينه، وليس معه أحد، كيف يجبر النَّاس بالسيف أن يدخلوا معه، هل يستطيع واحد أن يجبر العالم حوله أن يدخلوا دينه بالسيف، وكل ما حوله معارض له؟

إذن النَّاس دخلوا دينه طائعين، والَّذين دخلوا الدين معه طائعين هم الّذين نشروا الدين بعد ذلك.

فقول: إنّ محمداً نشر دينه بالسيف غير معقول، ولا مقبول في المنطق بالمرّة.

وجاء بعد ذلك من المؤرّخين من جمع الوثائق العلمية الدقيقة من مختلف المصادر، ومختلف البلدان، ومختلف العصور؛ ليثبت أنّ المسلمين في تاريخهم لم يكرهوا أحداً على الدخول في دينهم، هذا هو توماس أرنولد في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»، الّذي أنصف الإسلام، وأنصف المسلمين في هذا الكتاب عن طريق الوثائق العلمية.

### من قال: إنّ الإسلام انتشر بالسيف؟

هذه فرية ما فيها مرية، الإسلام لا يقبل أن يدخل أحد فيه تحت شائبة أي لون من الإكراه، الإيمان الّذي يقبله الإسلام ما كان عن إرادة حرّة، ما كان عن اختيار كامل، أيّ ضغط أو شائبة فيها نوع

ما من الإكراه لا يقبله الإسلام، ولذلك القرآن لم يقبل إيمان فرعون، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ءَأَكْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿ فَايَوْمَ نُجَِّيكَ بِيَدِنَا لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ ءَأَيَّةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ ءَأَيْنِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٢].

لا، لا يقبل الله منك هذا الإيمان؛ لأنك رأيت الموت المحقق، الإيمان يكون عن اختيار لا إكراه فيه.

حينما أنزل الله عقوباته القدرية، وبأسه السماوي ببعض الأمم التي كفرت به، وكذبت رسله، حينما نزل بهم بأس الله تعالى، ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥]، تريد أن تؤمن حينما رأيت البأس؟

لا، ليس عندك اختيار حقيقي، الإيمان الحق المقبول في نظر الإسلام ما كان عن اختيار واقتناع دون أي ضغط، ولذلك أعلن في المدني: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وأعلن في القرآن المكي: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩].

لا، هذا استفهام استنكاري، يعني معناه النفي، أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ؟ لا يجوز لك هذا.

بل حكى القرآن عن شيخ المرسلين نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمُ أَنْزِلُكُمْ مِّمَّا أَنْزَلْتُ لَهَا كَرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]، ﴿أَنْزَلْنَاكُمْ مِّمَّا أَنْزَلْنَا لَهَا كَرِهُونَ﴾، لا يجوز هذا.

منطق النبوات جميعًا يرفض الإكراه في الدين، ولكن البابا، قال عن آية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾: إنها كانت عندما كان مُحَمَّدٌ عليه السلام ضعيفًا وليس له سلطة، ويخضع للتهديدات.

يعني: عندما كان في مكة وتحت سلطان أهل مكة، وهذا يدل - للأسف - على جهل فاضح، لم يقل أحد قديمًا ولا حديثًا: إن هذه الآية نزلت في مكة، بل المجمع عليه من كل العلماء والمدارس والمذاهب والفرق، أن سورة البقرة سورة مدنية بالكامل، لم تنزل آية منها في مكة، كل سورة البقرة، وهذه الآية بالذات؛ فقد روى أبو داود والنسائي وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في قوم من الأنصار، كان لهم أبناء عند اليهود، كانت المرأة إذا لم يعش لها ولد تقول: إن رُزقت بولد لأهودنه، سأدخله في دين اليهود من أجل أن يعيش - كما يفعل بعض الناس للأسف إلى الآن - فكان بعض الأولاد من أبناء الأوس والخزرج يهودًا بهذه الطريقة، فلما تقرر إجلاء بني النضير، من قبائل اليهود، قال الأنصار: أبناءنا ندعهم يا رسول الله؟ نتركهم يذهبون مع اليهود، نريد أن نسترد أبناءنا، فنزلت هذه الآية، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] <sup>(١)</sup>.

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٨٢)، والنسائي في الكبرى في التفسير (١٠٩٨٣)، والطبري في تفسيره (٤٠٨/٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٤٠٤).

يعني: ليس لكم أن تُكرهوا أبناءكم الذين دخلوا في اليهودية وترجعوهم إلى الإسلام بالقوة، مع أنه دين دخيل، يعني: اليهودية دخيلة على بلاد العرب، وقومهم دخلوا في الإسلام، آباؤهم وأمهاتهم، ومع ذلك لم يسمح لهم أن يُكرهوهم على الدخول في الإسلام.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، وهذه آية تحمل الردَّ على من يقول: إن هذه الآية نسخت بآية السيف؛ لأنَّ الآية معللة، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، لماذا تكره النَّاسَ بالدين، وقد اتضح الطريق، اتضح الحقُّ من الباطل، ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، لماذا يستعمل النَّاسُ السيف والقوة، فيما اتضحت حجَّته، واستبانَت محجَّته؟

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، الإسلام لا يقبل الإكراه بحال من الأحوال.

### لماذا شرع القتال؟

لماذا إذن شرع القتال في الإسلام؟

الجهاد لم يشرع في الإسلام لإكراه النَّاسِ على الدخول فيه، ولا لمحو الكفر من الأرض، فكرة محو الكفر أو الشرك من الأرض، غير واردة عند المسلم؛ لأنَّ وجود الشرك والتوحيد، ووجود الإيمان والكفر، ووجود الحقِّ والباطل، هذا مقرَّر بمشيئة الله التي لا تنفصل عن حكمته، الله هو الذي أراد هذا، لو أراد أن يكون كلُّ النَّاسِ مؤمنين لخلقهم على فطرة أخرى، ولكن ما دام خلقهم ولكلِّ منهم عقله الذي يفكر به، وإرادته التي يرجح بها، وما دامت العقول متغايرة، والإرادات متغايرة، فلا بدَّ أن تكون الديانات متغايرة، هذا من مشيئة

الله، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هُود: ١١٨، ١١٩]، هذا بمشيئة الله، ولذلك لا يفكر المسلم أن يمحو كل الأديان من الأرض، وأن يكون كل الناس مسلمين.

هذا لا يرد عند المسلم قط؛ فمحو الكفر من الأرض هدف مرفوض في الإسلام، لماذا يقاتل المسلمون إذن؟

المسلمون اضطروا إلى القتال؛ دفاعاً عن أنفسهم، دفاعاً عن دينهم، دفاعاً عن حرية الدين، كان المسلم المستضعف الذي يدخل في الإسلام يتعرض للفتنة، للاضطهاد، للأذى، كما رأينا بلالاً وعماراً وياسراً أبا عمار وسمية أم عمار وغيرهم، فُتِنوا في دينهم.

معناها: أنه ليس له حرية في أن يعتنق ما شاء من الدين، لذلك القرآن أمر بالقتال؛ درءاً لهذه الفتنة، ورداً للعدوان، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، تسلم لله، لا أحد يضغط عليك، ولا أحد يقسو عليك أو يجبرك على شيء، ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾.

والقرآن يقول: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا نُقَاتِلُهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩١]، وفي آية أخرى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولٰٓئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]، إذا نظرنا إلى الحجم فهي أكبر من القتل، وإذا نظرنا إلى النوع فهي أشد من القتل، لماذا كانت الفتنة والاضطهاد في الدين هي أشد من القتل؟

لأنَّ القتل اعتداء على الكيان المادي الجسدي للإنسان، والفتنة اعتداء على الكيان الروحي للإنسان، اعتداء على إرادتك وعلى عقلك، بحيث لا يدعك تأخذ وتختار ما تريده بعقلك.

من أجل هذا أمر المسلمون أن يقاوموا هذه الفتنة؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، من أجل هذا شرع القتال؛ لرد عدوان المعتدين، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

ولذلك الحروب الإسلامية حروب أخلاقية، فمن لا يحارب لا يُقتل، المرأة لا تُقتل، الصبيان لا يُقتلون، الشيوخ الكبار لا يُقتلون، الرهبان في صوامعهم لا يُقتلون، يُقاتل من يُقاتل.

هذا هو الجهاد الذي يُتهم بالعرف في نظر البابا، ومن يتبع البابا.

الجهاد في الإسلام جهاد أخلاقي، جهاد لإنقاذ المستضعفين في الأرض، الإسلام يقول - كما جاء في سورة النساء: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]، تقاتل من أجل المستضعفين؛ لترفع العذاب الذي يعانونه، حتى ولو كانوا غير مسلمين واستعانوا واستغاثوا بالمسلمين على المسلمين، إن كان لديهم القوة لإغاثتهم ونجدتهم، أن يُنجدوهم ويغيثوهم.

من أجل هذا جاء الإسلام بالجهاد، ولم يأت لإكراه الناس على الدخول في الدين.



لا، هذا كذب على هذا الدين.

الفتوحات الإسلاميّة لم تكن لإكراه النّاس على الدخول في الدين،  
الفتوحات الإسلاميّة كانت حروب تحرير، تحرير للشعوب المستعمرة  
والمستعبدة، من قبل الفرس والروم وغيرهم.

لم يكن الإسلام استعمارًا جديدًا كما يظنُّ بعض النّاس، لم يكن  
سلوكه سلوك الاستعمار إطلاقًا، الدولة الرومانيّة جاءت واحتلت كثيرًا  
من بلاد العرب وغير بلاد العرب في إفريقيا وفي غيرها، وكانت هذه  
الشعوب تعاني من الاستعباد ما تعاني، وقد دخلت الدولة الإسلاميّة منذ  
عهد الرسول ﷺ، منذ مؤتة ومنذ تبوك، في صراع مع الدولة الرومانيّة،  
وكانت الفتوحات بعد ذلك امتدادًا لهذا الصراع، إنّه ما يقتضيه الحكم،  
وما تقتضيه الدول، وما تقتضيه الحروب الوقائيّة لحماية حدود الدولة،  
وإضعاف خصومها الذين يهدّدونها في كلّ وقت، كانت حروب تحرير.

أنا أضرب لكم مثلًا: المسلمون فتحوا مصر، كيف فتحوا مصر؟

أرسل عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بجيش قوامه أربعة  
آلاف جندي، تصوروا أربعة آلاف جندي يخرجون من آسيا إلى إفريقيا  
ليصارعوا الإمبراطوريّة الرومانيّة، ما كانوا يصارعون المصريين،  
المصريون لا علاقة لهم بهذه الحروب، بالعكس كانوا مرتاحين جدًّا،  
ومستبشرين بهؤلاء الفاتحين الذين يخلّصونهم من ظلم الرومان.

اصطدم عمرو بن العاص مع المقوقس وجيوشه، الجيوش الرومانيّة  
المكثّفة، التي استقرّت في هذه البلاد منذ قرون، وبعد فترة طلب  
عمرو بن العاص من سيّدنا عمر بن الخطاب مددًا، فأمدّه بأربعة آلاف

آخرين، وعلى رأسهم أربعة من الصحابة، قال له: كلُّ واحد من هؤلاء الأربعة بألف، يعني: معك أربعة آلاف وأمددتك بأربعة آلاف أخرى وأربعة رجال، الواحد فيهم بألف يعني: أربعة آلاف معنويين، يصبح الإجمالي معك: اثني عشر ألفاً<sup>(١)</sup>.

بمثل هذا فتح عمرو بن العاص مصر، ودانت للإسلام، هل دخل المصريون في الإسلام في اليوم التالي، وضع السيف على رقابكم يا مصريون حتى تسلموا؟

لا، لم يتدخل أحد في شؤون دينهم، هم أحرار في عقيدتهم، وفي عبادتهم، وفي كنائسهم.

ولم يدخل المصريون الإسلام من أوّل يوم للفتح، دخلوا بعد ذلك بمدة من الزمن.

في زمن بني أمية، كان بعض الناس يدخلون في الإسلام بكثرة، والذي يُسلم طبعاً يُعفى من الجزية، ولا يدفع الزكاة إلا بعد حول، وهذا يؤثر على ميزانية الدولة، فكان بعض الولاة يفرضون الجزية على من أسلم، يقولون: ماذا نفعل؟ نريد أموالاً للميزانية، فلنفرض الجزية حتى على من أسلم.

ولما وُلّي عمر بن عبد العزيز الخلافة، كتب له واليه على مصر يقول له: إن من كان قبلي كانوا يفرضون الجزية على من أسلم، فماذا أفعل يا أمير المؤمنين؟

(١) كنز العمال للمتقي الهندي (١٤٢٢١)، تحقيق بكرى حياني، نشر مؤسسة الرسالة، ط ٥،

فأرسل له رسالة يقول له فيها: قَبَّحَ اللهُ رأيك، إِنَّ الله تعالى بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً<sup>(١)</sup>.

محمد بُعث برسالة الهداية، وليس برسالة الجباية، ليس مهمته أَنَّهُ يجمع أموال النَّاس، ارفع الجزية عنم أسلم، ففي هذا تشجيع وإعزاز لمن أسلم، لا أن تحملهم أعباء وتضعف من روحهم المعنوية.

هكذا كانت الفتوحات الإسلاميَّة، يقول توماس أرنولد: ليس في التاريخ واقعة واحدة، في أي بلد من البلدان، أو في أي زمن من الأزمان أنَّ المسلمين أكرهوا فرداً أو قرية أو مجموعة على أن يدخلوا في الإسلام<sup>(٢)</sup>.

لم يثبت هذا قط، ولم يكن المسلمون في حاجة له، انتشر الإسلام بأخلاق المسلمين، هناك بلاد لم يدخلها جيش مسلم قط وقد دخل أهلها في الإسلام، ماليزيا لم يذهب إليها جيش مسلم، إندونيسيا لم يذهب إليها جيش مسلم، الفلبين لم يذهب إليها جيش مسلم، معظم بلاد إفريقيا لم يذهب إليها جيش مسلم، فقد دخل الإسلام ماليزيا وإندونيسيا عن طريق التجار المسلمين اليمينيين من الحضارمة، كانوا تجاراً، لم يكونوا دعاة ولا علماء، ولكن أحبَّهم النَّاس وأحبُّوا دينهم، فدخلوا فيه أفواجا، وهكذا انتشر الإسلام.

وفي إفريقيا، انتشر فيها الإسلام عن طريق التجار، وكذلك عن طريق الطرق الصوفية، حتَّى البلاد التي دخلها الجيش المسلم، الجيش لم يظل ممسكاً بالسيف مسلطاً على رقاب النَّاس، المسلمون دخلوا بلاد الهند،

(١) رواه سعيد بن منصور، كما في سير أعلام النبلاء (١٤٧/٥)، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(٢) الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد ص ١٨٢، ترجمة دكتور إبراهيم حسن وزميله، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٠م.

ولكنهم بعد أن دخلوا، ظلُّوا يحكمون النَّاسَ بالحكم السلمي، حتَّى إن بعض العلماء والدعاة يأخذون على حكام المسلمين في الهند أنَّهم لم يبذلوا الجهد الكافي للدعوة في الهندوس، وخصوصًا المنبوذين (السيخ)، الَّذِينَ يعتبرون في نظر الطبقات الهندية الأخرى أدلَّ من الكلاب وأحطَّ من البهائم، هم منبوذون عندهم كأنَّهم نجس، المسلمون لم يبذلوا الجهد الكافي.

فأين حجَّة من يقول: إنَّ المسلمين نشروا الإسلام بالسيف؟

السيف - أيُّها الإخوة - ممكن أن يفتح أرضًا، ولكنَّه لا يفتح قلبًا ولا عقلاً، ممكن بالسيف بالبندقية بالمدفع تفتح الأراضي، وتحتلها، ولكن لكي تحتل القلوب، لكي تقنع العقول هذا أمر آخر، هذا لا يأتي بالسيف، بالعكس ربَّما يكون السيف حائلًا أمام الدخول في الإسلام.

الإنسان لا يقبل أن يدخل في دين من قهره وأذله، ولذلك لا يمكن أن يكون الفتح هو سبب الدخول في الإسلام، ليس الإسلام هو الدين الَّذي انتشر بالسيف، الإسلام هو الدين الَّذي انتشر بالدعوة إلى الله، انتشر بأخلاق المسلمين، انتشر بحبِّ الخير الَّذي رآه النَّاس عند المسلمين، بالصدق والأمانة وحسن المعاملة، بالتعبُّد لله عزَّ وجلَّ.

هكذا رأى النَّاس المسلمين، فقالوا: من أنتم؟

فقالوا: نحن المسلمون.

فقالوا لهم: وما الإسلام؟

فقالوا: الإسلام كذا وكذا، فدخلوا في الإسلام عن قناعة وعن حبِّ.

هذا هو دين مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



## الإسلام يرفض إبادة البشر:

كنا نودُّ أن نقول للبابا: يا نيافة البابا، إذا كنت تتَّهم الإسلام بالعنف الذي ينافي العقل، فما قولك فيما جاء في التوراة عن القتال، التوراة التي تؤمن بها، ويؤمن بها كلُّ النَّصارى؛ لأنَّها جزء من الكتاب المقدَّس عند المسيحيين، التوراة تقول: إذا قاتلت البلاد البعيدة، فاضرب جميع ذكورها بحدِّ السيف، إذا سالموك وصالحوك، فجميع من فيها عبيد لك، وإذا أبوا الصلح والمسالمة، فقاتلهم، وإذا انتصرت عليهم، فاضرب جميع ذكورهم بحدِّ السيف<sup>(١)</sup>.

لم تستثن شيخاً كبيراً، ولا طفلاً صغيراً من الذكور، ولم يُقبل إيمان من آمن منهم، ولم تُقبل جزية.

وإن قاتلت أهل البلاد القريبة - التي يسْمونها: أرض الموعد، أو أرض الميعاد، بلاد الكنعانيين والحيثيين والأموريين وغيرها، البلاد التي كان أهلها يسكنون في فلسطين قبل أن يدخل إليها موسى - فلا تستبق فيهم نسمة حية، أبدهم على بكرة أبيهم، يعني: إبادة استئصال<sup>(٢)</sup>.

فكرة الإبادة والاستئصال التي ورثها النَّصارى وأشاعوها وطبَّقوها في البلاد المفتوحة، هي فكرة توراتية، طبَّقها اليهود على الفلسطينيين في مجازر دير ياسين وغيرها، وطبَّقها النَّصارى حينما دخلوا أمريكا، أبادوا أهلها الأصليين، الهنود الحمر، وطبَّقها البريطانيون حينما دخلوا أستراليا، ولم يبقوا نسمة حيَّة، أبادوهم على بكرة أبيهم كما قالت التوراة، نفَّذوا النصَّ بالحرف.

(١) سفر التثنية الإصحاح (١٣/١٣، ١٤).

(٢) المصدر السابق.

هذه هي فكرة التوراة، الإسلام يرفض إبادة البشر، إما أن تسلم فيها ونعمت، وإذا لم تسلم ادفع الجزية، وهي مبلغ زهيد، يُعفى منه الصبي والمرأة، ويعفى منه الزَّمن والأعمى والمريض، ويعفى منه الفقير، ويعفى منه الراهب في صومعته، لا يدفعه إلاَّ القادر على القتال والقادر على الدفع.

هذا هو الإسلام.

الإسلام يرفض الإبادة، حتَّى إنه يرفض إبادة جنس من الحيوانات؛ جاء في سنن أبي داود أن النَّبي ﷺ قال: «لولا أنَّ الكلاب أُمَّة من الأمم لأمرت بقتلها»<sup>(١)</sup>.

كانوا يتأذون من الكلاب، ففكروا في قتل الكلاب والتخلُّص منها، فردَّ عليهم ﷺ: هي أُمَّة من الأمم، الكلاب أُمَّة، الله تعالى خلق الأجناس المختلفة أممًا، إشارة إلى ما جاء في سورة الأنعام، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّةٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

كلُّ ما دبَّ في الأرض وطار في الهواء أمم أمثالنا، وما دامت أمم أمثالنا، لا يجوز أن نعتدي عليها، ولا يجوز أن نتخلَّص منها؛ لأنَّ لله حكمة في خلقها.

الإسلام يحمي الكلاب من الانقراض، وهو أساس فيما يقوله علماء البيئة في استبقاء الأجناس، أي: إذا وُجد جنس قابل للانقراض، نحاول

(١) رواه أحمد (١٦٧٨٨)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الصيد (٢٨٤٥)، والترمذي في الأحكام (١٤٨٦)، وابن ماجه في الصيد (٣٢٠٥)، عن عبد الله بن مغفل.



أن نعمل له نوعاً من الحماية حتّى يبقى، يسمّونه «مبدأ نوح»؛ لأنّ سيّدنا نوح في السفينة استبقى من كلّ زوجين اثنين. هذا ما جاء به الإسلام.

كنا نودّ لبابا الفاتيكان أن يطّلع على هذه الأشياء، قبل أن يصدر ما أصدر من كلماته التي أساءت إلى أمّة كبرى، تشغل ما بين المحيط والمحيط، وهي - أيضاً - في أوروبا من حوله، وفي أمريكا وفي الشرق الأقصى، وفي إفريقيا وفي أنحاء العالم.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقّهننا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينعفنا، وأن ينعفنا بما علّمنا، إنّه سميع قريب.

أقول قولي هذا - أيّها الإخوة والأخوات - وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*



## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

بعد أدائنا للصلاة - إن شاء الله - سنقيم في هذا المسجد لمدة ساعة، أو ما يقرب منها - إن شاء الله؛ نعتصم احتجاجاً على ما جاء في كلمات البابا، وإبلاغاً صوتنا كُلاً من يسمع هذا الصوت.

نسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، اللهم ألهمنا رشدنا، وآت نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم إنّنا نسألك العافية في الدُّنيا والآخرة، اللهم إنّنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا، اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].



اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله  
وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ  
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

\*\*\*



## عيد العمال

### الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

#### اهتمام الإسلام بالعمال:

احتفل العالم أوّل أمس بعمّاله، أو ما يسمُّونه بـ«عيد العمال»، وقد سألني بعض الإخوة: هل يهتمُّ الإسلام بالعمال وبحقوق العمال وبحريات العمال كما يهتم العالم؟

فقلت له: لا شكَّ في أنّ الإسلام اهتم بالعمال وبحقوقهم وبأمّوالهم وبحرماتهم وبحرياتهم قبل أن يهتمّ العالم كلّهم بهم، ربّما ليس عندنا عيد يسمى «عيد العمال»؛ لأنّ الإسلام شرع لنا عيدين دينيين: عيد الفطر، وعيد الأضحى، بدل أيام كانوا يلعبون فيها في الجاهليّة، فيها ما يحلُّ، وما يحرم، وما يحقُّ، وما يبطل، فالإسلام حرّم هذه الأيام، وأباح عيد الفطر وعيد الأضحى.

ولكن الإسلام لا يمنع أن يكون للعمال يوم من الأيام، ليس من الضروري أن نسميه: «عيدًا»، يمكن أن نسميه عيدًا مجازًا.

هناك تعبيرات حقيقية في اللغة وتعبيرات مجازية، يمكن أن نسميه عيدًا بما يسميه الناس، ولكن الأولى أن نسميه: «يوم العمال»، لكل فئة يوم عالمي، هناك يوم للعمال، ويوم للفلاحين، ويوم للتجار، ويوم للأمم، ويوم للأب، وأيام آخر، لا مانع أن يكون لكل فئة يوم تحتفل فيه، ولا مانع عندنا - نحن المسلمين - أن يكون للعمال يوم يحتفلون به، كل العمال: الزراعيون والصناعيون والفنيون، وكل من يعمل في هذه الدنيا، العمل عندنا في الإسلام له قيمة كبيرة.

كان العرب في أيام الجاهلية يحتقرون العمل اليدوي، حتى عاب الشاعر الأموي الفرزدق على جرير أن أحد أجداده كان حدادًا، واعتبر ذلك شيئًا يشين جريرًا، ولكن هذه مفاخرة أن يكون أحد أجداد الإنسان عاملًا يعمل في الصناعات الحديدية، هذا شيء يفخر به الناس، ولكن العرب هكذا كانت سيرتهم.

ومعظم الأمم في الجاهلية كانت تحتقر العمل اليدوي.  
أمّا نحن في الإسلام فلا نحتقر عملاً يدويًا أبدًا، بل على العكس نعتبر العمل اليدوي عبادة وجهادًا في سبيل الله.

### أنبياء صنّاع:

بعض الأنبياء هيأ الله لهم أن يعملوا عملاً يدويًا، شيخ الأنبياء، الرسول الأوّل في نظر عدد من العلماء، سيّدنا نوح عليه السلام كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]. سيّدنا نوح كان نجارًا، صنع السفينة التي نجّى الله فيها نوحًا ومن معه من المؤمنين من الطوفان، كان نوح يصنع السفينة ويمرّ به قومه فيسخرّون منه، ويضحكون عليه، فقال نوح: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨].

وحيثما نزل الطوفان وأخرجت الأرض ماءها وأنزلت السماء ماءها كانت مركب النجاة يومئذ لهؤلاء المؤمنين تلك السفينة التي صنعها نوح بيده، ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمَرْسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هُود: ٤١].  
نوح تعلم صناعة السفن.

وإبراهيم خليل الرحمن وابنه إسماعيل عليهما السلام علمهم الله صناعة البناء، تعلموا البناء، وهما اللذان بنيا الكعبة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

كانا يبنيان البيت بالحجارة، أول بيت وضع للناس في الأرض لعبادة الله، الكعبة المشرفة، بناها إبراهيم وإسماعيل، وبعد أن أقامها ورفعها قالوا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

هذه صناعات يدوية علمها الله هؤلاء الرسل الكرام من أعظم الرسل، أعظم الرسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

هؤلاء الخمسة سمّاهم القرآن: أولي العزم من الرسل.

علم الله سيّدنا نوحًا وسيّدنا إبراهيم وإسماعيل، وعلم الله - أيضًا - سيّدنا موسى أن يعمل، هيأ الله لموسى أن ينشأ في بيت فرعون، في القصور الملكية، ولكن هيأ الله له الهجرة إلى مدين، وعمل راعيًا لغنم الشيخ الكبير والد البنين اللتين سقى لهما، وجاءت به إحدى ابنتيه إلى أبيه، وقصّ موسى عليه القصص، فقال: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥]، وعرض عليه أن يعمل راعيًا عنده مدة ثمانين سنين، فإن أتمّ عشرًا فمن عنده.



اشتغل موسى راعياً، واشتغل كثير من الأنبياء رعاة للغنم.

وهكذا رأينا أنبياء الله - عليهم الصَّلوات والسَّلَام - يعملون في صناعات شتى وحِرَف شتى، يأكلون من كدِّ يمينهم وبعرق جبينهم، حتَّى إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يده»<sup>(١)</sup>.

ممكّن أن يترك لك أبوك تركة كبيرة ويكون عندك ملايين، ولكن حتَّى إن كان عندك ملايين الإسلامُ يوجب عليك أن تعمل في هذه الملايين، ويحرّم أن تنميها بالفائدة الربوية، تعطي ألفاً ومائة، وتأخذ ألفاً ومائة وخمسين.

هذا لا يجوز، لا بدّ أن تتاجر فيها، أو تشارك من يتاجر فيها، ومعنى «تشارك»: أن تراقب شريكك وترى ماذا يعمل، أيربح أم يخسر؟ أيلعب أم يجد؟

لا بدّ أن تشارك في تثمير مالك.

الإسلام يريد من الإنسان أن يكون عاملاً في ماله، ولا يحب الإنسان المتبطل الذي لا يعمل، لا بدّ أن تعمل، فما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده.

نبي الله داود آتاه الله المُلْك والحِكمة، وعلمه ممّا يشاء، ولكنّه لم يأكل من المُلْك؛ فقد تعلّم أن يصنع الدروع التي يحتمي بها المحاربون في حروبهم، كان نبي الله داود يقدر في السرد، أي: كان متقناً لعمله، يقدر حلقة حلقة، وربنا يحبُّ كلَّ من يعمل في صناعة أن يعمل فيها

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، عن المقدم بن معديكرب.

بإحسان وإتقان، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»<sup>(١)</sup>. كلُّ شيء فرض الله فيه الإحسان والإتقان، حيث يكون عمل الإنسان متقناً ومحكماً إحصاً شديداً، وسليماً تماماً، لذا ينبغي عندما تعمل أن يكون عملك محكماً.

فبهذا تتنافس الأمم في إتقان الصناعة، الصناعة التي يكون فيها شيء قليل يتهاون فيه الشخص لا تروج عند الناس؛ لأنه في حال وجود نقطة ضعف في المنتج المصنّع يتجنب الناس شراءه، ويقولون: الصناعة ليست مضبوطة، ليست متقنة.

كان سيّدنا داود يصنع الدروع كما قال الله تعالى: ﴿صَنَعَةَ لِبُؤْسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِّنْ بِأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، وكان يأكل من عمل يده.

### العمل الدنيوي ضرورة حياتية وواجب ديني:

الإسلام يحثنا على أن نكون عاملين؛ فالعمل - كما قال الإمام الراغب الأصفهاني - مباح من وجه، وواجب من وجه<sup>(٢)</sup>.

واجب لأنه لا بدّ أن يكون هناك عمّال، هذا فرض على الأمة، فلو تركت الأمة العمل واشتغل بعضهم بالفكر والتجارة، فمن يشتغل بالزراعة؟ من يشتغل بالصناعة؟ من يشتغل بالبناء؟ من يشتغل بالدباغة؟ من يشتغل بالخياطة؟

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٢٦٨، تحقيق د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، نشر دار السلام،

القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

كلُّ حرفة لا بدَّ أن يكون فيها أناس يعملون فيها؛ ليؤدوا الفرض عن الأمة، لو تركت الأمة عملاً من الأعمال أو حرفة من الحرف تأثم كلها؛ ولذلك لا بدَّ أن يكون في كلِّ فن من الفنون وفي كلِّ عمل من الأعمال وفي كلِّ حرفة من الحرف، وفي كلِّ صناعة من الصناعات، عدد من العاملين يكفي الناس.

لو احتاج البلد إلى مليوني زارع فلا بدَّ أن يوجد هؤلاء، إذا قلَّ العدد عن المليونين أثمت الأمة، وهكذا كلُّ حرفة، والصناعة لا بدَّ أن يكون فيها من العمال الذين يتقنون العمل ما يكفي.

مثلاً، الله هيأ لنا الزراعة لنأكل منها، كما قال تعالى: ﴿وَأَيُّهُمْ أَلْوَأُ الْأَرْضِ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْتُهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ \* وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ \* لماذا كلُّ هذا؟ قال: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣-٣٥]. لم تعمله أيديهم، أنت لم تخلق البذرة، من الذي خلق البذرة؟ أنت خلقتها؟!

لم تعمل أيدينا التربة في الأرض الصالحة لامتناس الأغذية منها، لم تهيب الماء الذي ينزل من السماء ويخرج ينابيع من الأرض، لم تخلق الهواء الذي يمتصه النبات.

ومن الذي هيأ الشمس لتأتي بنصيب من الحرِّ والضيء تتغذى منه هذه النباتات؟

كلُّ هذا خلقه الله؛ في الحقيقة أنت تأكل ممَّا لم عمله، عملك مهم فقط لتتسبب الأمور، ربنا قرَّر هذا القانون قانون الأسباب والمسببات، قانون الله في أرضه العمل؛ أنه من جدِّ وجد، ومن زرع حصد، ومن غرس جنى، ومن عمل كسب أو اكتسب، هذه قوانين الله ﷻ.

العمل مهم في الإنتاج، الاقتصاديون يقولون: الاقتصاد يقوم على أربع محاور أساسية:

أولها: الإنتاج، والثاني: الاستهلاك، والثالث: التداول، والرابع: التوزيع.

وبعضهم يزيدون أمرًا خامسًا وهو: التنظيم. والتنظيم هو العمل الإداري والإشرافي، فهو نوع من العمل.

إنَّ الإنتاج والعمل واجب لسدِّ حاجة الأُمَّة وضرورة؛ لأنَّه لكي تأكل الأُمَّة تحتاج إلى زراعة، لكي تلبس تحتاج إلى صناعة، لكي تتداوى تحتاج إلى صناعة الدواء، ولكي يعيش أفرادها في منازل فإنهم يحتاجون إلى صناعة البناء، ومن أجل أن يعيشوا آمنين من غارات المغيرين تحتاج إلى سلاح، وإلى حرَّاس، ومن أجل هذا نشأت الجيوش والشرطة، كلُّ شيء يحتاج إلى صناعة وإلى حرفة.

فلا بدَّ أن تتوزَّع هذه الحرف على النَّاس، هذا ما قام به خلق الله في أرض الله مسلمون وكافرون.

الكفار لا بدَّ لهم أن يعملوا، وإلا لم يأكلوا، كيف يأكل النَّاس ويشربون ويلبسون ويتزوجون ويبنون بيوتًا ويبنون مدارس ويبنون جامعات ويبنون مصانع بدون عمل؟

كلُّ هذه الضرورات تحتاج إلى عمل؛ لذا اعتبر الإسلام العمل الدنيوي ضرورة واهتم به.

فالعَمَل نوعان: عمل دنيوي وعمل ديني، ولكننا نتحدَّث هنا عن العمل الدنيوي.

العمل الديني كأن تصلي وتزكي وتصوم وتحج وتستغفر الله وتسبح،  
وتبر والديك وتصل الأرحام وتعين الجيران واليتامى والمساكين وابن  
السبيل.

هذه أعمال دينية.

أمّا العمل الدنيوي فالذي تعمر به الأرض، خلق الله الإنسان ليعمر  
الأرض، كما قال نبي الله صالح لقومه ثمود: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ  
وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

ربنا أنشأكم من تراب الأرض، ونفخ فيكم من رُوحه، واستعمركم،  
أي: طلب منكم أن تعمروا الأرض، فعمارة الأرض مطلوبة، الله يطلبها  
من الإنسان طلبًا واجبًا.

اعمر الأرض؛ فالله خلق الأرض وهيأها صالحًا للزراعة والصناعة،  
بارك الله فيها وقدر فيها أقواتها ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا  
مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠] فلا تفسد فيها، تفسدها بأن تتركها،  
لا تضع فيها الحبة لتثمر، وألا تحرثها وتسقيها، وألا تقوم فيها بعمل، إنما  
علينا العمل من أجل إحياء الأرض بعد موتها، الأرض ميتة إلا إذا سقيتها،  
إذا نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، بالماء،  
والماء حتى يصل إلى الأرض لا بدّ من عمل، مطلوب منك أن توصل  
الماء إلى الأرض بشقّ الترعة والقنوات، بل بالشادوف وأحيانًا بالماكينات.

زراعة الأرض تحتاج إلى عمل، إذ لا بدّ أن يهيئ الإنسان الأرض  
للحراث والنبات، وهذا جارٍ من عهد آدم ﷺ، فإذا زرعت الأرض  
أنبتت، وهيأت لك ما تحتاج إليه.

والإنسان يتطوّر، كان الإنسان أولاً يأكل الأشياء كما هي، ثمّ بعد ذلك ألهمه الله الطبخ، علّمه أن ينوع في الزراعات ويوسّع، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، فلا بدّ للإنسان أن يكون زارعاً، وأن يكون صانعاً؛ لأنّه يحتاج إلى الزراعة والصناعة.

الإنسان يحتاج إلى الزراعة، ويحتاج إلى الحيوانات، ربنا يقول: ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِنَعْمِكُمْ﴾ [عبس: ٣٢].

هناك زروع يحتاج إليها الإنسان، وأخرى تحتاج إليها بقرته وغنمه وجاموسه وإبله، هذه الحيوانات التي يأكلها الإنسان وهي ذبيحة، ويستخدمها وهي صحيحة، ويأكل من ألبانها وأجبانها، الله تعالى يقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ \* وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧١، ٧٢].

ذللّ الله الجمل والثور والجاموس والبقرة، الطفل الصغير يقود الجمل، ويقود الثور، ويقود البقرة، ويسقيه ويأتي له بالطعام، من الذي ذلّل هذه الحيوانات للإنسان؟

الله هو الذي ذلّلها لهم.

علّم الله هذا للإنسان، وعلّمه الصناعات التي يحتاج إليها، حسب حاجة عصره ومجتمعه، أحياناً يعملها الإنسان، وأحياناً يسخر الله الجن لتعمل للإنسان كما سخر الجن لسيدنا سليمان ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ \* وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ \* وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٦، ٣٨]، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣].

عَلَّمَ اللهُ الْإِنْسَانَ هَذِهِ الصَّنَاعَاتِ، إِلَى أَنْ جَاءَ عَصْرُنَا الَّذِي عَلَّمَ اللهُ فِيهِ الْإِنْسَانَ عُلُومًا هَائِلَةً، تَعَلَّمَ فِي الْعَصْرِ الْأَخِيرِ أضعاف ما تعلمته البشرية في القرون السابقة، أصبحنا نعرف من التكنولوجيا ومن علوم العصر ما نسخر به الأرض، وما نسخر به البحر، وما نسخر به الجو، أصبحنا نركب الطائرات، وأصبحنا نركب أشياء أكبر من الطائرات، أصبح هذا كلّه في أيدينا.

كُلُّ هَذِهِ الْأُمُورِ تَعَلَّمْنَا أَنْ نَسْتَفِيدَ بِمَا خَلَقَ اللهُ فِي الْكُونِ، اللهُ خَلَقَ لَنَا هَذَا الْكُونِ كُلَّهُ، عَالِيَهُ وَسُفْلِيَهُ، ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، مَا فِي أَرْضِهِ، وَمَا فَوْقَ أَرْضِهِ، كُلُّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، خَلَقَ اللهُ هَذِهِ الدُّنْيَا لَنَا، اللهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

رَبَّنَا غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ مَا خَلَقَ، فَنَحْنُ الَّذِينَ نَحْتَاجُ إِلَى هَذَا الْكُونِ، أَنْ نَتَعَلَّمَ الصَّنَاعَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ، تَعَلَّمْنَا كَيْفَ نَعْمَلُ فِي الْجَوِّ، وَكَيْفَ نَرْكَبُ الطَّائِرَاتِ، وَكَيْفَ نَصْنَعُ مَا فَوْقَ الطَّائِرَاتِ مِنْ أَشْيَاءٍ أُخْرَى.

كُلُّ هَذَا تَعَلَّمَهُ الْإِنْسَانُ، تَعَلَّمْنَا السِّيَّارَاتِ وَالْقَطَارَاتِ وَالْإِلِكْتْرُونِيَّاتِ وَالصَّنَاعَاتِ الْمُتَطَوِّرَةَ وَالصَّنَاعَاتِ الذَّكِيَّةَ، الصَّنَاعَاتِ السَّلْمِيَّةَ وَالْحَرْبِيَّةَ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْنَا الْقُرْآنُ حِينَ عَلَّمْنَا وَقَالَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

الْقُرْآنُ يَعَلِّمُنَا أَصُولَ الصَّنَاعَاتِ، وَأَهْمَ مَعْدِنَ لِلصَّنَاعَاتِ هُوَ الْحَدِيدُ، ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ إشارة إلى الحروب، و﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى الصناعات المدنية.



وللأسف نحن المسلمين أصحاب القرآن الذي فيه سورة الحديد لم نتعلم الصناعات الحربيّة ولا الصناعات المدنية، فأقنا الغرب وأصبحنا نتعلم منهم الآن؛ وواجب علينا أن نتعلم لنصبح نحن أصحاب الصناعات، ونكون نحن الأساتذة لغيرنا فيها، لا تلاميذ للآخرين.

عيب على أمة مُحَمَّد وأمة القرآن وأمة الإسلام، الأمة الوسط، خير أمة أخرجت للناس، عيب عليها أن تكون تلاميذ لغيرها من الأمم؛ لأنها خلقت للإمامة وموضع الأستاذية، لا بدّ للأمة أن تتدارك ما فاتها، عليها أن تتعلم الصناعة.

نحن في مناسبة «عيد العمال» نذكر الأمة بما يجب عليها نحو عمّالها الزراعيين والصناعيين وأصحاب الصناعات المتنوعة.

وعلى أن نوفي الأمة كلّ ما تحتاج إليها الصناعات، لا يجوز أن تكون الأمة عندها صناعة لا تحسنها وتحتاج فيها إلى غيرها.

عيب علينا أن نكون محتاجين إلى غير المسلمين، الأمة المسلمة كلّها وحدة واحدة، يعود بعضها على بعض، غنيها يعطي فقيرها، قويها يمنح ضعيفها، كلّها أمة واحدة؛ فعلى الأمة الإسلامية أن تتعاون فيما بينها في الصناعات السلمية والحربيّة، كلّ الصناعات التي نحتاج إليها لا بدّ أن تكون في أمّتنا، ولا نحتاج إلى أن نستورد احتياجاتنا الأساسية من غيرنا.

هذا ما نقوله في هذه المناسبة لتصبح أمّتنا من أقوى الأمم، وأغنى الأمم كما يريد الله تبارك وتعالى لها.

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فادعوه يستجب لكم.

\*\*\*

## الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

## سوريا ألم وأمل:

ما زلنا - نحن العرب والمسلمين - نعيش جو القتال والحروب، نعيش هذا الجو في سوريا حيث يلقي إخواننا من جحيم الموت في كلِّ يوم ما لا يلقاه شعب من الشعوب، قام شعبها الأبى منذ أكثر من سنتين يطلب الحرية والكرامة، ينادي بها وليس معه مدفع ولا بندقية ولا سيف ولا خرطوش ولا قنبلة ولا حجر ولا عصا، ينادي بالحرية والكرامة. ومن حق أي شعب أن ينادي بالحرية، وكلُّ دساتير العالم وقوانينه تقول: من حقَّ الشعب أن يطالب بالحرية والكرامة.

ولكن الحُكم السوري الظالم المستبدَّ المستكبر في الأرض بغير الحقِّ أبى ذلك على هذا الشعب ورفض، رغم أنَّه يحكم البلاد منذ خمسين عامًا، هي سنوات حُكم حافظ الأسد وابنه من بعده الذي حكم سوريا عشر سنوات، يكفي خمسون سنة.

الشعب السوري لا يريد أن يظلَّ أسيرًا لأسرة واحدة، انتهى حكم الأسر، انتهى عهد القذافي في ليبيا وحسني مبارك في مصر وزين العابدين في تونس وعلي عبد الله صالح في اليمن، ولا بدَّ أن ينتهي عهد الأسد في سوريا.

هذا منطوق طبيعي، هؤلاء يحلمون أن تتحكَّم الأسرة الواحدة في الشعب إلى أبد الآبدين.

أبى بشار الأسد والذين معه الذين يصوّرون له الشرّ ويوسوسون له، أبوا على هذا الشعب أن ينادي هذه المناداة الطبيعية السلمية بالحرية، ورفضوا وقاموا هذا الشعب بالقتل من أوّل يوم، قتلوا من هذا الشعب ما قتلوا، وظلّوا يقتلون هذا الشعب أكثر من سنتين، ودخلوا في السنة الثالثة، يقاتلون هذا الشعب ويقتلونه، وقد ناديت ضباط الجيش النظامي السوري وجنوده بأن يتركوا بشار الأسد وحده، وأن ينضموا إلى الجيش الحرّ، ومن حقّ كلّ جندي ومن واجبه، بل فرض على كلّ ضابط وكلّ جندي في الجيش السوري، فرض ديني أمام الله وأمام ضميره وأمام التاريخ وأمام النَّاس أن يخرج من هذا الجيش، كلّ من بقي في هذا الجيش النظامي فهو عدو للشعب، وقاتل للشعب، وملعون من الله والملائكة والنَّاس أجمعين.

أنادي ضباط وجنود الجيش جميعًا بأن يخرجوا من لعنة الله وغضبه، ومن الحرام المؤكّد، وأن ينضموا إلى إخوانهم في الجيش الحرّ بأسلحتهم. هذا ما أنادي به وناديت به هذا الجيش من أوّل يوم.

قام هذا الجيش الحرّ وحارب بالقلّة التي معه في أوّل الأمر، وبالسلاح الضئيل الذي كان معه، حارب هذا الجيش وانتصر عليه، أصبحت القوّة الكبرى - إن شاء الله - في يد هذا الجيش، أصبح الجيش الحرّ يمتلك الآن معظم أراضي سوريا، الجيش الحرّ سينتصر رغم كلّ ما يجري، ورغم أنّه لا يملك إلاّ معدّات خفيفة وبسيطة، فليس معه البوارج البحرية وطائرات مثل طائرات الميج، ولكن الله معهم، ولن يترهم أعمالهم، سينتصرون على هذا الجيش الذي يقتل الشعب ويذبحه يوميًا، أنتم ترونهم في التلفزيون كيف يُقتلون ويُعدّون.

هؤلاء وحوش، بل أقسى من الوحوش، الوحوش تأكل الإنسان إذا جاعت، فإذا ما شبت لا تأكل أحداً، هؤلاء يقتلون الناس في كل وقت؛ فهم قتلة جزّارون يجزّرون الناس بلا ذنب.

ادعوا الله على هؤلاء، ادعوكم وأدعو جميع المسلمين في بلاد العرب وفي جميع بلاد المسلمين وفي كل مكان في العالم أن يدعوا الله تعالى على هؤلاء الظالمين.

هؤلاء أناس لا يخافون خالقاً، ولا يرحمون مخلوقاً.

هؤلاء قد قرّب أجلهم، والله قد قرّب أجلهم، وسنذهب عن قريب لنصلي في المسجد الأموي إن شاء الله، سيذهب المسلمون من كل مكان ليحتفلوا بذهاب هؤلاء.

لا يمكن للظلم أن يبقى في الأرض، هؤلاء ظلمة يظلمون الشعب، يريدون أن يحكموا الشعب رغم أنه، قلة قليلة من الناس تتحكّم في خلق الله، هؤلاء لا يمكن أن يبقوا أبداً، لا بدّ للشعب السوري أن ينتصر، ولا بدّ لأهل القوّة في العالم أن ينتصروا لهم؛ العرب لا بدّ أن ينتصروا لهم.

لقد جاء وفد من الإخوة في سوريا هنا في قطر، ووعدهم قطر بنصرة سوريا، وعليهم أن يوفوا بوعدهم، وأن يقوموا بواجبهم، بكلّ ما يستطيعون، شكر الله لقطر وشكر الله لكلّ من يعين أهل سوريا في حربهم ضد الظالمين المتجبرين.

ونريد من العالم والمجتمع الدولي ومن أمريكا ومن فرنسا ومن بريطانيا ومن ألمانيا ومن كلّ القادرين أن يقفوا ضد هؤلاء الذين يحاربون في سوريا.

وما زالت إيران تساند بشاراً الأسد، وتمدّه بالسّلاح والمال والرجال، يدعمون هذا النّظام بالرجال الإيرانيين والعراقيين ورجال حزب الشيطان، ولا أقول: حزب الله؛ لأنّه لو كان حزب الله لنصر أهل الحقّ على أهل الباطل، ولنصر العدل على الظلم، ولنصر الشعب المظلوم على الحكّام الظالمين، ولكن هذا حزب الشرّ والطغيان.

وقف حسن نصر الله يباهي بأنّه سيقاتل ويبعث بالآلاف من جنوده يقاتلون في سوريا، سيبوء هو وقوته وجيشه بالخسران، سيهزمهم الله ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر؛ لأنّه يقاتل في سبيل الطاغوت، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَاقْتُلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

هؤلاء الذين يقاتلون من أجل أن ينصروا حاكماً ظالماً على شعبه لا خير فيهم، وحزبهم هذا لا مكان للخير فيه، ولا مكان لله فيه، إنّه شرٌّ على شرّ.

إنّه يتهمني بأنني أنادي بمقاتلة المدنيين، وأنا لا أدعو إلى مقاتلة المدنيين أبداً، وإنّما دعوت إلى مقاتلة من يعتدون على الشعب السوري، الذين يقتلون الناس في سوريا يجب على الجميع أن يقاتلوهم، على أهل سوريا أن يقاتلوهم، وعلى أهل لبنان أن يقاتلوهم، وعلى أهل العراق أن يقاتلوهم، وأنا أدعو أهل إيران المخلصين إلى مقاتلة شبيحة الأسد؛ لأنّ شبيحة الأسد ليسوا مدنيين؛ إنهم مقاتلون، ويجب مقاتلتهم، وأمّا المدنيون الحقيقيون فنحن لا نقاتلهم، ولكن إذا قُتلوا خطأ فهم شهداء عند الله.

كثير من هؤلاء ضد بشار الأسد، أعرف أناساً كثيرين من سوريا محصورين في جهات يملكها الجيش، وأهلها يبغضونه ويلعنونه ويدعون

الله عليه ليل نهار وصباح مساء، مثل هؤلاء مظلومون، من قُتِل منهم خطأ حتى ولو قتله المعارضون من أهل السنة الخيرون فهؤلاء شهداء عند الله.

### مأساة أهل السنة في العراق:

هناك قضية أخرى لا بد أن أتحدث عنها، وهي قضية المالكي في العراق، لقد ابتلي العراق برجل أصبح حاكمًا له رغم أنه، الناس يكرهونه ويذمونه ويلعنونه؛ لكثرة ما فعل بهم من أفاعيل، قتل عشرات الآلاف، سنين مرّت عليه وهو يحكم هذه البلاد، خرج الأمريكان من العراق وهو يحكم هذا البلد، حكم على علماء كثيرين من السنة بالقتل، يتهمهم بالباطل ويحكم عليهم بالقتل، فرّق الناس.

العراق كان بلدًا واحدًا سواء فيه السنة أو الشيعة أو الأكراد، إلا أن المالكي فرّقهم، كانت القبيلة الواحدة فيها سنة وشيعة، ولكن هؤلاء جعلوها طائفية بغیضة متعصّبة.

أصبح هذا المالكي عدوًا للشعب العراقي، إلا فته، وكثير من الشيعة بدؤوا يبرؤون منه، المسلم الحق لا يتحيز إلا للحق، ولا يتحيز لباطل، ولا لمتكبر، ولا يتحيز لجبار في الأرض، الله ﷻ يقول: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥] الجبارة في الأرض مذمومون ومدحورون ومهزومون إن شاء الله.

الشعب العراقي قام على بكرة أبيه في البلاد السنة المختلفة يدافع عن نفسه، وينادي علماءه في كل مكان الناس بالدفاع عن أنفسهم، قامت الشعوب معهم، وقامت وراءهم بعشرات الألوف وبمئات الألوف وبالملايين.

ومن حقّ هذا الشعب المظلوم أن يدافع عن نفسه، ويدافع عن الحقّ، ويتمسك بالحقّ، ويحارب الباطل، ولا يرضى بالباطل أبداً.

وأنا أرى أنّ الشعب العراقي لا بدّ أن يصل إلى حقّه، لا بدّ أن يهزم الباطل، ولا بدّ أن يهزم المالكي، ولا بدّ أن تتغيّر هذه الحياة التي يعيشها الشعب العراقي.

كم فقد الشعب العراقي من الآلاف والملايين من الشباب والشيوخ، ومن النساء والأطفال، كم فقد من الملايين، وأن لهذا الشعب أن يستردّ حقّه، وأن يعود إلى أمنه وطمأنينته.

وإنّي واثق - إن شاء الله - بأنّه سيصل إلى ما يريد بالثقة في الله وبالوقوف صفاً واحداً، وبالسلمية سيحقق حريته وكرامته، وسيظلّ هذا الشعب ينتفض ليحقق النصر ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ الْآنَ بِنُورِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢] ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

### الدعاء:

اللهمّ إنّنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة يا ربّ العالمين.

اللهمّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك.

اللهمّ احرسنا بعينك التي لا تنام، واكلانا في كنفك الذي لا يُضام، وهبنا لنا من أمرنا رشداً.

اللهمّ إنّنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا.

اللهمّ استر عوراتنا وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.



﴿ رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ وَهِيَئَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا ﴾ [الكهف: ١٠].

اللهم انصر إخواننا في سوريا، وهبي لهم من أمرهم رشداً، اللهم احرسهم بعينك التي لا تنام، اللهم فك أسرهم.

اللهم انصر إخواننا في مصر، وانصر إخواننا في تونس، وانصر إخواننا في ليبيا، وانصر إخواننا في اليمن، وانصر إخواننا في المغرب، وانصر إخواننا في فلسطين، وفي الأردن، وفي لبنان، وفي العراق، وفي إيران، وفي باكستان، وفي بنغلاديش، وفي بورما، وفي كل بلد من بلاد الله.

اللهم انصر أهل الحق على أهل الباطل، وأهل العدل على أهل الظلم، وانصر الشعوب على الحكام الظالمين يا رب العالمين.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم أكرمنا ولا تُهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



يدخل المسلم الصَّلَاة بهذا الهتاف الربّاني: الله أكبر الله أكبر. يؤذّن المؤذّن كلّ يوم خمس مرّات، يعلن على مسامع الدنيا: الله أكبر الله أكبر. يقيم لكلّ صلاة: الله أكبر الله أكبر. يؤذّن في أذني المولود فأول ما يسمعه: الله أكبر الله أكبر. هذا هو نشيدنا نحن المسلمين، هذا هو هتافنا، فنحن في يوم التّكبير، فالله أكبر الله، لا إله إلّا الله، والله أكبر، الله أكبر والله الحمد.

### الفرح في العيد:

ونحن في يوم الفرحة، نحن في يوم السرور، لماذا نفرح؟ «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»<sup>(١)</sup>. للصائم فرحتان: فرحة يومية عند كلّ مغرب حينما يتناول ما كان مُحَرَّمًا عليه طوال اليوم قائلاً: «اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت»<sup>(٢)</sup>، «ذهب الظمّ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى»<sup>(٣)</sup>. وفرحة أخرى بالعيد إذا أفطر بعد قضاء الشهر كلّهُ، فرحة لأنّه عاد إليه المباح كما كان. وفرحة أعمق لأنّ الله وفّقه لأداء الواجب، لأنّه امتثل لأمر الله، جاع لله، وظمى لله، وترك الشهوات لله، كما جاء في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له، الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله: إلّا الصيام، فهو لي، وأنا أجزي به، يدع الطعام من أجلي، ويدع الشراب

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أبو داود في الصوم (٢٣٥٨) مرسلًا، وقال ابن الملقّن في البدر المنير (٧١٠/٥): إسناده حسن لكنّه مرسل. عن معاذ بن زهرة.

(٣) رواه أبو داود (٢٣٥٧)، والنسائي في الكبرى (٣٣١٥)، والدارقطني (٢٢٧٩)، وحسن إسناده. والحاكم (٤٢٢/١)، وصحّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، أربعتهم في الصوم، وحسن إسناده الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٤١)، عن ابن عمر.

من أجلي، ويدع لذته من أجلي، ويدع زوجته من أجلي»<sup>(١)</sup>. من أجل الله كان هذا التَّرك، وكان هذا الجهاد لله **وَعَلَىٰ**.

من أجل ذلك تكون الفرحة يوم العيد، فرحة الصائمين بطاعة الله، بفضل الله، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

اليوم يوم فرحة لمن وفقه الله لحسن الصيام، وحسن القيام، ويوم خزي لأولئك الذين لم ينتصروا على شهواتهم، كانت بطونهم أقوى من عقولهم، وأقوى من إيمانهم، وأقوى من إرادتهم، وكانوا مفطرين في هذا الشهر الكريم. هؤلاء الذين كنا نراهم في الشوارع والطرقات ينتهكون حرمة هذا الشهر، جهازًا نهارًا، لا يخافون من الخالق، ولا يستحيون من المخلوق، ولا يخشون رادعًا ولا زاجرًا.

هؤلاء اليوم ليس عيدًا لهم، اليوم يوم خزي ونكال عليهم، ولعذاب الآخرة أشد وأخزى.

اليوم فرحة الصائمين، والفرحة عند الله أعظم «فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه».

### أيها الإخوة:

يوم العيد يوم فرح وسرور، ومن شأن المسلم أن يفرح بيوم العيد، وألا يقتصر فرحه لنفسه، ألا يقتصر فرحه على ذاته، وعلى أسرته؛ بل يجب أن تعمّ الفرحة في الإسلام، ولهذا شرع الإسلام في عيد الفطر: زكاة الفطر، لتغني الفقراء: «أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم»<sup>(٢)</sup>، بدل أن

(١) رواه ابن خزيمة في الصيام (١٨٩٧)، عن أبي هريرة، وأصل الحديث في الصحيحين سبق تخريجه ص ٢١٣.

(٢) رواه الدارقطني في زكاة الفطر (٢١٣٣)، والبيهقي الزكاة (١٧٥/٤)، عن ابن عمر.

يسألك الفقير ويطوف عليك، تسأل عنه أنت وتطوف عليه، وتذهب إلى داره لتعطيّه هذه الزكاة التي جعلها النبي ﷺ وفرضها «طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين»<sup>(١)</sup>، تعويضًا وجبرًا عمّا عسى أن يشوب الصيام من اللغو والرفث، وطعمة وإسعافًا للفقراء في هذا اليوم.

شرع الإسلام في عيد الفطر: زكاة الفطر، وشرع في عيد الأضحى: الأضحية، توسعة على الأهل والجيران والفقراء.

### أعيادنا ربّانية إنسانيّة:

هذه أعيادنا: ربّانية إنسانيّة. «ربّانية» لأنّها تبدأ بالصلاة والتكبير لله، و«إنسانيّة» لأنّ المسلم لا يعيش فيها لنفسه، وإنما يفكر في غيره من إخوانه وأخواته. هذه أعيادنا.

من شأن أعيادنا أن تعمّ الفرحة فيها، ولكن كيف تتمّ لنا الفرحة وأمة الإسلام تناوشها السهام، من كلّ جانب في كلّ مكان؟ أمة الإسلام تعيش في مآسٍ يندى لها الجبين، وينقطع لها نياط الفؤاد، وتتمزّق لها الأكباد، أكباد من يعون ويحسّون، لا أولئك الأموات الذين يعيشون كالأحياء، وهم لا يشعرون!

كيف تتمّ لنا الفرحة وأمة الإسلام كما نراها اليوم؟ أمة الإسلام تملك كل مصادر القوّة، ولكنها لا تنتفع بها! أمة الإسلام تملك القوّة البشريّة، وتملك القوّة الماديّة، وتملك القوّة الروحيّة، ولكنها مع هذا لا تستفيد من هذه القوى!

(١) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والحاكم (٥٦٨/١)، وصحّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الزكاة، والدارقطني في زكاة الفطر (٦١/٣)، وقال: ليس فيهم مجروح. وحسنه إسناده النووي في المجموع (١٢٦/٦)، عن ابن عباس.

## القوة البشرية:

تملك الأمة الإسلامية القوة البشرية، فالمسلمون في العالم اليوم حوالي ألف مليون نسمة (مليار) من الأنفس! ألف مليون عدد المسلمين في العالم الإسلامي أو في العالم! ألف مليون ليس بالعدد القليل، حوالي خمس العالم أو ربع العالم مسلمون! قوة لها قيمتها.

يوم كان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً: نصرهم الله في يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، لماذا؟ لأن هذه القلة لم تكن تقاتل بيديها، إنما تقاتل بقدره الله، تقاتل بأيديها ولكنها تنفذ قدر الله، كان الله يدير معركتها من فوق سبع سموات: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

ألف مليون في العالم من المسلمين، من أمة «لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله»، والكثرة نعمة، الله تعالى يمتن على عباده فيقول: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]. والكثرة نعمة، لا كما يدعي بعض الناس أن الكثرة مصيبة أو مشكلة أو نقمة، لا، الكثرة نعمة إذا استفيد بها، إذا انتفع بها.

ألف مليون مسلم قوة عددية، هذه إحدى القوى التي يملكها المسلمون.

## القوة الاقتصادية:

ثم المسلمون يملكون القوة الاقتصادية المادية، فبلاد المسلمين من أغنى بلاد الله، يملك المسلمون أخصب بلاد الله بقعة، وأطيبها رقعة، في

ملتقى القارات، في سُرّة العالم، في منبت الحضارات ومهبط الرسالات. يملكون من الثروات المذخورة في باطن الأرض، والمنشورة على ظهر الأرض، يملكون الشيء الكثير. يملك المسلمون المعادن بمختلف أنواعها، معظم الثروة البتروليّة (الطاقة) التي يسعى العالم إليها ويحرص عليها ويتنافس من أجلها، في بلاد المسلمين: الذهب الأسود في بلاد المسلمين، والذهب الأبيض في بلاد المسلمين، والذهب الأصفر في بلاد المسلمين، أنواع الثروات في بلاد الإسلام.

### القوة الروحيّة:

ويملك المسلمون القوة الروحيّة، فالمسلمون وحدهم الذين يملكون أعظم رسالة في الوجود، الرسالة التي أنزلها الخالق لهداية الخلق، التي نزلت من السماء لهداية الأرض، رسالة مُحَمَّد ﷺ، الرسالة العامّة الخالدة السامية، التي وصف الإمام الشهيد حسن البنا - مؤسس أكبر حركة إسلاميّة في هذا العصر - أبعاد شمولها فقال: «إنّها الرسالة التي امتدّت طولاً حتّى شملت آباد الزمن، وامتدّت عرضاً حتّى انتظمت آفاق الأمم، وامتدّت عمقاً حتّى استوعبت شؤون الدُّنيا والآخرة». وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٨٩]. حتّى كان الخليفة الأوّل يقول: والله لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله<sup>(١)</sup>!

(١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (٤/٣٠، ٣١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

## رسالة الشمول ورسالة التوازن:

هذه هي الرسالة التي نملكها، رسالة الشمول ورسالة التوازن. أنّها الرسالة التي تصل الأرض بالسماء، وتربط الدنيا بالآخرة، وتوازن بين الروح والمادة، وتوفّق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، وتؤاخي بين الحقوق والواجبات، وتقيم إخاءً بين الأفراد والطبقات، فليس فيها حقد ولا صراع طبقي، ولا استعلاء عرقي، ولا شيء من ذلك، إنّما أخوة: «وكونوا عباد الله إخواناً»<sup>(١)</sup>، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

نحن نملك الرسالة العظيمة، التي تحتاج إليها البشرية الحائرة المُعدّبة في عصرنا، نحن نملك رسالة الإسلام، نحن المسلمين وحدنا نملك الكتاب الذي لم يعتره تحريف ولا تبديل ولا تغيير، كلُّ كتب السماء تناولتها يد التحريف والتبديل، بالمسخ والنسخ، والتغيير والتحريف اللفظي والمعنوي، إلّا كتاباً واحداً تولّى الله تعالى حفظه، هذا القرآن: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

الوثيقة السماوية الإلهية الوحيدة، التي تحمل كلمات الله للبشر، وتحمل هداية الخالق للخلق، مصونة من كل تحريف، هذه الوثيقة الفدّة هي «القرآن الكريم». إنّهُ الكتاب الذي مضى عليه أربعة عشر قرناً وها هو منقول إلينا كما أنزل، (١١٤) سورة كما هي، سورة واحدة بُدئت بغير بسملة: لم يجرؤ أحد أن يضيف إليها ويقول: ضعوا فيها «بسم الله الرحمن الرحيم»، لا.

الكتاب نُقل إلينا بغنّه ومدّه، وحركاته وسكناته، وإظهاره وإدغامه، حتّى

(١) جزء من حديث متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٣) (٢٨)، عن أبي هريرة.

بالطريقة التي كان يُتلى بها، كما كُتب في عهد عثمان (بالرسم العثماني)، لا تحريف ولا تبديل، ﴿كَتَبُ أَحْكَمَتْ أَيْنُهُ، ثُمَّ فُصِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١]، ﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

نحن المسلمين وحدنا الذين نحفظ القرآن، يحفظه مئات الآلاف، حتى الصبيان يحفظونه، ليس هناك من الأبحار والرهبان في الأديان الأخرى من يحفظ الكتاب المقدس، ولكن صبيان المسلمين يحفظون القرآن، الأعاجم يحفظون القرآن! امتحنت أناساً في «قطر» من الهند وباكستان وبورما، وماليزيا وإندونيسيا يحفظون القرآن عن ظهر قلب، كأن واحد منهم شريط مسجل، لا يخرم حرفاً ولا يخطئ كلمة! ولو سألته: ما اسمك؟ لا يعرف معنى «ما اسمك؟»، لأنه لا يعرف العربية! حفظ القرآن وهو لا يعرف العربية! أي إعجاز هذا؟!

في «الكتاب» قرأ الصبي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] فقال: «وما مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَّا رَسُولٌ...»، فلكزه زملاؤه عن يمينه وعن شماله، وقالوا له: من أين جئت بهذه الكلمة (صلى الله عليه وسلم)، وليست في المصحف، ولم نحفظها؟ حتى الصبي يدرك بحسه ووعيه أن هذا الكتاب لا يُزاد عليه ولا ينقص منه!

نحن المسلمين وحدنا الذين نملك الوثيقة الإلهية، الكتاب الإلهي المحفوظ، الدستور الإلهي الخالد: القرآن.

ونملك شرحه النظري والعملية وهو: سنة رسول الله ﷺ، كان لها الجهابذة الذين حفظوها من الوضاعين والكذابين، وحملها من كل خلف

ومن كلّ جيل عدوله، نفوا عنها وعن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

نحن المسلمون وحدنا نملك هذه القوى: القوّة البشريّة، والقوّة الماديّة، والقوّة الرُّوحية والفكريّة.

ولكن هل استفدنا من هذه القوى؟ للأسف هذه القوّة العدديّة لم تنفعنا، (ألف مليون) ولكن مزقتهم الخلافات: الخلافات السياسيّة، والخلافات الفكريّة، والمذاهب المستوردة، والعقائد الدخيلة على المسلمين، هذا يميني، وهذا يساري، وهذا اشتراكي، وذلك رأسمالي، وهذا ماسوني، وذلك قادياني، وهذا وهذا، هذه المذاهب والأفكار مزقت الأُمَّة الإسلاميّة.

إنّما يقوى هذا العدد يوم يستمسك بالإسلام، يوم يستمسك بالإيمان حقّاً، ولكن إذا صاروا كما صورهم الحديث: «كثرة كغثاء السيل» فما قيمتهم؟ لقد روى أبو داود عن ثوبان، عن النبي ﷺ هذا الحديث: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم» أي: تتآمر ويدعو بعضها بعضاً، مؤامرة دوليّة عالميّة من شتى الأمم عليكم أيّها المسلمون «كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ (لماذا يتداعون علينا ويريدون أن يلتهمونا، كما يلتهم الجياع القصة؟ أو من قلة؟) قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل»، أتدرون ما الغثاء؟ الذي يحمله السيل، من الغث والحطب والأوراق الجافة، التي لا تنفع النّاس ولا تمكث في الأرض، أشياء عائمة خفيفة، لا قيمة لها ولا رابط بينها، «غثاء كغثاء السيل» هذه الغثائية هي التي أضاعت قوّة الأُمَّة. «ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله



في قلوبكم الوهن»، كان المسلمون يُنصرون بالرُّعب، يقذفه الله في قلوب أعدائهم فيخافونهم وبينهم وبين المسلمين مسيرة شهر، ولكن المسلمين يوم يتعدون عن الإسلام يُنزع المهابة والرعب من قلوب أعدائهم، وبدل هذا يقذف في قلوب المسلمين الوهن أي الضعف. قال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ (أي ما سبب هذا الوهن؟ ما سرّ هذا الضعف؟) قال: «حب الدنيا، وكرهية الموت»<sup>(١)</sup>. ما دام الناس يركنون إلى دنياهم وكلُّ واحد يقول: نفسي نفسي، مصلحتي مصلحتي.. ما دام كل إنسان يضمن نفسه وبقطرة دمه وبراحته: أن تُبذل في سبيل الإسلام، فهذا هو الضعف، وهذا هو الوهن.

(ألف مليون) ولكن أين هم؟ لا يحس بعضهم بآلام بعض، لا يحزن بعضهم لأحزان بعض.

هناك في الفلبين إخوة لنا يقاتلون، يقاتلون تلك الصليبيّة الحاقدة التي تريد أن تأكلهم، كما يأكل الجائع لقمته، ولا تبقي لهم كيانا، يقاتلون سنين، ومع هذا نرى المسلمين والعرب يتعاطفون مع تلك الحكومة الفلبينيّة، ويتعاونون معها، وكأنّها لم تصنع شيئا.

إخواننا في أفغانستان الذين يقاتلون الشيوعيّة الحمراء، يقاتلون أكثر من مائة ألف جندي سوفيتي، معهم الدبابات والطائرات، والصواريخ والأسلحة الإلكترونيّة، وأحدث ما أنتج هذا العصر من التكنولوجيا، يقاتلهم أولئك المجاهدون بأخفّ الأسلحة وأضعفها، ممّا أخذوه من يد أعدائهم، وممّا صنعوه بأنفسهم وبأيديهم. يقاتلون وهم لا يملكون إلا القليل، ويُنزلون بهؤلاء الجنود الخسائر الفادحة بأقلّ الأسلحة والحمد لله، يرمي

(١) سبق تخرسجه ص ٢١٦.



أحدهم رصاصته ويقول: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]  
فتصيب قلب الدبابة أو تصيب الطائرة في جو السماء!

يعيش الواحد منهم على الخبز الجاف، على لقيمات يقيم بهن  
صلبه، فأين بقية المسلمين؟ أين بقية المسلمين؟

حاصروا مجموعة من السوفيتيين يوماً، فجاءت الطائرات لتلقي الأطعمة  
والزاد على هذه المجموعة المحاصرة، فكان الطعام والزاد إذا قارب الأرض  
نزل في جهة المجاهدين المسلمين! قالوا: رزق ساقه الله إلينا.

من يساعد هؤلاء؟ من يعينهم؟

في مؤتمر إسلام آباد وقف من وقف، بل أعلن الذين يؤيدون احتلال  
الروس لأفغانستان.

يؤيدون الشيوعية الحمراء ضد إخوانهم، يعترضون على الوقف الذي  
يمثل أفغانستان.

من العرب، من المسلمين من يؤيد الاحتلال، من يؤيد الغزو ضد  
إخوانهم المسلمين!

### وضع المسلمين السنة في سوريا:

في سوريا وما أدراكم ما سوريا؟ في سوريا يذبح الشيوخ والنساء  
والأطفال، تُهدم بيوت على أصحابها.

في سوريا يُقتل الناس جهاراً نهاراً، يدخلون إلى البيت يبحثون عن  
واحد من الناس، فإذا لم يجده ماذا يفعلون؟ يقتلون أمه وأباه، وأخته  
وأخاه، يقتلون من يجدون، لا يباليون بأحد.

في سوريا قُتل في يوم واحد: ألف وثمانمائة وخمسون شخصًا في سجن تدمر. السجناء المعتقلون عندهم من شهور أو سنين، استداروا إليهم فقتلوهم وذبحوهم. أيّ معركة هذه؟!

إنّ التاريخ لا زال يذكر لمحمّد عليّ مذبحة القلعة، وإنّما قتل عشرات من الناس. هؤلاء قتلوا مئات (بل دخل الرقم في الآلاف) فهل سمع أحد بهذه المجزرة؟ تعميم إعلامي، صمت من بلاد العرب والمسلمين على ما يجري في سوريا.. على هذا الحزب العميل، الطائفي، البعثي، الطاغوتي، الإرهابي، اللاإنساني، اللاأخلاقي، اللاديني: النصيريّة.

طائفة النصيريّة، وما أدراكم ما النصيريّة؟ إنهم قوم كما قال الإمام الغزالي قديمًا في أمثالهم من الباطنيّة: (ظاهرهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض). يتظاهرون بالتشيع لعليّ وبذكر اسم عليّ، إنهم يؤلّهون عليًا رضي الله عنه، يقول قائلهم في شعره:

أشهد أن لا إله إلاَّ حيدرَةُ الأبحر الأَنْزَعُ البُطِينُ  
ولا حجابَ عليه إلاَّ محمّدُ الصادقُ الأمين  
ولا طريقَ إليه إلاَّ سلمانُ ذو القوّة المتينُ

فيقولون: عليّ هو الإله! ولكنّ الذي حجه هو محمد! والذي يدلّ عليه هو سلمان!

إنهم كفره، إنّ دينهم تركيبة مختلقة، من المجوسية، إلى مذاهب الفلاسفة القدماء، إلى غلاف من الشيعة المتطرّفة. هؤلاء قوم كما قال

عنهم ابن تيمية قديمًا: «إنهم أكفر من كل الطوائف»<sup>(١)</sup>، من اليهود ومن أهل الكتاب جميعًا، لأن اليهود لهم كتاب ولهم أصل سماوي، ولكن هؤلاء ليس لهم كتاب، وليس لهم دين!

ولذلك قرّر كافة علماء المسلمين: أنهم مُرْتَدُّون: لا تؤكل ذبائحهم، ولا تتزوّج نساؤهم، ولا يحلُّ بقاؤهم في ديار الإسلام.

أفتى بذلك ابن تيمية، وأفتى بذلك ابن عابدين، وأفتى بذلك كل علماء المسلمين من مختلف المذاهب، حتّى الشيعة أنفسهم كفروهم. إنهم طائفة كافرة، فاجرة، طاغية.

كانوا دائمًا مع كلِّ عدوّ للإسلام، مع كلِّ مغير على بلاد المسلمين. حينما جاء الصليبيّون إلى ديار الإسلام كانوا عونًا لهم، وعينًا لهم، ويدًا لهم. هم دائمًا ضد المسلمين.

هؤلاء هم النُصَيْرِيَّة الَّذِينَ يحكمون سوريا، ويريدون أن يبتلعوها، ويريدون أن يفرضوا دينهم وطائفيتهم على أغلبية البلاد من أهل السُّنَّة.

تجري هذه المجازر أيُّها الإخوة وهذه المذابح البشريّة، وبلاد العرب والمسلمين صامته عنها، لا يتكلّم أحد، لا تقوم الدُّنيا ولا تقعد. لو قُتل ثلاثة من اليهود، لقامت لجان العفو الدوليّة، ولجان حقوق الإنسان، وهيئة الأمم المتّحدة والإعلام العالمي، وهاجوا وماجوا. ولكن أرخص دماء في العالم هي دماء المسلمين، دماء من يقولون: «لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله».

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٠٨/٢٨)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

الدم الإسلامي دم رخيص، لا يتحمس له أحد، لا شرق ولا غرب، لا روس ولا أمريكيان، لا يمينيين ولا يساريين، لا تقدميين ولا رجعيين. كلّ الدول العربيّة: التقدميّون، والرجعيّون، واليمينيّون، واليساريّون، كلهم ساكتون عمّا يجري في سوريا.

والشباب هناك يقاوم، ويقاوم، وقد أبى إلا أن يقاتل عن دينه. ترك الشباب جامعاتهم ومدارسهم، وهم في أعمار الزهور.. في مقتبل العمر، ابن الخامسة عشرة أو السابعة عشرة: ترك مدرسته وذهب ليقاوم، فإذا قيل له: ارجع فإنك لا زلت صغيرًا، فيقول: ألم يقاتل ابن عمر وهو ابن خمس عشرة سنة؟! ألم يقاتل رافع بن خديج وهو كذا؟! ألم يذهب أسامة قائدًا للجيش وهو ابن الثامنة عشرة؟! ألم يفتح مُحَمَّد بن القاسم الثقفي «السند» ويقود الجيوش إليها وهو ابن سبعة عشر عامًا؟! ألم ألم؟ فلا يزال يقول ذلك حتّى يقبله المجاهدون.

شباب لا يباليون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم، كلّ همّهم الجنّة، الشهادة في سبيل الله، هؤلاء الذين أقضوا مضاجع الطغاة. إن من يضع روحه على يديه، ورأسه في كفه، ولا يبالي بالموت، إنّه يخيف الناس جميعًا.

الذي أضعف الناس: خوفهم على أرزاقهم، وخوفهم على آجالهم، والأرزاق معدودة، والآجال محدودة، الرزق بيد الله، والأجل محدود عند الله.

هؤلاء الشباب لا يخافون على شيء، إنهم المؤمنون الصادقون.

ما يجري في سوريا أيّها الإخوة لا يقع مثله في إسرائيل. إن إسرائيل حينما تعلم أن بناء أو عمارة فيها فدائيون؛ ماذا تصنع؟ أنّها تُخليها من

سكّانها ثمّ تهدمها، ولكنّ هؤلاء الذين يُسمون البعثيين أو العلويين - وما سمّاهم «العلويين» إلّا الفرنسيّون، اسمهم التاريخي: النصيريّون - يهدمون العمارة على من فيها، حتّى يكون عاليها سافلها! إنهم شرّ من اليهود.

إنّ هؤلاء يفرضون إتاواتهم على البلاد العربيّة الغنيّة، يذهبون إلى ذلك البلد وذاك، يأخذون الملايين وعشرات الملايين ومئات الملايين، من أجل ماذا؟ من أجل الصمود كما يُسمّى! الصمود ضدّ إسرائيل! قتال إسرائيل!

والله هؤلاء لن يقاتلوا إسرائيل. الذين باعوا الجولان من أجل بضعة ملايين، الذين أسقطوا القنيطرة قبل أن تسقط بعدة ساعات، أذاعوا بيان سقوطها قبل أن تسقط، هؤلاء لا يمكن أن يحاربوا إسرائيل، هؤلاء ليسوا هم من سيقاتل إسرائيل.

إنّ الحديث النبوي عرّفنا من هم الذين سيقاتلون إسرائيل، من هم الذين سيقاتلون اليهود ويقتلون اليهود، ويحرّرون المسجد الأقصى، ويحرّرون فلسطين، حديث البخاري ومسلم: «لا تقوم الساعة حتّى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتّى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله»<sup>(١)</sup>. نحن نؤمن بهذا، إذا كان اليهود يؤمنون بأرض الميعاد فنحن نؤمن بوعود الله لنا في القرآن والحديث، نؤمن بأنّ معركتنا معهم آتية لا ريب فيها، وأنّها معركة يكون كلّ شيء فيها معنا، حتّى الحجر والشجر ينطق، هل ينطق بلسان الحال أم بلسان المقال؟ ليس بعيداً وليس

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٩٣)، ومسلم في الفتن (٢٩٢١)، عن ابن عمر.

عجيبًا على الله أي شيء، المهم أن كل شيء سيكون مع المسلمين. ولكن متى؟ حين يدخلون المعركة تحت شعار العبودية لله، وتحت راية الإسلام يرفعونها: «فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله».

نحن لا زلنا نقاتل من أجل القضية (عربًا)، ندخل المعركة عربًا ولم ندخلها مسلمين بعد. نحن نناضل ولسنا نجاهد. إنه النضال المسلح، وليس الجهاد في سبيل الله. يوم تُرفع راية الجهاد، هناك سيُلَقَّن اليهود درسهم، سيعرفون من هم المسلمون.

إنهم اليوم يتغرسون ويتجبرون، ورغم ما عرض لهم من فرص السلام، ورغم التسامح والتساهل الذي لم يكونوا يحلمون به، ولم يكن أحد يتصوّره، رغم هذا كلّه فإنّهم متعجرفون، سادرون في غلوائهم، ماضون في كبريائهم، حتّى كان ما كان، من قرار إعلان القدس عاصمة أبدية لهم!

قدس المسلمين، قدس بيت المقدس، قدس المسجد الأقصى، قدس قبة الصخرة، يعلنونها عاصمة أبدية لهم! ويوافق عليها كنيسهم أو برلمانهم، والمسلمون يحتجون بمجرد الكلام!

ألف مليون لو صرخوا جميعًا لبلغت صراخاتهم عَنان السماء!

كان جمال الدين الأفغاني يقول للمسلمين في العالم: لو كنتم ذُبابًا لدوّى طنينكم في أنحاء العالم! ولم يكن المسلمون يبلغون هذه القوّة.

ألف مليون ولكن مزّقهم بَعدهم عن الإسلام.

القوّة العددية البشريّة لم ننتفع بها. القوّة المادية أين تذهب؟ أين

تذهب الأموال؟ أين تذهب الثروات؟ إنها السرقات والرّشاش، واستغلال النفوذ، وأكل أموال الناس بالباطل، وبعثرة الأموال ذات اليمين وذات الشمال. إنها النقود تذهب إلى بنوك العالم ومعظمها يهوديّة. إنها الأرصدة تذهب إلى أوروبا وأمريكا، إنها الأموال تخرج إلى بلاد غير بلاد الإسلام.

إنّ شخصًا واحدًا سُرقت منه مجوهرات إحدى زوجاته الأربع؛ فكانت مُقدّرة بعشرين مليون جنيه! مجوهرات زوجة بعشرين مليون جنيه سُرقت، لماذا؟ لأنّها أموال جاءت بلا جَهد، ولا تعب ولا معاناة، وهناك في بلاد المسلمين بلاد يقتلها الجوع، يُطوّقها حزام الجوع، يموت الإنسان فيها من الجوع، أي لا يجد ما يأكله ولا يشربه حتّى يسقط! في بعض بلاد المسلمين يتصارع الكلب والإنسان من المجاعة، فإذا انتصر الكلب على الإنسان أكل الإنسان، وإذا انتصر الإنسان على الكلب عاف أن يأكل الكلب ومات جوعًا!

مع هذا هناك ملايين، عشرات الملايين، مئات الملايين، آلاف الملايين، إما مكنوزة معطّلة، وإما مضيّعة مبعثرة.

قالوا: إنّ عمر بن عبد العزيز بلغه أنّ ابنًا له اشترى خاتمًا فضّه بألف درهم. فأرسل إليه كتابًا يقول له: أمّا بعد، فقد بلغني أنك اشتريت خاتمًا فضّه بألف درهم، فإذا بلغك كتابي هذا فبعه، وأطعم بثمنه ألف جاع، واشتر خاتمًا فضّه من حديد واكتب عليه: رحّم الله امرأً عرف قدر نفسه<sup>(١)</sup>!

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٨٩/١٠).



## القوة المادية:

عندنا ثروات، عندنا معادن، عندنا بترول، عندنا تكامل اقتصادي، ولكننا - حتى اليوم - نعتمد على أعدائنا.

بلاد المسلمين بلاد زراعية، ومع هذا الخبز اليومي.. القوت الرئيسي ليس عندنا ما يكفي، ما يسدّ احتياجاتنا! لو أنّ الذين يعطوننا القمح أو الدقيق كفّوا أيديهم عنّا لهلكنا جميعاً. في السودان عشرات الملايين من الأفدنة تحتاج إلى من يزرعها.

هناك تكامل بين بلاد المسلمين، ولكن تمزّق المسلمون، ولم يستفيدوا من ثرواتهم، حتّى القوت لسنا فيه سادة أنفسنا.

والسلاح الذي به ندافع عن أنفسنا، هل نصنع سلاحنا؟ إنّ معظم أسلحتنا مستوردة، إمّا من الشرق وإمّا من الغرب. كيف نستطيع أن ندافع عن أنفسنا ونحن لا نصنع سلاحنا؟ أمّة سورة «الحديد» لا تصنع الحديد! الأمّة التي أنزل الله عليها سورة باسم الحديد، وفيها هذه الآية: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥] ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ إشارة إلى الصناعات الحربيّة، ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى الصناعات المدنية، وللأسف لا زلنا عالمة في الصناعات العسكرية والصناعات المدنيّة، لو كفّوا أيديهم عنّا لوقفنا مشلولين.

هذه هي القوة المادية.

## القوة الروحيّة والفكريّة:

الإسلام الذي هو مصدر قوتنا الروحيّة والفكريّة، والذي به جعلنا الله أمّة الأمم، وملّكنا كرسي الأستاذيّة، وتبوّأنا به مقعد الزعامة والشهادة

على الناس ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. هذا الإسلام الذي هو مصدر قوتنا هل طبّقناه في حياتنا؟ هل طبّقناه في حياتنا عقيدةً وعبادةً، وخلقًا وسلوكًا، وتشريعًا ونظامًا كاملًا للحياة: في الاقتصاد، في الاجتماع، في السياسة، في العلاقات الدولية؟! هل طبّقنا الإسلام في كلّ جوانب الحياة؟ أم لا زال الإسلام يُطارَد ولا زال دُعاة الإسلام يُضطهدون؟

إنّ الإسلام يعيش غريبًا في دياره، يعيش مضطهدًا في أهله. نرى من أبناء المسلمين - ممّن وُلدوا في أرض الإسلام، ومن آباء مسلمين وأمهات مسلمات - من يتحدّى هذه الشعائر الإسلاميّة الأساسيّة. نرى هناك من يترك الصلاة، وإذا دعوته إليها قال لك: خُذني على جناحك! ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾ [المرسلات: ٤٨]، ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ٥٨]. إنّ الله وصف المنافقين بأنهم: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى ﴾ [النساء: ١٤٢].

فما بالكم بمن لا يقوم إلى الصلاة أبدًا، لا نشيطًا ولا كسلان، ويتسمّى بمُحمّد وأحمد، وعليّ وحسن وحسين؟! ما بالكم بمن يقضي عمره ولم ينحن لله يومًا راکعًا، ولم يُعفّر جبهته يومًا لله ساجدًا؟ ومع هذا يجد من المسلمين من يعامله، من يصادفه، من يصادقه، من يُصاحبه ويُماسيه، من يوظّفه عنده، من يزوّجه ابنته، وكان ينبغي للمجتمع الإسلامي أن يحاصره حصارًا أبدئيًا، أقلّ المراتب: أن يغيّر المنكر بقلبه، ومظهر ذلك «المقاطعة»، وذلك أضعف الإيمان.

الإسلام قوّة رُوحية لنا ولا زلنا نتعد عنه.

في رمضان: نرى المنتهكين لحرمة رمضان!



## الزكاة:

أين أموال الأغنياء؟ لو أخرج الأغنياء زكاة أموالهم، ما بقي فقير ولا مسكين في بلاد المسلمين.

لماذا تجد الشيوعيّة ضحايا وفرائس لها في بلاد المسلمين؟

لأنّ هناك قومًا احتجزوا الأموال لأنفسهم، واحتزنوها، واحتفظوا بها، وعاشوا يتمتّعون بها، وبجوارهم المحرومون الذين لا يجدون ما يطفئ الحرق، أو يمسك الرمق. هكذا نجد من يملك الملايين ومن لا يملك الملايين، هكذا نجد من يعيش في القصور، ومن لا يجد غرفة لأولاده، هكذا نجد من يضع يده على بطنه يشكو زحمة التُّخمة من كثرة ما أكل، وآخر يضع يده على بطنه يشكو عضّة الجوع.

هكذا نجد في بلاد المسلمين.

## أين من يؤدّون الزكاة؟

إنّ الله عاقب كثيرًا من بلاد المسلمين، بما يسمونه بالمبادئ اليسارية أو الاشتراكية أو الماركسية. الله طلب منهم أن يخرجوا ربع العشر، فشحّوا بذلك وبخلوا، فسلبّ الله عليهم من يصادر أموالهم، ولا يكتفي منهم بربع عشر ولا بعشر ولا بخمس. بل من يأخذ مالهم كلّ.

## أيّها الإخوة المسلمون:

إنّنا نحن المسلمين نملك مصادر القوّة، ولكنّا للأسف لم نستفد بها، إنّنا إذا أردنا حقًا أن نكون أقوىاء في هذا العالم، وأن نكون الكتلة الثالثة - بل الأوّلى - فعلينا أن نعود إلى الإسلام، علينا أن نعود إلى رسالة

مُحَمَّدٌ ﷺ. ومعنى أن نعود إلى الإسلام: أي أن نستمسك بالإسلام استمسكاً صادقاً، لا يكفي أن تقول: أنا مسلم، وكلّ أعمالك تكذب لسانك. المسلم حقاً من يعمل بالإسلام، ويعمل للإسلام: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

إنّ عمر قال كلمة، حين خاض مخاضة صادفته، وهو ذاهب إلى الشام، فنزل عمر عن بعيره، ونزع خفيّه، ثم أخذ بخطام راحلته، وخاض المخاضة، وقال له أبو عبيدة: لماذا فعلت ذلك يا أمير المؤمنين؟ هؤلاء الناس يحتاجون إلى مظاهر الأبّهة. فقال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! إنّنا كنّا أذلّ قوم فأعزّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزّة بغيره أذلّنا الله<sup>(١)</sup>!

اطلبوا العزّ بالرجوع إلى الإسلام كلّ الإسلام، استمسكوا بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

إنّ الأمل معقود على هذا الشباب، على هذا الجيل الجديد، الذي عرف ربّه وعرف نفسه، وبدأ يعود إلى الإسلام في كلّ قارّات الدنيا، هذا الشباب الصّوام القوام، الذين أحيوا السنن المهجورة. كانت المرأة المسلمة لا تحضر العيد كما كانت في عهد النبي ﷺ، فأحضروا النساء في العيد. كانت سنّة الاعتكاف قد ماتت أو كادت تموت، فإذا بعشرات ومئات الشباب في سائر القرى والمدن والبلدان والأقطار: يحيون سنّة الاعتكاف.

هؤلاء الشباب الذين أعادوا إلى الأمة الثقة بدينها، هؤلاء هم الأمل، الأمل بانتصار الإسلام.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

فكونوا مع هذا الشباب، لا تخافوا عليهم، ولا تخافوا منهم، شدوا أزرهم، أرشدوهم، سدّدوهم، قوّوهم، أعينّوهم، تبرّعوا لهم، قولوا لهم: الله معكم، فهو لاء هم أمل الأمة، هم الذين سيحرّرون القدس، هم الذين سيحرّرون بلاد الأفغان، هم الذين سيحرّرون الفلبين، سيحرّرون إريتريا، سيحرّرون سوريا، سيحرّرون كل بلاد الإسلام، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

### أيها الإخوة والأخوات في الإسلام:

هذا يوم من أيام الله، هذا يوم العيد، فلنجعل هذا اليوم موثقاً بيننا وبين ربنا. بعض الناس يعتقد أنّ رمضان هو شهر الطاعة، فإذا ولّى ولّت معه الطاعة.

رمضان ولّى هاتها يا ساقِي مشتاقَةٌ تسعى إلى مُشْتاقٍ<sup>(١)</sup>!

بعض الناس يتعبدون لله في هذا الشهر، فإذا انتهى الشهر قطعوا الحبال التي بينهم وبين الله. من كان يعبد رمضان فإنّ رمضان قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت.

علامة العبد المقبول في رمضان: أن يظلّ مستمراً على الطاعة بعد رمضان، وعلامة المخذول: أن يرجع بعد رمضان إلى طريق الشيطان.

إنّ رمضان يعطيك زاداً تستفيد منه طوال العام، يشحن بطاريّتك الفارغة حتّى تسير على هدى من الله.

فيا أيّها الإخوة: استفيدوا من رمضان، وأبقوا الصلّة التي اكتسبتموها مع الله، وكونوا مع الله يكن الله معكم، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٧٧/٢)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

من لم يخرج زكاة الفطر فليخرجها، يخرجها لصناديق الجماعة الإسلامية. تبرّعوا لأبناء الجماعات الإسلامية.. لأمل الأمة، تبرّعوا لهم، أعينوهم على مشروعاتهم الإسلامية الخيرة.

### أيها الإخوة:

من السُّنَّة: من جاء من طريق فليرجع من طريق آخر إذا تيسَّر له<sup>(١)</sup>. وكان السلف إذا هَنَّا بعضهم بعضًا بالعيد قالوا له: تقبَّل الله منا ومنكم، فتقبَّل الله مِنَّا ومنكم.

اللهم تقبَّل صيامنا وقيامنا، واغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم أكرمنا وأُمَّة الإسلام، اللهم أكرمنا ولا تهنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وارضَ عنَّا وأرضنا، اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة أعداء الإسلام هي السفلى. اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم عليك باليهود المعتدين، اللهم عليك بالشيوعيين الملحدين، اللهم عليك بالصليبيين المستعمرين، اللهم عليك باللادينيين، اللهم عليك بالبعثيين النصيريين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، اللهم ردَّ عنَّا كيدهم، وفلِّ حُدَّهم، اللهم إنَّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم أدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين. اللهم انصر إخوتنا في أفغانستان، وانصر إخواننا في سوريا، اللهم انصر إخواننا في الفلبين، اللهم انصر إخواننا في أريتريا، اللهم

(١) رواه البخاري في الجمعة (٩٨٦)، عن جابر بن عبد الله.



انصُرْ إِخْوَانَنَا فِي فَلَسْطِينَ، اللَّهُمَّ أَيَّدْهُمْ بِرُوحٍ مِنْ لَدُنْكَ، اللَّهُمَّ احْرَسْهُمْ  
بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَاكْلَأْهُمْ فِي كَنَفِكَ الَّذِي لَا يَضَامُ، اللَّهُمَّ افْتَحْ لَنَا  
فَتْحًا مَبِينًا، وَاهْدِنَا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَانصُرْنَا نَصْرًا عَزِيمًا، وَأَتَمِّ عَلَيْنَا  
نِعْمَتَكَ، وَأَنْزِلْ فِي قُلُوبِنَا سَكِينَتَكَ، وَانصُرْ عَلَيْنَا فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا عَبِيدُ إِحْسَانٍ لَا عَبِيدَ امْتِحَانٍ، فَعَامِلْنَا بِفَضْلِكَ وَلَا تَعَامِلْنَا  
بِأَعْمَالِنَا، وَلَا تَهْلِكْنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا، وَلَا تَسَلِّطْ عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا مِنْ  
لَا يَخَافُكَ وَلَا يَرْحَمُنَا.

رَبَّنَا اجْعَلْنَا مَقِيمِي الصَّلَاةِ وَمَنْ ذُرِّيَّتِنَا، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دَعَاءَ. رَبَّنَا اغْفِرْ  
لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا  
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ  
رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. اللَّهُمَّ آمِينَ.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ  
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

\* \* \*





## خطبة عيد الأضحى في مصر

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ:

هذا يوم العيد، هذا يوم العيد الأكبر، هذا يوم عيد التضحية والفداء، هذا يوم الحج الأكبر، يوم النحر، يوم التسبيح، والتهليل، والتكبير، والتحميد، والتلبية لله تبارك وتعالى، يوم يقف الحجاج لله سُبْحَانَ اللَّهِ، قادمين من كُلِّ فَجٍّ عميق، راجلين وعلى كل ضامر، ينادون: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمَلِكُ لا شريك لك».

### المعاني الإيمانية في أعياد المسلمين:

إِنَّ الأُمَّمَ قد عرفت الأعياد، ولكنها كثيراً ما ربطت الأعياد بأشواق ملوكها أو حكامها أو أمرائها، وكثيراً ما ربطتها بأمور دُنْيَاهَا، وكثيراً ما جعلت الأعياد فرصة لامتلاك الشهوات بلا قيود ولا حدود، وحينما يأتي العيد تدور الكؤوس، وتدور معها الرؤوس، ولكن أعياد الإسلام لها معنى آخر، وشأن آخر.

شرع الله للمسلمين عيدين في العام، كلُّ عيد منهما بعد فريضة من الفرائض، وبعد شعيرة من الشعائر الكبرى في هذا الدين، عيد الفطر يأتي بعد صوم رمضان، بعد جوع وظمأ لله تعالى شهراً كاملاً،

«يَدَعُ طَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، وَيَدَعُ شَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي، وَيَدَعُ زَوْجَتَهُ مِنْ أَجْلِي، وَيَدَعُ شَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، فَالصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»<sup>(١)</sup>، هكذا قال الله تعالى في الحديث القدسي. وكان عيد الفطر جائزة من الله تعالى لعباده، بعد صوم رمضان.

ويأتي عيد الأضحى بعد فريضة أخرى، وعبادة أخرى من كُبريات العبادات في الإسلام، بعد حج بيت الله الحرام، تلك الشعيرة العالمية التي تجمع المسلمين من مختلفي الأجناس، ومختلفي الألوان، ومختلفي الأوطان، ومختلفي اللغات، ومختلفي الطبقات، يجمعهم نداء واحد وحذاء واحد: «لبيك اللهم لبيك»!

يجمعهم بيت واحد يطوفون حوله!

تجمعهم شعيرة واحدة وقبله واحدة، بعد هذه الشعيرة يوم الحج الأكبر، هذا عيد المسلمين.

### اللهو البريء والترويح عن النفس:

أعيادنا نحن المسلمين ليست أعياد امتلاك للشهوات، وإن كان فيها ترويح عن نفس، وإباحة للهو البريء، كما قال النبي ﷺ لأبي بكر وقد نهر جاريتين تُغنيان في بيت رسول الله ﷺ، قال: «دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد»<sup>(٢)</sup>، «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، وأني بُعثت بحنيفة سَمحة»<sup>(٣)</sup>.

(١) سبق تخريجه ص ٢١٣.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٩٨٧)، ومسلم (٨٩٢)، كلاهما في صلاة العيدين، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (٢٤٨٥٥)، وقال مخرجه: حديث قوي، وهذا سند حسن. وحسنه ابن حجر في تغليق التعليق (٤٣/٢)، والألباني في الصحيحة (٢٩٢٤)، عن عائشة.

لم يدع الإسلام هذه الفرصة للناس دون أن يُروّحوا عن أنفسهم، وأن يفرحوا بالعيد، وإنما سُمّي العيد عيداً؛ لعودة الفرح، وتكرّر السرور فيه. وإنما يفرح الناس هنا في عيد الإسلام بفضل الله، وحسن التوفيق لطاعة الله، ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

### المعنى الربّاني والمعنى الإنساني:

أعيادنا نحن المسلمين فيها المعنى الربّاني: فأوّل ما يبدأ العيد يبدأ بالتكبير: في ليلة عيد الفطر: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰنٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفي عيد الأضحى منذ فجر يوم عرفة بعد الصلوات، ومنذ عشر ذي الحجة التكبير المطلق! زينة أعيادنا التكبير، لا يهتف المسلمون يوم أعيادهم باسم شخص، ولا باسم زعيم، وإنما باسم الله وحده، تهليل وتكبير وتحميد! هذه هي أعيادنا، «الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلاّ الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد».

### أعيادنا ربّانية:

نبدأ اليوم بصلاة لله تعالى، صلاة جامعة يجتمع فيها المسلمون في صورة مهرجان إسلامي، وقد سنّ لنا رسول الله ﷺ صلاة العيد في الخلاء؛ حتّى يجتمع فيها أكبر عدد ممكن، كان في أيّام النبي ﷺ تجتمع المدينة كلها في العيد، في مصلى العيد، يخرج الرجال والصبيان والنساء حتّى الحَيْضُ منهن، التي لا صلاة عليها، كان النساء الحَيْضُ يحضرن مهرجان العيد، يشهدن الخير ودعوة المسلمين، يرين هذا المهرجان، هذا المؤتمر الإسلامي، المُهَلَّلُ المكبر الحامد المسبح لله ﷻ، أيّ صورة أجمل من هذه الصورة؟ أيّ مظهر أروع من هذا المظهر؟ لا أعراض

يبتغونها، لا مال يأخذونه، لا الرغب والرهب؛ إلا الرغب فيما عند الله،  
والرهب ممّا عند الله!

هذه هي أعيادنا، أعياد ربّانيّة، صلاة وتهليل وتكبير وتحميد لله ﷻ.

### أعياد إنسانيّة:

لم ينس الإسلام المعنى الإنساني، معنى أنّ الإنسان في حاجة إلى  
أن يفرح، إلى أن يُسرّ؛ لهذا شرع العيد، شرع العيد للمسرّة، وللفرح،  
وشرع معه أيضًا شيئًا آخر، لا يجوز للإنسان أن يفرح وحده، لا يجوز  
للإنسان أن يأكل وحده وبجواره جائعون، بجواره من يئن من الجوع  
أنين الملسوع، لا يجوز لك أيّها المسلم أن تجمع مائدتك من الأطعمة  
أطيبها، ومن الأشربة أعذبها، وبجوارك من لا يجد القوت، هنا شرع  
الإسلام في عيد الفطر زكاة الفطر، طهرةً للصائم من اللغو والرفث،  
وطعمة للمساكين، «أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم»<sup>(١)</sup>، المسكين  
لا يسأل عن الغني الموسر، وإنّما الغني الموسر يسأل عنه، ويطوف  
ببيته، ويبحث عنه ليعطيه الزكاة؛ طهرةً له من اللغو والرفث، وإغناءً  
لهذا المسكين.

شرع الإسلام في عيد الفطر زكاة الفطر، لتعمّ الفرحة الفقراء، وشرع  
الإسلام في عيد الأضحى الأضحية، حتّى لا يأكل الموسر اللحم وحده،  
وهناك من لا يأكل سوى الخبز الجاف، شرع الأضحية وجعلها سنّة  
مؤكدة، ورأي الإمام أبي حنيفة أنّها واجبة على أهل اليسار من المسلمين.  
شرع الإسلام هذه الأضحية ليأكل الإنسان منها، ويُطعم البائس

(١) رواه الدارقطني في زكاة الفطر (٢١٣٣)، والبيهقي الزكاة (١٧٥/٤)، عن ابن عمر.

الفقير، والسُّنَّة أن يُقسِّمها أثلاثًا: يأكل ثلثها هو وأهله، ويهدي ثلثها لمن يحب من أقاربه وجيرانه وأصدقائه، ويتصدق بثلثها!

ولو تصدَّق بها كلُّها لكان أفضل؛ إلا أشياء يأكلها تبرُّكًا، ولو أكلها كلُّها لأجزته الأضحية، ولكن الأضحية يقدمها المسلم لله تبارك وتعالى.

كان المشركون يذبحون في الأعياد لأصنامهم، لهبَل، للات، للعزى؛ فجاء الإسلام ليقول: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ \* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١، ٢] انحر لربِّك، واذبح لربِّك، لا لآلهة مُزيِّفة، ولا لأصنام مثل التي كانوا يعبدونها من دون الله.

جاء الإسلام وشرع الأضحية، لتعلو أعياد المسلمين على أعياد المشركين، ليذبح المسلم لله وباسم الله، ومن هنا يذبح بيمينه ويقول: «باسم الله والله أكبر، اللهم هذا منك ولك، اللهم تقبل مِنِّي»<sup>(١)</sup>.

شرع الإسلام الأضحية في يوم العيد، ولا يجوز أن يكون الذبح قبل صلاة العيد، من ذبح قبل صلاة العيد فشاته شاة لحم، وإنما السُّنَّة أن يكون الذبح بعد صلاة العيد، هكذا شرع لنا رسول الله ﷺ.

### الأضحية تخليد لذكرى البطولة الإيمانية:

هذه التضحية تذكير لموقف تاريخي، من مواقف البطولة الإيمانية، أراد الإسلام أن يُخلد هذا الموقف، هذا الموقف هو موقف أبينا إبراهيم وابنه إسماعيل، إنَّ إبراهيم قد اتخذ الله خليلاً، ولكن إبراهيم رُزق بولده

(١) رواه أحمد (١٥٠٢٢)، وقال مخرجه: إسناده محتمل للتحسين. وأبو داود في الضحايا (٢٧٩٥)، وابن ماجه في الأضاحي (٣١٢١)، وابن خزيمة (٢٨٩٩)، والحاكم (٤٦٧/١)، وصححه، ووافقه الذهبي، كلاهما في المناسك، عن جابر.

إسماعيل، رُزِقَ بإسماعيل بعد الكبر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. رُزِقَ بعد تشوُّفٍ وتشوُّقٍ ودعاء، ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصفات: ١٠٠]، رُزِقَ بإسماعيل بعد أن بشرته به الملائكة، ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصفات: ١٠١]، وجاء إسماعيل، وتعلَّق قلب الأب بابنه، وكلَّما نما وكبر نما حُبُّه في قلب أبيه، ولكنَّ الله ﷻ يغار على قلوب أصفیائه، أراد أن يمتحن إبراهيم؛ هل قلبه لله تعالى أم أشرك مع حبه لله تعالى ولده، فكانت المحنة، وكان الابتلاء، وكانت الرؤيا. رأى في المنام أنه يذبح ولده، وتكررت الرؤيا، وفهم إبراهيم الإشارة: أن الله تعالى يأمره بذبح ابنه قرباناً إلى الله، ورؤيا الأنبياء حقٌّ ووحى، وفعلاً لم يتلکَّ إبراهيم، وجاء بابنه بعد أن بلغ معه السعي، وأصبح يُرجى منه النفع، وقال: ﴿يَبْنِيْ اِنِّيْ اَرَى فِي الْمَنَامِ اِنِّيْ اَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ وهنا أن الولد سرُّ أبيه، ومن يشابه أباه فما ظلم، ماذا قال الولد؟ قال: ﴿يَتَابَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ﴾ [الصفات: ١٠٢]، لم يقل: «افعل بي ما تؤمر»؛ لأنه نسي نفسه، نفي عن ذاته، كلُّ ما يهمه أن يُنفذ أمر الله تبارك وتعالى.

﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ﴾ لم يدع البطولة، ولم يدع الشجاعة، وإنما وكل الأمر إلى مشيئة الله، استند إلى هذا الجدار المتين، إلى هذا الحصن الحصين، وقال: ﴿سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ﴾.

﴿فَلَمَّا اسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِيْنَ﴾ [الصفات: ١٠٣] أسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عنقه، أي عظمة أعظم من هذه العظمة؟ إنَّ عظمة موقف الوالد الذي سلّم ولده وفلذة كبده لا يكافئها إلا روعة موقف الولد، الذي سلّم رأسه ورقبته لله!

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ وأراد أن يذبح، هناك نجح في الامتحان، وجاءه الفرج من السماء: ﴿يَتَابِرْهِيمُ﴾ \* قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَاءُ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ \* وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿ [الصفات: ١٠٤ - ١٠٧] فداه الله بذبح عظيم، بكبش عظيم، ذبحه إبراهيم، وكانت سنة من بعده. ونحن حين نُضَحِّي نذكر هذه السنة، السنة الجليلة، سنة أبينا إبراهيم في التضحية.

### أحوال المسلمين لا تجعل فرحتنا تكتمل:

هذه أعيادنا أيها الإخوة، أعياد ربانية، وأعياد إنسانية، فرصة لأن نفرح فيها ونُسِرَّ، وإن كانت أحوالنا نحن المسلمين لا تدع لنا فرصة ليكتمل لنا السرور، ويكتمل لنا الفرح، ومصائب المسلمين في كل مكان، بلايا المسلمين في كل مكان، في بلاد الإسلام، في الشرق والغرب، والشمال والجنوب، المسلمون الذين يُذَبَّحون في أفغانستان، المسلمون الذين يتقاتلون في لبنان، المسجد الأقصى أسير في أيدي اليهود، المجاعات في البلاد الإسلامية، المسلمون متقاتلون في الخليج، يسفك بعضهم دم بعض، ما نراه من تمزق في الأمة الإسلامية، وتخلُّف عن الهوية الإسلامية والذاتية الإسلامية، هذا كله، يجعل الفرح لا تكتمل، يجعل السرور لا يتم لنا، ومن هنا جاءت الأعياد ونحاول أن نفرح ونحاول أن نبتم ملء أفواهنا ولا نستطيع.

قالوا: عَجِبْنَا مَا لِشِعْرِكَ بَاكِيًا      فِي الْعِيدِ مَا هَذَا بِشَأْنٍ مُعَيَّدٍ؟!  
مَا حِيلَةُ الْعَصْفُورِ قَصُّوا رِيشَهُ      وَرَمَوْهُ فِي قَفْصٍ وَقَالُوا غَرَّدِ<sup>(١)</sup>

(١) انظر: الأعمال الكاملة للشاعر محمود غنيم (١٠٣/١)، نشر دار الغد العربي، ١٩٩٣م.

كيف يستطيع أن يغرد؟ طائر مقصوص الجناح، المحبوس في القفص لا يستطيع أن يغرد، لا نستطيع أن نغرد، ولا نستطيع أن نمتلئ سرورًا وأن نبتسم الابتسامة العريضة وهذه أحوال المسلمين.

كان المسلمون في الزمن الماضي كلّموا رأوا الفساد، وكلّموا رأوا الانحراف، وكلّموا رأوا المنكر شائعًا والمعروف ضائعًا بكوا، وقال قائلهم:

هذا الزمانُ الَّذِي كُنَّا نَحَاذِرُهُ      فِي قَوْلِ كَعْبٍ وَفِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ  
إِنْ دَامَ هَذَا وَلَمْ تَحْدَثْ لَهُ غَيْرٌ      لَمْ يُبَكِّ مَيِّتٌ وَلَمْ يُفْرَحْ بِمَوْلُودٍ<sup>(١)</sup>

كيف لو عاشوا إلى زماننا؟ كانت عائشة رضي الله عنها تُنشد بيت لبيد بن ربيعة:  
ذهب الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ      وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ كَجَلِدِ الْأَجْرَبِ<sup>(٢)</sup>

وتقول؛ وقد عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو خمسين سنة، تقول: رحم الله لبيدًا، كيف لو عاش إلى زماننا هذا؟ وكان بعدها ابن أختها عروة بن الزبير وأسماء بنت أبي بكر، كان ينشد هذا البيت ويقول: رحم الله لبيدًا، ورحم الله عائشة، كيف لو عاشا إلى زماننا هذا<sup>(٣)</sup>؟

ماذا نقول نحن في هذا الزمن الَّذِي ظهر فيه الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي النَّاسِ، وَالَّذِي تَمَزَّقَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ شِيْعًا وَأَحْزَابًا يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؟ حَتَّى كَأَنَّ أَحْصَى أَوْصَافَهُمْ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ الْيَهُودَ قَبْلُ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]. لم يعودوا أدلة على المؤمنين

(١) من شعر أبي سهل سعيد بن عبد الله الثكلي. انظر: اللطائف والظرائف للثعالبي ص ١٧٦، نشر دار المناهل، بيروت.

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة ص ٢٦، اعتنى به حمدو طمّاس، نشر دار المعرفة، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٣) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (٢٠٤٤٨).



أعزّة على الكافرين، بل أصبح وصفهم العكس، فهم رحماء على غيرهم، أشداء على أنفسهم، أشداء بعضهم على بعض، ماذا نقول؟ رحم الله لبيدًا، ورحم الله عائشة، ورحم الله عروة، كيف لو عاشوا إلى زماننا هذا؟!

### أنوار الصحوة الإسلامية:

ولكنّي أيّها الإخوة لا أحب أن أوئسكم، ولا أحب أن نرى الأمور من المنظار القاتم الأسود، وبجوار هذا الليل ينشق الفجر، بجوار هذا الظلام نرى أضواء تسطع في كل مكان، أنّها أضواء الصحوة الإسلامية التي نشهد فجرها، ونراها، أنوارها مشرقة في كل الأصقاع، هذه الصحوة الإسلامية التي شهدناها في بلاد المسلمين، وشهدناها في غير بلاد المسلمين، شهدناها والله في أوروبا وأمريكا وبلاد الشرق الأقصى؛ حيث لا توجد دار الإسلام؛ ولا عالم الإسلام، وإنما توجد جاليات وأقليات. رأينا هذه الصحوة في هذا الشباب المؤمنين القائمين الصائمين السائحين العابدين الحامدين الراكعين الساجدين الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والحافظين لحدود الله.

الصحوة الإسلامية هي التي تملؤنا أملًا بالمستقبل، تملؤنا أملًا بأن هذه الأمة إلى خير.

سيظل هذا الدين قائمًا، ستظل طائفة من هذه الأمة قائمة على الحق، قائمة على أمر الله، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك<sup>(١)</sup>، ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

(١) روي في ذلك عدة أحاديث، منها: «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك». متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية.



## المسلمون إلى خير:

الإسلام إلى خير ولو كره الكافرون، وسيظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون.

الصحة الإسلامية حقيقة واقعة، نراها في المساجد، نراها في مواسم الحج، نراها في العمرة، نراها في الكتب الإسلامية، نراها في الالتزام الإسلامي، نراها في التزام الحجاب، بعد أن مرت فترة ما كنا نرى فيها فتاة محجبة، بل لم نكد نرى عجوزا محجبة، هذه كلها من مظاهر الصحة الإسلامية.

مظاهر الصحة الإسلامية نراها ونسمعها في كل الآفاق، تنادي بتطبيق الشريعة الإسلامية، الصيحات تتجاوب في كل أصقاع الإسلام أنه لا بدّ من تطبيق الشريعة الإسلامية، لا بدّ من العودة إلى تحكيم شرع الله وَعَلَىٰ، لا بدّ أن ترجع هذه الأمة إلى هويتها! لقد ظلت الشريعة حاکمة لهذه الأمة ثلاثة عشر قرنًا، حتّى دخل الاستعمار بلاد المسلمين، فطرد التشريع الإسلامي، وأقام التشريع الوضعي.

## وجود انحرافات في التطبيق لا يعني إلغاء الشريعة:

كان هناك انحرافات في التطبيق، كان هناك حكام اتبعوا أهواءهم، ولكنهم لم يلغوا شريعة الله! لم يكن أحد يستطيع أن يرفض حكم الشرع فيتبع هواه! قد يجور، قد يظلم، قد يأكل المال بالباطل، وقد يقتل بالظنة والشبهة، ولكن الشريعة كانت هي الدستور، كانت هي مرجع الفتوى، ومرجع القضاء، ومرجع الحكم، هذه حقيقة لا شبهة فيها. الكل كان ينحني أمام نصوص هذه الشريعة، حتّى حكوا عن الجبار والطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي الذي عرف التاريخ من جبروته ما عرف، أنه حبس يومًا رجلًا

بغير جريرة؛ إلا أن أحد أقاربه طُلب ليؤخذ إلى السجن، ولم يوجد قريبه فأخذ مكانه، ولما مثل بين يدي الحجاج قال له الحجاج: ما شأنك؟ قال: جنى جانٍ من عرض العشيرة، وأخذتُ بجريرته بغير ذنب جنيته.

فقال له الحجاج: أما قرأت قول الشاعر:

جانيك من يجني عليك وقد تُعدي الصّحاح مَبَارِكُ الجُزْبِ  
ولرُبِّ مأخوذٍ بذنبٍ عشيرةٍ ونجا المُقارِفِ صاحبُ الذنبِ<sup>(١)</sup>!

فقال الرجل: ولكنني أيها الأمير سمعتُ الله تعالى يقول غير ما قال الشاعر.

فلم يملك الحجاج الطاغية المتجبر إلا أن يسأل الرجل: وماذا قال الله تعالى؟ هنالك قرأ عليه الرجل من سورة يوسف قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متعنا عنده إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿[يوسف: ٧٨، ٧٩]، ﴿وَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ وَنُزْرُ أَخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]. فانزعج الحجاج وقال لهم: خلوا سبيله، أطلقوا سراحه، ونادوا في الناس: صدق الله، وكذب الشاعر<sup>(٢)</sup>. الحجاج لا يستطيع أن يتحدّى نص القرآن!

### أثر الاستعمار في تغييب الشريعة:

ظلت الشريعة هي أساس الحكم، وأساس التشريع، وأساس القضاء، وإن انحرف عنها المنحرفون، حتى جاء الاستعمار ودخل

(١) هو ذؤيب بن كعب، كما في نشوة الطرب لابن سعيد الأندلسي ص ٤٢٩، تحقيق د. نصرت عبد الرحمن، نشر مكتبة الأقصى، عمان.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه (٢٧٧/٥)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

إلى بلاد المسلمين، وغير وبدل: أدخل القوانين الوضعية المستوردة من بلاده إلى ديارنا، في مصر، في الهند، في بلاد المغرب، في كل أرض دخلها الاستعمار، والاستعمار دخل بلاد المسلمين كلها ما عدا جزيرة العرب.

### المطالبة بتطبيق الشريعة:

الآن والحمد لله يتنادى الجميع بتطبيق الشريعة الإسلامية، الكل، لا يستطيع أحد أن يقول: إننا نرفض الشريعة الإسلامية، الأحزاب يوم دخلت في الانتخابات كان في قائمتها وكان في إعلاناتها وكان في بياناتها: التنادي بتطبيق الشريعة الإسلامية، لا نجد أحدًا في مصر يرفض رفضًا صريحًا الشريعة الإسلامية، وإنما يقولون: أعطونا مهلة، أنها ضرورة للتنظيم، لا بد من التدرج، ونقول لهم: إننا لسنا ضد التدرج، التدرج سنة كونية، وسنة شرعية، ولكن لا بد أن تكون هناك نية صادقة، وتصميم جازم على تطبيق الشريعة الإسلامية، ودلائل هذا أن توضع خطة للتحويل إلى الشريعة الإسلامية، كل الشريعة الإسلامية، أن توضع مراحل يعرف أولها وآخرها، والآن نبدأ بمرحلة، نبدأ بالتعليم، لا بد أن يكون التعليم منطلقًا من نظرة إسلامية، في المناهج، في الإدارة، نصحب التلميذ من الحضارة إلى الجامعة بفكر إسلامي وتربية إسلامية.

التعليم، والإعلام، لا بد أن ينطلق من الإسلام، الصحيفة والإذاعة والتلفاز والسينما والكتاب لا بد أن تنطلق من الإسلام، هذه كلها لا تحتمل التأجيل، الفكر والثقافة لا بد أن تنبع من الإسلام، هذا ما نريده.

### الخطأ في فهم معنى الشريعة:

وهناك أشياء لا تحتاج إلى التأجيل، لا بدّ أن نبدأ فيها نخطو خطوة خطوة، هذا ما نريده، ولسنا نريد مجرد إقامة الحدود كما يريد بعض النَّاس أن يفهمنا أن الشريعة معناها إقامة الحدود، وللأسف بعض الدعاة إلى الإسلام يكادون يُفهمون النَّاس هذا، فلا تكاد تفهم من كلامهم إلا أن الشريعة قوانين، وأن القوانين هي الحدود، واستغل ذلك خصوم الإسلام وخصوم الشريعة. لا، الشريعة ليست كلها قوانين، والقوانين ليست كلها حدودًا، وهذا ما قلته في العام الماضي، منذ أحد عشر شهرًا حينما كنت في السودان، قلت بأعلى صوتي: إنَّ الشريعة ليست كلها قوانين، وإنَّ القوانين الإسلاميَّة ليست كلها حدودًا، وإنَّ القوانين وحدها لا تصنع المجتمع المسلم، المجتمع المسلم هو الذي يحيا حياة إسلاميَّة متكاملة، حياة توجَّهها عقيدة الإسلام، وتقودها مفاهيم الإسلام، وتسودها أخلاق الإسلام، وتضبطها تقاليد الإسلام، وتحركها مشاعر الإسلام، وأخيرًا تحفظها قوانين الإسلام. لا بدّ من هذا كله!

### العقيدة والمفاهيم الإسلاميَّة:

نريد العقيدة الإسلاميَّة التي تواجه الخرافات الموروثة، والمفاهيم المستوردة!

نريد توحيدًا حقيقيًا، ولا نعرف الله غير الله ربًّا، ولا نتخذ غير الله وليًا، ولا نبتغي غير الله حكمًا!

نريد عقيدة إسلاميَّة!

نريد مفاهيم إسلاميَّة تطارد تلك المفاهيم الواردة المستوردة من الشرق والغرب، ومن اليمين واليسار!



نريد أن نطهر العقلية المعاصرة من هذا الوباء الوافد!

نريد عقلية إسلامية حقيقية!

نريد مفاهيم إسلامية!

### المشاعر والأخلاق الإسلامية:

نريد مشاعر إسلامية، أن يتحرك الناس بشعور إسلامي، شعور الحب في الله والبغض في الله، والموالاة لله والمعاداة لله، والعطاء لله والمنع لله، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]!

نريد أخلاقاً إسلامية: نريد الصدق، نريد الأمانة، نريد العفة، نريد الكرامة، نريد الحياء، نريد النظافة، نريد النظام، نريد التعاون، وهذه الأخلاق هي التي تُخطف من مجتمعاتنا!

للأسف أخذنا أسوأ ما عند الغربيين، وضيّعنا أفضل ما عندنا، وانهارت الأخلاق: أخلاق القرية، الأخلاق المجتمعية الريفية الأصيلة بدأت تدخل عليها أشياء جديدة، تهدم ما كان قائماً!

نريد أن نغرس في الناس الأخلاقية الإسلامية الكريمة، وهذا عمل الدعاة إلى الإسلام مع الشعب، مع الناس جميعاً، أن يعودوا إلى فضاء الإسلام! نريد تقاليد إسلامية، نريد الشارع المسلم المنضبط في دينه، في سلوكه، في بيعه وشرائه، في زواجه وطلاقه، في عرسه ومأتمه، في كل شيء!

نريد الآداب الإسلامية هي الحاكمة بدل مظاهر الرياء الاجتماعي والإسراف الذي يضيع في الأعراس والمآتم والمباهاة الفارغة!

### القوانين الإسلامية سياج يمنع الانحرافات:

نريد أخيراً القوانين الإسلامية التي هي سياج لا بدّ منه، فالقوانين وحدها لا تغني ما لم يكن هناك إيمان منبعث من أعماق القلب؛ لأنّ هذا أمر الله، ولا بدّ أن ينفذ، وأن هذا نهى الله لا بدّ أن يجتنب، نريد الضمير الديني الذي يخاف الله قبل كل شيء.

خرج عمر بن الخطاب إلى الطريق ولم يكن معه أحد، وجاع في الطريق، ولم يكن هناك مطاعم، ورأى راعي غنم يرعى غنمه، فذهب إليه في ثيابه المرقعة - وهو لا يعرف من هذا - وقال له: يا راعي: بعنا شاة من غنمك. فقال له: يا هذا: ليست غنمي، إنّما أنا مملوك، وهذه الغنم لسيدي، لا أملك أن أبيع لك شيئاً منها.

وأراد عمر أن يختبره فقال له: خذ ثمن الشاة، وقل لسيدك: أكلها الذئب. فقال له: يا هذا، فأين الله؟ إذا قلت هذا لسيدي الأصغر فماذا أقول لسيدي الأكبر؟ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]. هذه الضمائر لا بدّ منها، لن يصلح القانون فينا رادعاً حتى نكون ذوي ضمائر تردع.

في الشريعة ليست الحدود فقط، وليست اللجان للقانون فقط، الشريعة متكاملة بكل تعاليمها، نريد حياة إسلامية، وهذا أمر يحتاج إلى جهود، ويحتاج إلى تعاون، ويحتاج إلى عمل مستمر، هذا ما نريده أيها الإخوة.

### مصر رائدة الصحوة الإسلامية:

ومصر هي رائدة الصحوة الإسلامية، وهي أكبر بلاد الله لأن تقود القافلة الإسلامية، وأن يتحقق فيها شرع الله، مصر والأزهر، مصر التي

ردت الصليبيين بقيادة صلاح الدين، وردت التتار بقيادة قطز، وحمى الإسلام طوال القرون!

مصر ستظل إسلامية، مصر: رغم القسوة التي ترونها أحياناً، ورغم الغبار أو الصداً الذي قد يعلو المعدن، ويضل بعض الناس عن حقيقتها، مصر مسلمة مؤمنة، بتاريخها، بفطرتها، بواقعها، هذا الشعب هو شعب مسلم، من أراد أن يعرف مصر فليُنظر إلى هذا الملعب والناس فيه، الذين قدموا زرافات ووحداً مهلين مسبحين ومكبرين، جاؤوا إلى هذا المكان تلبيةً لنداء الله ﷻ، هذا هو المجتمع، ليس الذين على الشواطئ، ليس ذلك العري المفتوح، ليس ذلك اللحم الرخيص المعروض للناس. بل أقول لكم بصراحة: إن وراء هذه الأجساد العارية قلوباً إن سبرتها فستجد وراءها إيماناً، لقد رأيت بتجربتي أن أرجى بلاد الله للإسلام هو هذا البلد، مصر!

### عصاة لا ملحدون:

مصر ليس فيها ملحدون، وإنما فيها عصاة، فيها عاص إذا ذكّرته الله ذكر، إذا خوّفته الآخرة خاف، إذا ذكرت الموت أمامه يتمنى أن يتوب، وأن تكتب له حجة مبرورة وعمرة مبرورة، هذا هو بلدنا، أنها مصر الإسلام، مصر الإيمان، لا يمكن أن تحركها شيء كما تحركها بكلمة الله، كما تحركها باسم الله!

يوم نادى المنادون باسم الاشتراكية وباسم القومية وباسم الديمقراطية، يوم عزفوا على هذه النغمات لم يحركوا ساكناً، ولم ينبّهوا غافلاً، عادوا بشر هزيمة، ويوم رفع الناس شعار الله أكبر، عادوا إلى الصلاة، واقتحموا خط بارليف.

## مفتاح شخصيّة الأمة:

إن لكل أمة شخصيّة، ولكل شخصيّة مفتاح كمفتاح السيارة التي تستطيع أن تحركها بلمسة منه، ومفتاح شخصيّة هذه الأمة: الإيمان والإسلام، قدّ باسم الله فتقاد، حركها باسم الله تتحرك، هذه هي مصر.

مصر أرجى بلاد الله أن تطبق فيها شريعة الله، أن تُطبّق الإسلام، أن تقوم فيها لهذا الإسلام دولة عظمى، تنشر الإسلام في الداخل وتبلّغه في الخارج! إن علينا أن ننشر الإسلام في العالمين، كما ينشر أصحاب الأديان أديانهم! كل أصحاب الأديان يعملون لأديانهم.

## محاولة مقاومة المد الإسلامي:

منذ أيّام كتب الأستاذ جلال الدين الحمامصي في عموده اليومي في صحيفة الأخبار عن جولة البابا، الزعيم الروحي للكاثوليك في العالم، بابا الفاتيكان، في جولته في عدّة دولة إفريقية، كما نشرت الصحف الأمريكية على لسانه أنّ الغرض الأوّل من هذه الدولة هو مقاومة المد الإسلامي في القارة الإفريقية! القوم يتحركون لنشر دينهم، ولمقاومة أيّ دين آخر، مع أنّ القارة الإفريقية قارة إسلاميّة في الأساس، الإسلام فيها أصيل، المسيحيّة إنّما دخلت مع الاستعمار، ولا لوم على القوم إذا تحرّكوا لنصرة دينهم، إنّما اللوم علينا إذا تقاعسنا ولم نتحرك، لا بدّ من تحرّك مضاد، والتحرّك المضاد لا يكون بالكلام، وإنّما يكون بالعمل!

## حال المسلمين أسوأ دعاية لهذا الدين:

علينا أن ننشر الإسلام في إفريقية، في آسيا، وفي العالم كله، العالم متعطش لهذا الدين، فلا بدّ أن ننشر دعوة الإسلام، ولا يمكن أن ننشر



دعوة الإسلام إلا إذا كنا صورة حسنة للإسلام، أغرب حجاب يحجب الناس عن الدخول في الإسلام هم المسلمون أنفسهم، إنهم يرون المسلمين أسوأ دعاية لهذا الإسلام: الإسلام يدعو إلى القوّة وهم ضعفاء، يدعو إلى العلم وهم جهلاء، يدعو إلى التقدّم وهم متخلفون، يدعو إلى النظام والفوضى تضرب أطناها بينهم، يدعو إلى النظافة وبلاد المسلمين يضرب بها المثل في القذارة، يدعو إلى الوحدة وهم متفرقون يقتل بعضهم بعضاً، يدعو إلى الأخوة وهم متعادون، المسلمون مثل سيئ للإسلام.

دخل رجل أمريكي في الإسلام نتيجة القراءة، أعجب بالإسلام فدخل في الإسلام، ثمّ أراد أن يرى المسلمين في بلاد الإسلام، فذهب إلى موسم الحج فرأى الفوضى ورأى القسوة ورأى ورأى. فقال كلمته التي تقطع نياط القلوب: الحمد لله الذي عرّفني الإسلام قبل أن أعرف المسلمين!

لا بدّ أن نطبّق الإسلام حتّى يرى الناس صورة المجتمع المسلم الحقيقي، مجتمع الفضائل، مجتمع العدالة، مجتمع الشورى، مجتمع الحق والخير، مجتمع الرّبانيّة والإنسانيّة، المجتمع العالمي المفتوح الذي يتفاضل الناس فيه بالعمل الصالح، «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»<sup>(١)</sup>، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَرَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

### كونوا رجال الإسلام:

يأيها الإخوة: هذا هو الإسلام، الإسلام في حاجة إلى رجال، فكونوا أنتم رجاله، نصيحتي إلى الشباب المسلم أن يلتف حول هذا الدين، أن يدع

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرّجه: إسناده صحيح. وقال الهيتمي في مجمع الزوائد

(٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عن سمع خطبة النبي ﷺ.

الخلافات الصغيرة، المسائل الفرعية، وأن يضعوا أيديهم بعضهم في يد بعض، أن يقفوا صفًا واحدًا، المصائب يجمعن المصابين، ومصائب المسلمين كثيرة، لا داعي لهذه المعارك الفرعية الجانبية، هذا ما يجب أن ندعو إليه.

نحن نريد من الناس الآن أن يصححوا العقيدة أولاً، وأن يطاردوا الأفكار الأجنبية، وأن يتقوا الله ويجتنبوا الكبائر، من رأيناه اتقى الله واجتنب الكبائر اعتبرناه في صفنا، لا داعي لأن نقيم الدنيا ونقعدنا من أجل أمور مختلف فيها، من أجل مكروهات، من أجل شبهات، إنما يجب أن نمسك الأصول ونشدد عليها، فإذا استطعنا أن نتصر في هذا الميدان انتقلنا إلى الفروع، يجب أن يبتعد الناس عن الشرك، وإذا نجحنا فيه يجب أن نبعدهم عن الكبائر، وإذا نجحنا فيها يجب أن نبعدهم عن الصغائر والمحرمات القطعية، فإذا نجحنا يجب أن نبعدهم عن الشبهات، فإذا نجحنا يجب أن نبعدهم عن المكروهات، فإذا نجحنا يجب أن نبعدهم عن بعض الحلال؛ خشية الوقوع في المكروه.

### مراتب الإسلام:

يجب أن نعرف مراتب الإسلام، مراتب المأمورات، ومراتب المنهيات، لا نجعل الأمور كلها سواسية، لا، هذا ليس من الفقه في شيء. نريد من الشباب أن يفقه دينه فقهاً جيداً، أن يراعى معنى أنه يمكن السكوت على بعض المنكرات؛ مخافة منكرات أكبر منها.

يحكي الإمام ابن القيم عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية أنه مرَّ على قوم من التتار في الشام، وكانوا يشربون الخمر، كان هؤلاء التتار مفسدين في الأرض، سفّاكين للدماء، هتّاكين للحرمات والأعراض،

رأهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم بعض أصحابه لشربهم الخمر، فقال له شيخ الإسلام ابن تيمية: دعهم وما هم فيه، دعهم في شرب الخمر؛ فإنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء تصدهم الخمر عن سفك الدماء، وانتهاك الأعراض.

### الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:

انظروا إلى هذا الفقه، نحن نريد أن نفقه الإسلام هذا الفقه، ونريد أن نتعلم حكمة الدعوة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] لا بالتي هي أحسن، إن الله قال لرسوله: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. رغم أنه رسول الله، المؤيد بوحى الله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، لا بد من البشاشة، من الرفق، من الحنو على الناس، كُنْ أَبًا لِلنَّاسِ، كُنْ أَخًا لَهُمْ، عاملهم بروح المحبة، حتى العاصي أشفق عليه، تمنّ لهم الهداية، لا تكن غليظًا، ولا تكن فظًا.

دخل رجل على الخليفة المأمون العباسي، فأغلظ عليه القول، وقال له: يا ظالم، يا فاجر يا فاسق إلخ. وكان المأمون من أهل الفقه، فقال له: يا هذا، إن الله بعث من هو خير منك إلى من هو شر مني، وأمره بالرفق.

قال: من؟

قال: بعث موسى وهارون، وهما خير منك، إلى فرعون وهو شر مني، وكانت وصية الله لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

هذه كلمتي إلى الشباب المسلم.

### الشباب هو أغلى ما تملك الأمة:

وكلمة أخرى أختتم بها هذه الخطبة، أوَّجَّهها إلى المسؤولين في هذا البلد، أن يتقوا الله في هذا الشباب المسلم، وألا ينظروا إليهم من خلال منظار أسود، هذا الشباب هو أغلى ما في مصر، مصر ليست بقطنها ولا ببترونها، وإنما بإنسانها، هذا الشباب الذي هو ثروة الغد، وذخيرة المستقبل، وعُدَّة الأُمَّة، إذا أرادت الأمة أن تخوض معركة التحرير أو معركة البناء أو معركة التقدم، فبم تقودها؟

أبأحلاس المقاهي، ورواد الملاهي، تخوض المعركة؟

هذا الشباب المؤمن، المتقن لعمله، المرضي لربِّه، الحريص على دينه، الغيور على بلده، هذا الشباب هم عدة هذه الأمة، أناشد المسؤولين أن يدعوا لهذا الشباب أن يتحرك.

ما أجمل هذا المظهر، المظهر الإسلامي! ما أجمل أن يجتمع الشباب على مثل هذه الصلاة!

ينبغي أن تتاح الفرصة للتيار الإسلامي الصحيح، التيار الإسلامي المعتدل، حتى يعبر عن نفسه.

### إتاحة المجال للدعوة إلى الإسلام:

ينبغي أن ندع دعوة الإسلام تعمل في النور، علانية، على مرأى ومسمع، تحت سمع الجميع وبصرهم، وإلا اضطر النَّاس أن يعملوا في الظلام، وأن يعملوا في السرايب، لأنَّ الإنسان لا بدَّ أن يعمل، يجب أن تتاح الفرصة للعمل الإسلامي، النَّاس في كل بلاد الدُّنيا يعملون لدينهم، اليهودية عملت لدينها وأقامت له دولة، الشيوعية تنشر مبادئها الباطل في

الأرض وتستجلب من أجلها الأعضاء، النصرانية كما سمعتم وكما قرأتم من قبل أن مؤتمر المبشرين اجتمع في سنة ١٩٧٨م في ولاية كلورادو الأمريكية، وقرّر العمل على تنصير المسلمين في العالم، ونُشر فيه أربعون بحثًا، ورصد لذلك ألف مليون دولار، وأنشأ لذلك «معهد زويمر»، المبشر العتيق الذي كان في الشرق الأوسط، أنشأ معهدًا ليُخلد ذكرى هذا المبشر في العالم الإسلامي!

ماذا صنعنا نحن للدعوة الإسلامية؟ إذا كان قد جمعوا ورصدوا ألف مليون دولار للتبشير لدينهم فلماذا لا نعمل مثلها لحماية ديننا؟ لسنا فقراء، لو أنّ الذين يحجون الحجة الثانية والسابعة والعاشرة والعشرين من أنحاء العالم دفعوا نفقاتهم التي ينفقونها في الحج والعمرة كل سنة لجمعنا ألف مليون دولار، لو أنّ كل مسلم في العالم دفع دولارًا واحدًا لجمعنا هذا المبلغ، لإطعام الجائعين، وكسوة العارين، وتعليم الجاهلين، وتشغيل العاطلين، وإيواء المشردين، ورعاية اليتامى، ومداواة المرضى. نستطيع أن نفعل الكثير، لو فقهننا ديننا، وشغلنا أنفسنا بالمبادئ دون القشور، وعرفنا من هو عدونا، وأين نقف تحت الشمس.

يأيها الإخوة: إنّ الله أكرمنا بأكرم دين، أكرمنا بخير كتاب أنزل، وأكرمنا بخير نبي أرسل، وأعطانا دينًا لا يمكن أن يمحوه الليل والنهار، ووعدنا أننا إذا نصرناه نصرنا، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وإذا نصرنا فلن يغلبنا أحد: ﴿إِن يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].



أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ يَوْمَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا مِنْ أَمْسِهِمْ،  
وَعَدَّهُمْ خَيْرًا مِنْ يَوْمِهِمْ، وَأَنْ يَجْمَعَ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ، وَقُلُوبَهُمْ  
عَلَى التَّقَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ  
أَتِمِّمْ عَلَيْنَا هَذَا الْعِيدَ بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا  
تُحِبُّ وَتَرْضَى.

اللَّهُمَّ اجْمَعْ شَمْلَنَا عَلَى مَحَبَّتِكَ، وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا  
وَوَثِّبْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلَكُمْ، وَتَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ،  
وَكُلِّ عَامٍ وَأَنْتُمْ بِخَيْرٍ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

\*\*\*



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ  
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ  
يُوسُفَ الْقُرْظَبَاوِيِّ



## الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.

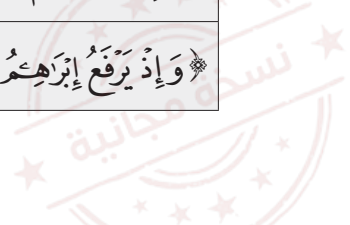




## فهرس الآيات القرآنية الكريمة



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الفاتحة		
٢٠٣ ، ١٨٤ ، ١١	٢	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
٢٠٣ ، ١٨٤	٤ ، ٣	﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾
٦٣ ، ٤٧ ، ٧ ٢٠٣ ، ١٨٤	٥	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾
٢٠٣ ، ١٨٤	٦	﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾
٢٠٣ ، ١٨٤	٧	﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾
سورة البقرة		
٢٢٦ ، ١٦٠	٩	﴿ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾
٢٦٤	٣٠	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
٣٠٤	٨٣	﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾
٢٨٤	٨٥	﴿ أَفْتَوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ ﴾
٧١	١٢١	﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكُتُبَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾
٣٢٤	١٢٧	﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾





رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٤٣	٣٥٨ ، ٩٠ ، ٣٨	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾
١٥٣	١٨٣	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾
١٨٣	٢١٣	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾
١٨٥	٣٦٦ ، ٢١١	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾
١٩٠	٣١٢	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعَدُّوا ﴾
١٩١	٣١١	﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ ﴾
١٩٣	٣١١	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُمْ فَلَاعُدُونَ ﴾
٢٠٠	١٧٩ ، ١٧٨	﴿ فَمِنَ النَّكَاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَانِنَا فِي الدُّنْيَا ﴾
٢١٦	٣٠٠	﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾
٢١٧	٣١١	﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ ﴾
٢١٨	١٣٢	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا ﴾
٢٥٦	٣١٠ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾
٢٨٢	٦٦	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُتُمْ بَدِينِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكُتُبُوهُ ﴾
٢٨٦	٢٦	﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا ﴾
<b>سورة آل عمران</b>		
٨	٢٩٥	﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾
٣١	١٩١	﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾
٣٢	١٩١	﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾
٥١	٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٩١، ٩٠، ١٩	٦٤	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾
٢٢	١٠١	﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
٢٥٨	١٠٣	﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾
١٨٩، ٣٨ ٢٥٨، ٩٠	١١٠	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾
٣٤٤، ٢١٦	١٢٣	﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
٣٤٧	١٤٤	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾
١١٣، ١٥٦ ٢٦١، ٢٩٩ ٣٣٩، ٣٢٠	١٤٧	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا ﴾
١٧	١٥١	﴿ سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ﴾
٢٢٨	١٥٧	﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ ﴾
٢٢٨	١٥٨	﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾
٣٨٣، ٤٨	١٥٩	﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾
٣٨٥	١٦٠	﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمُ ﴾
١٦٨	١٧٢	﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾
١٦٨	١٧٣	﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾
١٦٨	١٧٤	﴿ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾
٢٢٢	١٨٥	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ تُجَادِلُ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾
٢٩٥	١٩٥	﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
<b>سورة النساء</b>		
٢٦	١	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾
٧٥	١٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾
٤٤	٤٠	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾
١٢	٦٠	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾
١٢	٦١	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾
١٣	٦٥	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾
٥١	٧١	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾
٣١٢ ، ١٣٧	٧٥	﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ﴾
٣٣٦	٧٦	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾
٤٨	٨١	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾
٢٧٢ ، ٧٥	٨٢	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾
٥١	١٠٢	﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾
٧٨	١٠٥	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ﴾
٣٥٨ ، ١٨٩	١٤٢	﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
٣٢٣	١٦٣	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾
٥٩	١٧١	﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾
٦٧	١٧٤	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾
<b>سورة المائدة</b>		
٢٥٥	٢	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٦٧	١٥	﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾
٦٧	١٦	﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ ﴾
١٦٩ ، ١١٦	٢٦ - ٢١	﴿ يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾
١٧٠ ، ١٦٩	٢٤	﴿ يَمْوَسِي إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا ﴾
١٦٠	٤١	﴿ قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾
١٩٦	٤٤	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ ﴾
٢٢٧	٥١	﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾
٣٧٧	٥٤	﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾
٣٥٨	٥٨	﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾
١١	٧٣	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾
١١	٧٤	﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
٧٤	٨٣	﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾
<b>سورة الأنعام</b>		
١٢	١٤	﴿ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾
٦٢	١٧	﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾
٦٢	١٨	﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾
٣١٨	٣٨	﴿ وَمِمَّنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾
١٢	٥٧	﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴾
١٧٧	٦٠	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٢	٦٢	﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ﴾
٨٤	٦٥	﴿أَوْ يَلِسْكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾
٢٤٩	٦٨	﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾
١٨٥	٧٩	﴿وَجَهَّتْ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَنِيفًا﴾
١٧	٨٢	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾
٣٧٢	٨٩	﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾
١٢	١١٤	﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾
١٤٦	١٢٤	﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾
٧٨	١٥٥	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾
٦٤	١٥٧	﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾
١٠٦، ١١٦، ١٨٥، ١٠٧	١٦٢	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
١٠٦، ١١٦، ١٨٥، ١٠٧	١٦٣	﴿لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾
٣٧٤، ١١	١٦٤	﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ ابْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾
<b>سورة الأعراف</b>		
٣٢٩	١٠	﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾
٢٧٨، ٢٦٣، ٩٦	٢٣	﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
٢٨٣	٢٦	﴿يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكْمٍ وَرِيشًا﴾
٨	٥٩	﴿يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٠	٧٠	﴿ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاءُنَا فَأِنَّا يَمَّا تَعَدْنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾
١٠	٧١	﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَغْظٌ ﴾
٣٤٤	٨٦	﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ ﴾
٥٧	٨٨	﴿ قَالَ أُولَئِكَ كَرِهِينَ ﴾
٦٣ ، ٥٧	٨٩	﴿ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن كُنتُمْ عَلِيمِينَ ﴾
١١٥	١٣٨ - ١٤١	﴿ وَجَوَازُنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ﴾
١١٥	١٤٢	﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِهَا عَشْرَ فِتْنٍ مِمَّا مَنَعَتْ رَبَّهُ ﴾
٢٠	١٥٧	﴿ يَا مَعْرُوفُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَهْيَبُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾
١٤٨	١٥٨	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾
٢٢٤ ، ٢٢٣	١٧٩	﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾
٣٧٢	١٨١	﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾
٢١٧	٢٠٥	﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾
<b>سورة الأنفال</b>		
٧٣	٢	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾
٢٢١	٩	﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴾
٣٥٠ ، ٣٤٤	١٧	﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾
٥٨ ، ١٧ ، ٤	٤٩	﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾
١٢٥	٥٦	﴿ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾
٧٥	٥٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٥١	٦٠	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ﴾
٤٨	٦١	﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
١٩٣، ٤ ٢٥١، ٢٢٠	٧٣	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾
١٣٢	٧٤	﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾
<b>سورة التوبة</b>		
٧٠	١	﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
٢٧٧، ٤	١٨	﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾
١٠٢، ١٠١	٢٤	﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾
٩١	٣١	﴿أَتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
٣٣٨	٣٢	﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾
١١١	٣٦	﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾
٢٢٢	٣٨	﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾
٥٧	٤٠	﴿لَا تَحْزَنْ إِنْ اللَّهُ مَعَنَا فَمَا نَزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾
٦٣	٥١	﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾
٦٣	٥٢	﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحَسَنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾
٢١٧	٦٧	﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾
١٣٤، ١٣١	١٠٠	﴿وَالسَّافِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾
<b>سورة يونس</b>		
٣٦٦، ٣٤٢	٥٨	﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٤٩	٧١	﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِيَايَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾
٤٩	٨٤ - ٨٦	﴿يَقُومُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾
٣٠٨	٩٠ - ٩٢	﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ﴾
٣٠٨	٩٩	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ﴾
<b>سورة هود</b>		
٣٤٧	١	﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾
٦٠ ، ٤	٦	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾
٧٥	١٨	﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾
٣٠٩	٢٨	﴿يَقُومِرَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَعَٰئِنِّي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾
٨	٣٢	﴿يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْنَا فَأَكْثَرَ جِدَلِنَا فَإِنَّمَا تَعَدُّنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّٰدِقِينَ﴾
٣٢٣	٣٨	﴿إِنْ تَسْحَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْحَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْحَرُونَ﴾
٣٢٤	٤١	﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَاهَا إِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
٥٧	٥٤	﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾
٥٧ ، ٤٩ ، ١٧	٥٥	﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾
٥٧ ، ٤٩ ، ١٧	٥٦	﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾
٣٢٩	٦١	﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾
٦٣ ، ٤٧	٨٨	﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾
٣١١	١١٨	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾
٣١١	١١٩	﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾
٤٨	١٢٣	﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
<b>سورة يوسف</b>		
٦٧	١	﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾
٥١	٥	﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ
١٢	٤٠	﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾
٥١	٦٧	﴿ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾
٣٧٤	٧٨	﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾
٣٧٤	٧٩	﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعِنَا بِهِ إِنَّآ إِذَا لَطَلِمُونَ
٦١	٨٣	﴿ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾
٦١	٨٧	﴿ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْبَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ
١٦٦	٩٢	﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
١٩٥	١١١	﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ
<b>سورة الرعد</b>		
٢٣٣	٢٨	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾
<b>سورة إبراهيم</b>		
١٨٦	٧	﴿ لِيَن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾
٤٨	١٠	﴿ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ
٤٨	١١	﴿ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
٤٨	١٢	﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَّوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا
٣٣٧	١٥	﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٣٦	١٠	﴿ رَبِّ إِنَّمَنْ أَضَلَّنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾
٣٩	٣٦٩	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾
<b>سورة الحجر</b>		
٩	٣٤٦، ١٩٦، ٧٠	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾
٢٩	٢٣٧	﴿ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ، وَنَفَخْتَ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾
٥٤ - ٥٦	٦١	﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَنِي الْكِبَرُ فِيمَ بُشِّرْتُمْ ﴾
<b>سورة النحل</b>		
٣٦	٢٨	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾
٥٨	١٤٣	﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾
٥٩	١٤٣	﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ ﴾
٨٩	٦٤، ٦٥، ٣٤٥، ١٩٥	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾
٩٠	٣٦٣، ٢٧٤، ٩٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾
١٠٦	١١٨	﴿ إِلَّا مَن أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأَيْمَنِ وَلَكِن مِّن شَرِّ بِالْكَفْرِ ﴾
١٢٥	٣٨٣	﴿ أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾
<b>سورة الإسراء</b>		
١	٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٦	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾
٣٧	٦٥	﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾
١٠٧ - ١٠٩	٧٤	﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
<b>سورة الكهف</b>		
١٠	٣٣٩	﴿رَبَّنَا ءَانِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾
١٣	٣٦١	﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾
١٩	٥٢	﴿فَاتَّبَعُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾
٢٨	٢١٧	﴿وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾
٦٢	٥٢	﴿ءَانِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾
٩٤ - ٩٧	٢٥٧ ، ٢٥٦	﴿قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ اِن يٰاجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْاَرْضِ﴾
<b>سورة مريم</b>		
٩٣ - ٩٥	٩١	﴿اِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوٰتِ وَالْاَرْضِ اِلَّا ءَاتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا﴾
<b>سورة طه</b>		
١٤	٨	﴿اِنِّي اَنَا اللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنَا فَاعْبُدْنِي وَاَقِمِ الصَّلٰوةَ لِذِكْرِي﴾
١٧ - ٢٣	٢٠٢	﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰمُوسٰى ﴿ قَالَ هِيَ عَصٰى اَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا﴾
٢٤ - ٣٢	٢٥٤	﴿ اٰذْهَبْ اِلٰى فِرْعَوْنَ اِنَّهُ طَغٰى ﴿ قَالَ رَبِّ اشرحْ لِي صَدْرِي﴾
٤٤	٣٨٣	﴿ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئِنَّا اَعْلَهُ، يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشٰى﴾
٤٦	٥٥	﴿ لَا تَخَافَا اِنِّي مَعَكُمْ اَسْمَعُ وَاَرٰى﴾
٧٠	٢٢٤	﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هٰرُونَ وَمُوسٰى﴾
٧١	٢٢٥	﴿ ءَامَنَّا لَهُ، قَبْلَ اَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ اِنَّهُ، لَكَبِيْرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾
٧٢	٢٢٥	﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيْرَكَ عَلٰى مَا جَآءَنَا مِنَ الْبَيِّنٰتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾
٨٦	١١٥	﴿ فَرَجَعَ مُوسٰى اِلٰى قَوْمِهِ غَضَبِنَا اَسْفًا﴾
١١١	٢٧٥	﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوْهُ لِلْحٰى الْقِيُوْمِ وَقَدْ خَابَ مَن حَمَلَ ظُلْمًا﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
<b>سورة الأنبياء</b>		
٢٥	٢٨، ٧	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾
٦٠ - ٦٧	١٠، ٩	﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ ﴿
٨٠	٣٢٦	﴿ صَنَعَةَ لِبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾
٨٧	٢١٧	﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾
٨٨	٢١٨	﴿ فَكَادَىٰ فِي الظُّلْمَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ﴾
٨٩	٢١٨	﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٩٢	٣٨	﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾
١٠٧	١٤٨	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
<b>سورة الحج</b>		
٢٦	٢٠٦	﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾
٣٩	١١٩، ١٢٠، ٣٠١، ١٦٠	﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾
٤٠	١١٩، ١٠٢، ١٢١، ١٢٠	﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾
٤١	١١٩	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾
٧٣	١٤٢	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ ﴾
٧٤	١٤٢	﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾
<b>سورة النور</b>		
٢٧	٦٥	﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾
٢٨	٦٥	﴿ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٣١	٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٧	﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَفْضُنْنَ مِنَ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾
٤٧	١٣	﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ ﴾
٤٨	١٣	﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾
٤٩	١٣	﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾
٥٠	١٣	﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ آرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ﴾
٥١	١٣	﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾
٥٥	١٢٦	﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾
<b>سورة الفرقان</b>		
١	١٤٨	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾
٣٠	٧٢	﴿ يَرْبِّ إِنَّا قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾
٤٣	١٤	﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾
٤٤	١٤	﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ﴾
٥٨	٤٨	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾
٦٣	٦٥	﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾
<b>سورة الشعراء</b>		
٢	٦٧	﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾
٤٤	٢٢٥	﴿ بَعْرَةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾
٥٢	٥٢	﴿ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴾
٦١	٥٥	﴿ إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٥٧ ، ٥٥	٦٢	﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾
٥٥	٦٣	﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾
٢٦٤	٨٩ ، ٨٨	﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٩﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾
١٩٨	٢١٤	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾
٥٨ ، ٤٨	٢١٧	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾
٣٣٨ ، ٢٧٥	٢٢٧	﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾
<b>سورة النمل</b>		
٢٧٦	٥٢	﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
٤٨	٧٩	﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾
<b>سورة القصص</b>		
٦٧	٢	﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾
٣٢٤	٢٥	﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
٢٥٤	٣٥	﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾
٢٠١	٣٨	﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾
١٢	٨٨	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
<b>سورة العنكبوت</b>		
١٠٧	٢٦	﴿فَأَمِنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
١٥٦ ، ١١٣ ، ٢٧ ، ٢٩٩ ، ٢٦١ ، ١٧٤ ، ٣٣٩ ، ٣٢١	٤٥	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٤٦	٢٤، ٣٠٠	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾
٥٠	٦٩	﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ﴾
٥١	٦٩	﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾
<b>سورة الروم</b>		
٦	٢٢١	﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
٧	٢٢١	﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾
٢١	٢٥٥	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾
<b>سورة لقمان</b>		
١٣	٩٣	﴿يَبْنِي لِأَشْرِكٍ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾
١٩	٦٥	﴿وَأَغْضَضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾
<b>سورة الأحزاب</b>		
٦	١٣٢	﴿الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾
١٠	١٦٣	﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾
١٣	١٦٤	﴿إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ﴾
٢١	١٥٣، ١٥٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٩٦، ١٩٧	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾
٢٥	٣٠٥	﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾
٣٢	٢٨٦، ١٣٢	﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾
٣٣	٢٧٩، ١٣٢	﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾
٣٤	١٣٢	﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٨٩	٤٢، ٤١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾
٢٧٩	٥٣	﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ۗ﴾
١١٣، ٩٨، ٢٧ ١٩٤، ١٧٤، ١٥٦ ٢٩٩، ٢٦١ ٣٣٩، ٣٢٠	٥٦	﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۗ﴾
٢٨١	٥٩	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ۗ﴾
<b>سورة سبأ</b>		
٣٣٠	١٣	﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ۗ﴾
١٤٨	٢٨	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۗ﴾
٤٦	٣٩	﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ۗ﴾
<b>سورة فاطر</b>		
٥٩	١٠	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۗ﴾
٣٣١	١٥	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۗ﴾
<b>سورة يس</b>		
٣٢٧	٣٣ - ٣٥	﴿وَأَيُّهُمْ هُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۗ﴾
٣٣٠	٧١	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۗ﴾
٣٣٠	٧٢	﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۗ﴾
<b>سورة الصافات</b>		
١٤١، ٩	٩٦، ٩٥	﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾
١٠٧	٩٩	﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٦٩	١٠٠	﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾
٣٦٩	١٠١	﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِعِلْمٍ حَلِيمٍ ﴾
٣٦٩	١٠٢	﴿ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾
٣٧٠، ٣٦٩	١٠٣	﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾
٣٧٠	١٠٤ - ١٠٧	﴿ يَتَابَرَهِيمُ ﴾ قَدْ صَدَّقَت الرُّبِّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾
سورة ص		
٧٥	٢٩	﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾
٣٣٠	٣٦، ٣٨	﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴾
سورة الزمر		
١٦	٢٩	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ ﴾
سورة خافر		
١٩٢، ٩٧	٣	﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ ﴾
٣٠٨	٨٤	﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾
٣٠٨	٨٥	﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾
سورة فصلت		
٣٦٠	٣٣	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾
٣٤٧	٤٢	﴿ لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾
سورة الشورى		
٣٢٤	١٣	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٧١	٢٨	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾
٣٠١، ٢٧٥	٤٠	﴿ وَجَزَّوْا سَيِّئَةَ سِنِّيَّةٍ مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾
سورة الدخان		
٦٦	٥٨	﴿ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ يَلِسَانَ لَعَالِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾
سورة الجاثية		
١٤	٢٣	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴾
سورة محمد		
٢٢٨	٤ - ٦	﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾
٣٨٥، ٣٦١	٧	﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَإِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾
٧٥	٢٤	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾
٤٤	٣٨	﴿ هَآأَنْتُمْ هَآؤَآَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْسِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ ﴾
سورة الفتح		
١٧	٤	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾
١٣٢	١٨	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾
١٣٢	١٩	﴿ وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾
١٣٣، ٨٤	٢٩	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾
سورة الحجرات		
١٣٧	٩	﴿ وَإِنْ طَافَيْتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾
٣٤٦، ١٣٧، ٢٩	١٠	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾
٣٨١، ٢٧٣	١٣	﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقَكُمُ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
<b>سورة الذاريات</b>		
١٧، ١٨	١٧٧	﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا سَحَابٌ مِّمَّ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾
٥٦	١٩	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾
٥٨	٦٠	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾
<b>سورة الطور</b>		
٤٨	١٤١	﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿٤٨﴾ ﴾
<b>سورة النجم</b>		
١٧، ١٨	٢٠١	﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ ﴾
٢٩	٢٢٢	﴿ فَأَعْرَضَ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾
٣٠	٢٢٢	﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴿٣٠﴾ ﴾
٥٧، ٥٨	٢٢٤	﴿ أَرَفَتِ الْأَازِفَةَ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾
<b>سورة القمر</b>		
١٧، ٢٢، ٤٠، ٣٢	٦٦	﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّيرٍ ﴿١٧﴾ ﴾
<b>سورة الرحمن</b>		
٨، ٩	٩٢	﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾
<b>سورة الحديد</b>		
٢٥	٣٣١، ٣٥٧، ٩٢	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴿٢٥﴾ ﴾
<b>سورة الحشر</b>		
٨	١٠٢، ١٢٠، ١٢٢	﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴿٨﴾ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٢٣ ، ٣١	٩	﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾
١١٣ ، ٩٨ ، ٢٦ ١٧٣ ، ١٥٦ ٢٩٩ ، ٢٦١ ، ١٩٤ ٣٦٣ ، ٣٢٠	١٠	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾
٣٧١ ، ٨٤	١٤	﴿ بِأَسْمِهِمْ يَنْهَاهُمْ رَبُّنَا عَنْ عُصِّيَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَأُولُو قُلُوبٍ شَثَى ﴾
٢١٧	١٩	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾
سورة الممتحنة		
٦٣	٤	﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾
٦٣	٥	﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
سورة الصف		
٧٥	٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾
٧٥	٣	﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾
٢٥٤ ، ٢٢١	٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾
سورة الجمعة		
٥٣	١٠	﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾
سورة المنافقون		
٥٩	٨	﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
٦٠ ، ١٧	١١	﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
<b>سورة التغابن</b>		
١٩٢	١	﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
٦٧	٨	﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾
<b>سورة الطلاق</b>		
١٨	١٢	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾
<b>سورة الملك</b>		
٩٧	١	﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
١٠٠، ٥٣	١٥	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾
<b>سورة القلم</b>		
١٧٥، ١٥٣	٤	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾
<b>سورة نوح</b>		
١٧٢	١٠ - ١٢	﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٢﴾ ﴾
<b>سورة المزمل</b>		
١٨٣، ٧٢	١ - ٥	﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْزُوقُ ﴿١﴾ قُرِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ ﴾
٤٨	٩	﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾
<b>سورة المرسلات</b>		
٣٥٨	٤٨	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾
<b>سورة النازعات</b>		
٢٠١	٢٤	﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ ﴾
٢٢٢	٣٧ - ٣٩	﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٩﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة عبس		
٣٢	٣٣٠	﴿مَنَّاعًا لَكُمْ وَلَا نُعَمِّكُمْ﴾
سورة التكويد		
٩، ٨	١٤٣	﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾
سورة الانفطار		
١٩	٣٧٨	﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾
سورة الفجر		
٢، ١	٢٦٣	﴿وَالْفَجْرِ * وَليَالِ عَشْرِ﴾
سورة الليل		
٢، ١	٢٦٥، ٢٣٩	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾
سورة الشرح		
٦، ٥	٦١، ١٨	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾
سورة العلق		
٥	٣٣٠	﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
سورة الزلزلة		
٧	٢٣٤	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾
٨	٢٣٤	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾
سورة الكوثر		
٢، ١	٣٦٨	﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة النصر		
٣ - ١	٢١٦	﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾
سورة الناس		
٣ - ١	١٤، ١٣	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾

\* \* \*





## فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
	أ
١٤٧	أبشر؛ فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم
٢٧٢	أتشفع في حدّ من حدود الله؟. ثم قام فاختطب
٢٧٤	أتق دعوة المظلوم؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب
٧٤	اتلوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا
٢١	أجعلتني لله ندّاً؟ قل: ما شاء الله وحده
٥٠	أحضوا لي كم يلفظ الإسلام
١٨٤	أرخنا بها يا بلال
٢٧٤	اركبوها سالمة، ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم
٢٧٣، ١٢٧	استوي سواد... ما حملك على هذا يا سواد؟
١٨٠	أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
٢٧٤	أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه
٤٩	اعقلها وتوكل
٣٦٧، ٣٤٢	أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم
١١١	أفضل الصيام بعد رمضان: شهر الله المحرم

رقم الصفحة	الحديث
١٨٦	أفلا أحبُّ أنْ أكون عبداً شكوراً
١٨٥	أقول: اللهمَّ باعدْ بيني وبين خطاياي كما باعدتْ بين المشرق والمغرب
١٨٠	اللهمَّ اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين
١٧٩	اللهمَّ أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي
١٨١	اللهمَّ أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك
٢٠٠	اللهمَّ اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون
١٨٠، ١٧٨	اللهمَّ اغفر لي ذنبي، ووسِّع لي في داري، وبارك لي في رزقي
١٩٩	اللهمَّ إليك أشكو ضعف قوتِّي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس
١٧٦	اللهمَّ بارك لأمتي في بكورها
١٨٩	اللهمَّ جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقنا
٣٢	اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة
٣٤١	اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت
١٤٥	أم أيمن أمي بعد أمي
١٠٣	أما إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحب ببلاد الله إليّ
٢٦٨	أما يخشى أحدكم - أو ألا يخشى أحدكم - إذا رفع رأسه قبل الإمام
٣٢٦	إن الله كتب الإحسان على كل شيء
٢٥٦	أن تعين قومك على الظلم
٢١	إن الرقي والتمايم والتولة شيرك
١٥٠	إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا
٧٩	إن لله أهلين وخاصة. قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن أهل الله وخاصته
٢٥٤، ٢٥٣	إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً



رقم الصفحة	الحديث
٣٢	إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ
٢٤٨ ، ٢٤٧	انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا
١٠٤	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ
٢٢٦ ، ٩١	إِنَّمَا بَعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ
٢٠	إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ
٩٥	إِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبَّ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ
١٠٦	أَوَّلُ مَنْ تُسْعَرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٢٧٥	أَيُّهَا أَهْلُ عَرَصَةِ ظَلٍّ فِيهِمْ امْرُؤٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَائِعًا، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَعَلَيْكَ
٦٤ ، ٢٨	الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً - كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -
<b>ب</b>	
٣٦٨	بِاسْمِ اللَّهِ وَاللَّهِ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ هَذَا مِنْكَ وَلَكَ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي
٢٧٧	بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالثُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٢١٢	بَعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ
٢٠٠	بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا
<b>ت</b>	
٣٣	تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطِفِهِمْ، كَمِثْلِ الْجَسَدِ
٧٩	تَكُونُ فِتْنَةٌ مُضِلَّةٌ. قِيلَ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ
<b>ح</b>	
١٧٧	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ
١٨٩	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ

رقم الصفحة	الحديث
د	
٢٢٧	دُعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها
٣٦٥	دَعَمَها يا أبا بكر، فَإِنَّها أَيام عيد، لتعلم يهود أن في ديننا فُسحة
٢١٨	دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك
ذ	
١٧٦	ذاك رجل بال الشيطانُ في أُذُنِهِ
٣٤١	ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى
ر	
١٨٩	ربِّ اجعلني لك شكَّارًا، لك ذكَّارًا، لك رهَّابًا، لك مطَّوعًا، إليك مُخَبِّتًا
س	
١٤٣	سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟
٢٥٢	سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر
١٨٥	سبحانَكَ اللهمَّ وبحمدِكَ، وتبارك اسمُكَ، وتعالى جدُّكَ، ولا إله غيرُكَ
٢٦٩	سُؤوا صفوفكم؛ فَإِنَّ تسوية الصفوف من إقامة الصلاة
ص	
١١٨	صبرًا آل ياسر؛ فَإِنَّ موعدكم الجنة
٣٠	صَدَقْتَ، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ
٢٦٨	صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة
٢٣٥	الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان
١٨١	صليت مع النبي ﷺ ليلة، فلم يزل قائمًا
٢٨٢، ٢٨١	صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر



رقم الصفحة	الحديث
٢٣٦	الصيام جُتَّة، فإذا كان يومُ صومٍ أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب
٢٤٢	الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربُّ
ط	
٣٤٣	طُهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين
ع	
١١٩	علمتُ أنك خير أرض الله، وأحب الأرض إلى الله <small>وَعَلَيْكُمْ</small>
٣٥	عليكم بالجماعة، وإيّاكم والفرقة؛ فإنَّ الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد
ف	
٧٢	فإنه يجيء يوم القيامة شفيحًا لأصحابه
٣٤٢	فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه
١٤٥	فقال: نعم، كنتُ أرها على قراريط لأهل مكة
٣٥٥	فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله
١٥٥	في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلاَّ استجاب له
١٥٥، ٩٧	فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئًا إلاَّ أعطاه إياه
ق	
١٨٨	قُدِّم إليه الضب فلم يأكله
٢٠٣، ١٨٤	قسمتُ الصلوة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل
٢١	قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يَسْتَجْرِيَنَّكم الشيطان
ك	
١٧٨	كان أكثر دعائه: ﴿رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾
١٩٧، ٧٨	كان خُلِقَهُ الْقُرْآنَ



رقم الصفحة	الحديث
٢٤٠	كان رسول الله ﷺ أجود الناس
١٨٢	كان رسول الله ﷺ إذا سكت المؤذن بالأولى من صلاة الفجر قام
١٤٩	كان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم
١٨٣	كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى
١٤٩	كان النبي ﷺ يباشرني وأنا حائض
١٧٨	كان يتوضأ بالمد، ويغتسل بالصاع
١٨٢	كان يدأب ليله
١٨٢	كان يقوم حتى تتفطر قدماه
٥	كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم
١٥١	كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته
٣٤١	كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف
١١٠	كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته
١٤٩	كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد، تختلف أيدينا فيه
<b>ل</b>	
٧٢	لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف
١٩٠	لا إله إلا الله وحده، نصر عبده، وأنجز وعده، وهزم الأحزاب وحده
٢٦٩	لا تختلفوا فتختلف قلوبكم
٢٥٢	لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض
٢١٠	لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين
١٣٣	لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه
٢٠٥	لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ



رقم الصفحة	الحديث
٣٥٥ ، ٣٥٤	لا تقوم الساعة حتّى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون
٣٨١	لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى
٣١	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ
٣٧٢	لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله
١٦٤	لا يُصَلِّينَ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ
٢٨٤	لعن الله النامصة والتمنصة، والواصلة والمستوصلة
٢٨٥	لعن رسول الله الواشمة والمستوشمة
١٦٤	لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات
٢٠	لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ - أَي: محتضركم - قَوْل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
٣٤١	للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطوره، وإذا لقي ربه فرح بصومه
٧٢	لله تعالى أشد أذنًا - أي استماعًا وإنصاتًا - إلى الرجل حسن الصوت
١١٩	لم يؤذن لي بعد، كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة
١٦٢	لولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سريّة
٣١٨	لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها
٢٧٥	ليس منّا من بات شبعان، وجاره جائع وهو يعلم
٢٥٥	ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه
١١٢	لئن عشت إلى قابل - إلى السنة القادمة - لأصومن التاسع
	م
٣٢٥	ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده
	ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم. فقال أصحابه: وأنت؟
١٦٣	ما ترون أنني فاعل بكم؟. قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم

رقم الصفحة	الحديث
٢٦٢	ما رُئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر، ولا أدر، ولا أحقر
١٢٧	ما رأيت من النَّاس أحداً يحبُّ أحداً كحبِّ أصحاب مُحَمَّدٍ محمداً
١٨٨	ما شبع نبي الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعاً
١٩٠، ١٩١	ما عندك يا أم هانئ؟... نعم الإدام الخل. يا أم هانئ لا يُقفر بيت فيه خلٌّ
٨٠	ما معك من القرآن؟ قال: معي كذا وكذا وكذا، وسورة البقرة
٢٤٨	ما من امرئٍ يخذل امرأً مسلماً عند موطن تُنتهك فيه حرمة
٢٤٥	ما يضحككم؟. فقالوا: لا، إلا أننا أخذنا نبل هذا ففزع
٨١	ماذا معك؟ قال: والله ما عندي شيء. قال: التمس ولو خاتماً من حديد
٧٣	الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه
٢٥٧	مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد
٢٥٢، ٢٥٣، ٢٤٦	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه
٣٢	المسلم أخو المسلم، يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه
٣٧	المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم
٢٤٨	من أذلَّ عنده مؤمنٌ فلم ينصره وهو يقدرُ على أن ينصره، أذله الله ﷻ على رؤوس الخلائق يوم القيامة
٢٧٧	من بنى مسجداً لله تعالى بنى الله له بيتاً في الجنة
٢٢	من تعلقَ تميمه فلا أتمَّ الله له، ومن تعلقَ ودعةً فلا ودع الله له
٣٦٢	من جاء من طريق فليرجع من طريق آخر
٤٤	من جهَّز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخيرٍ فقد غزا
٢٥٥	من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهليَّة
٥٨	من سرَّه أن يكون أقوى النَّاس؛ فليتوكَّل على الله

رقم الصفحة	الحديث
٢٣٥، ٢١٢	مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ
١٠٤	مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
٢٣٦	مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلِ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشِرَابَهُ
٣٦	مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يَصْبَحْ وَيَمَسَّ نَاصِحًا لِلَّهِ
١٦٧، ١٦٦	مَنْ هَذِهِ؟ فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِي بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ... قَدْ أَجْرْنَا مِنْ أَجْرَتِي، يَا أُمَّ هَانِي
١٦٨	مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ؟
١٢٢	مَهِيمٌ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَزَوَّجْتَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ... أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ
٢٩	الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ
٣٤	الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا
٣٣	الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى رَأْسَهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى عَيْنَهُ
ن	
١١٢	نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ
٢٩٤	النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ
هـ	
١٧٨	هَذَا هُوَ الْوَضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ
١٥١	هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عَابَدَهُ الرَّحِمَاءُ
٢٦٨	هَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُحَرِّقَ عَلَى قَوْمِ بَيْتِهِمْ
٢٠٣	هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ
٥٦	هَيَّا أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ لِيَأْتِي لَهَا بِالزَّادِ وَالْأَنْبَاءِ، وَهَيَّا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ
٥٦	هَيَّا الدَّلِيلَ الَّذِي يَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ
٥٦	هَيَّا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَرْيَقِطٍ لِيَدُلَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ

رقم الصفحة	الحديث
و	
٢٧٦	والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا
١٧٠	والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها
١٦٢	والذي نفسي بيده، لوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيأ، ثم أقتل
٢١٤	والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب
١٨٣	وجعلت قرّة عيني في الصلاة
٤٤	ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء
٣٤٦	وكونوا عباد الله إخواناً
٢١٦	ولكنكم غنأ كغناء السيل
٢٤٠	ومن فطر صائماً، كتب له مثل أجر الصائم لا ينقص من أجر الصائم شيء
٢١٢	ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه
١٧٨	وهل تركن من شيء
٩٥	ويد الله مع الجماعة، ومن شذّ شذّ في النار
١٠٣	ويها يا أصيل، دع القلوب تقرّ قرارها
ي	
٥٧	يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما
٣٢	يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد
١٨٢	يا أيها الناس، توبوا إلى الله؛ فإنني أتوب في اليوم إليه مائة مرة
١١٦	يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك
١٧٠	يا رسول الله، إننا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى
١٨٧	يا عائشة، هل عندكم شيء؟ قالت: فقلت: يا رسول الله، ما عندنا شيء



رقم الصفحة	الحديث
١٨٨	يا غلام، سمّ الله، وكُلْ بيمينك
٣٦٥، ٢١٣	يدع الطعام من أجلي، ويدع الشراب من أجلي، ويدع لذته من أجلي
٢٤٩، ١٦١	يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم
١٨١	يعقد الشيطانُ على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد
١٧٧	ينزل ربنا كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا

\* \* \*



غير مرخصة للطباعة

## فهرس الموضوعات

- ٤ ..... من الدستور الإلهي للبشرية
- ٥ ..... من مشكاة النبوة الخاتمة
- ٧ ..... ١ - التوحيد أعلى شُعب الإيمان
- ٧ ..... التوحيد دعوة الأنبياء جميعًا
- ٨ ..... ضلال الشرك
- ١٠ ..... التُّبُوتات جاءت لتعيد الإنسان إلى فطرته
- ١١ ..... عناصر التوحيد
- ١٢ ..... توحيد الحاكمية
- ١٤ ..... أفرأيت من اتَّخذ إلهه هواه
- ١٥ ..... أشكال من الوثنية
- ١٦ ..... التوحيد سبيل الطمأنينة
- ١٨ ..... التوحيد هو مُهمَّتكَ في الحياة
- ٢١ ..... نبي التوحيد
- ٢٢ ..... بالتوحيد نصر الله الأمة
- ٢٣ ..... قانون ازدراء الأديان
- ٢٤ ..... منع المآذن



- ٢ - الإيمان والأخوة ..... ٢٨
- أعلى شُعب الإيمان ..... ٢٨
- التوحيد أساس الرسالات السماوية ..... ٢٨
- لا إيمان بغير أخوة ..... ٢٩
- أخوة الإيمان تعلو أخوة النسب ..... ٢٩
- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ..... ٣٠
- الأخوة الإيمانية درجتان ..... ٣١
- الأخوة الإنسانية ..... ٣١
- الأخوة الإسلامية ..... ٣٢
- ما تقتضيه الأخوة الإسلامية ..... ٣٣
- المسلمون متعاونون ..... ٣٤
- الروابط بين المسلمين ..... ٣٥
- الاتحاد يقوي القلّة ..... ٣٦
- الكثرة وحدها لا تكفي ..... ٣٧
- الإسلام يجمع والنزعات تفرّق ..... ٣٨
- الإحساس بوحدة الأمة ..... ٣٨
- تخاذل العالم المتحضّر من قضية البوسنة والهرسك ..... ٣٩
- معركة صليبية لمحو الإسلام في أوروبا ..... ٣٩
- تخاذل العرب والمسلمين من قضية البوسنة والهرسك ..... ٤٠
- صور تُدمي القلب ..... ٤١
- اتفاق الغرب الصليبيّ على المسلمين ..... ٤١
- شتاء الثلوج في البوسنة والهرسك ..... ٤١

- ٤٢..... واجبنا تجاه إخوتنا في البوسنة والهرسك
- ٤٤..... الظلم إلى نهاية
- ٤٦..... أسبوع لنصرة مسلمي البوسنة والهرسك
- ٤٧..... ٣ - التوكل
- ٤٧..... معنى التوكل على الله
- ٤٨..... أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالتوكل
- ٤٨..... التوكل من أخلاق الأنبياء
- ٤٩..... التوكل والأسباب
- ٥٠..... ترك الأسباب مناف للسنّة
- ٥٠..... الرسول والأخذ بالأسباب في أمور الدنيا والدين
- ٥١..... نماذج لبعض الأنبياء في أخذهم بالأسباب
- ٥٣..... من ثمار الأخذ بالأسباب
- ٥٤..... متى تدمُّ الأسباب
- ٥٥..... صور من التوكل على الله
- ٥٦..... حسن التدبير مع التوكل
- ٥٧..... قوة التوكل على الله ﷻ
- ٥٨..... التوكل على الله يورث المؤمن عزّة النفس
- ٥٩..... من آثار التوكل: الرضا
- ٥٩..... ومن آثار التوكل: سكينه النفس وطمأنينه القلب
- ٦٠..... ومن آثار التوكل: الأمل
- ٦١..... من عرف ربّه توكل عليه
- ٦٢..... ما يمنع الناس من التوكل على الله
- ٦٢..... التوكل على الله من أجل النصر ومواجهة القوى العاتية



- ٤ - خصائص القرآن الكريم وواجبنا نحوه ..... ٦٤
- القرآن دستور شامل ..... ٦٤
- شؤون الدنيا والآخرة ..... ٦٥
- كتاب مُيسَّر ..... ٦٦
- كتاب معجز ..... ٦٨
- كتاب خالد ..... ٦٩
- كتاب محفوظ ..... ٧٠
- القرآن له حقوق علينا ..... ٧١
- عدم هجر القرآن ..... ٧٢
- الانفعال بالقرآن ..... ٧٤
- التأثر بالقرآن ..... ٧٤
- أثر القرآن في أمة الإسلام ..... ٧٦
- العمل بالقرآن ..... ٧٧
- تكريم أهل القرآن ..... ٨٠
- ٥ - الهجرة ومحاسبة النفس ..... ٨٣
- سِجِلُّ حساب ..... ٨٣
- بأسنا بيننا شديد ..... ٨٤
- التبشير النَّصراني وتقاعس المسلمين ..... ٨٦
- جهد الصَّحابة والتابعين ..... ٨٨
- رسالة الأمة ..... ٨٩
- أمة التوحيد ..... ٩٢
- لنتعلَّم من عدونا ..... ٩٣

٩٤..... فلنجعل الغد خيرًا من اليوم

٩٥..... عام جديد

٩٩..... ٦ - وقفة مع الهجرة النبويّة

٩٩..... الهجرة ظاهرة طبيعية

١٠٠..... بواعث الهجرات

١٠١..... الهجرة من أجل الدين

١٠٢..... عقيدة الإيمان أعلى من حب الوطن

١٠٢..... الحنين إلى الأوطان

١٠٣..... الأحداث تتفاوت منزلتها بأمرين

١٠٥..... ستر العمل الدنيوي برداء الدين

١٠٥..... أول من تسعر بهم النار

١٠٦..... إخلاص العمل لله

١٠٧..... النتائج المترتبة على الأعمال

١٠٧..... الهجرة المحمدية وإقامة المجتمع المسلم

١٠٨..... الهجرة المحمدية وإقامة الدولة المسلمة

١٠٨..... الاقتباس من روح الهجرة

١٠٩..... أين المسلمون اليوم؟

١١٠..... يا أبناء الإسلام!

١١١..... صيام عاشوراء

١١٤..... ٧ - تربية النبي ﷺ لأصحابه

١١٤..... خير أجيال البشرية

١١٧..... السابقون الأولون



- ١١٨ ..... شَعْبُ أَبِي طَالِبٍ
- ١١٩ ..... الهجرة إلى المدينة
- ١٢١ ..... الأنصار الذين آووا ونصروا
- ١٢٣ ..... اصطفاهم الله لصحبة نبيه
- ١٢٤ ..... كفاح الصَّحَابَةِ
- ١٢٦ ..... حُبُّ الصَّحَابَةِ رَسُولَ اللَّهِ
- ١٢٨ ..... حملهم الأمانة بعد رسول الله
- ١٢٩ ..... عبد الله بن حذافة بين يدي ملك الروم
- ١٣١ ..... سُبُّ الصَّحَابَةِ
- ١٣٥ ..... الصراع الطائفي في العراق
- ٨ - ذكرى ميلاد رسول الله ..... ١٤٠
- ١٤٠ ..... الفساد في المجتمع الجاهلي
- ١٤٠ ..... فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا
- ١٤١ ..... ضلال البشرية قبل رسول الله
- ١٤٢ ..... جناية الجاهلية على العاطفة الأبوية
- ١٤٤ ..... عناية الله برسوله
- ١٤٥ ..... سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ
- ١٤٦ ..... زواج النبي من خديجة
- ١٤٧ ..... سيرة جامعة شاملة
- ١٤٩ ..... سيرة محفوظة مروية
- ١٥٠ ..... النبي زوجاً
- ١٥٠ ..... النبي أباً



النَّبِيُّ جَدًّا ..... ١٥١

النَّبِيُّ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى ..... ١٥١

النَّبِيُّ فِي السَّلْمِ وَالْحَرْبِ ..... ١٥٢

وَجُوبُ الْعِنَايَةِ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ..... ١٥٢

وَجُوبُ الْعِنَايَةِ بِالْجَانِبِ الْأَخْلَاقِيِّ ..... ١٥٣

٩ - وَقَفَاتٌ مَعَ سِيرَةِ الرَّسُولِ ..... ١٥٧

كَيْفَ نَحْتَفِلُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ..... ١٥٧

الرَّسُولُ قَدَوْتَنَا ..... ١٥٧

الرَّسُولُ قَدَوْتَنَا زَوْجًا وَأَبًا وَجَدًّا وَمُرَبِّيًا وَمُعَلِّمًا ..... ١٥٨

الرَّسُولُ فِي مَوَاجِهَةِ جِبْهَةِ الْوَثْنِيَّةِ وَالْيَهُودِ ..... ١٥٩

النَّبِيُّ فِي مَوَاجِهَةِ الرُّومِ وَالْفَرَسِ وَالْمَنَافِقِينَ ..... ١٦٠

النَّبِيُّ ﷺ يَحْيَا حَيَاةَ الْجِهَادِ ..... ١٦١

مِنْ فَضْلِ الْجِهَادِ ..... ١٦٢

عَفْوُهُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ ..... ١٦٢

عِقَابُ النَّبِيِّ لِبَنِي قُرَيْظَةَ ..... ١٦٣

تَوَاضَعُهُ عِنْدَ دُخُولِ مَكَّةَ فَاتِحًا ..... ١٦٦

ثَبَاتُهُ وَيَقِينُهُ فِي الشَّدَائِدِ ..... ١٦٧

تَأْسِيسُ الدَّوْلَةِ وَبِنَاءُ الرِّجَالِ ..... ١٦٩

١٠ - يَوْمٌ مِنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ..... ١٧٥

الْبَدءُ وَقْتُ السَّحْرِ ..... ١٧٦

ذِكْرُ اللَّهِ أَوَّلَ الْأَعْمَالِ ..... ١٧٧

قِيَامُهُ لِلَّيْلِ ..... ١٨٠



- ١٨٢..... صلاة الفجر
- ١٨٣..... مدرسة الليل
- ١٨٤..... صلاة حبّ ورغبة ورهبة
- ١٨٦..... بعد صلاة الصبح
- ١٨٧..... طعامه ﷺ
- ١٨٨..... النَّبِيُّ الذَّاكِر
- ١٩٠..... النَّبِيُّ بَيْنَ أَصْحَابِهِ
- ١٩٠..... تواضع في حال النَّصْر
- ١٩١..... لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
- ١٩٢..... «المركز الإسلامي» في السودان
- ١٩٥..... ١١ - رحلة الإسراء والمعراج
- ١٩٥..... رسالة الإسلام
- ١٩٦..... نموذج بشري فريد
- ١٩٨..... محطّات الدعوة المكيّة
- ١٩٩..... المحطّة المُهمّة في الحياة المكيّة
- ٢٠٠..... حَكَمُ الإسراء والمعراج
- ٢٠٢..... أهميّة الصّلاة في حياة المسلم
- ٢٠٤..... المرور ببيت المقدس
- ٢٠٥..... مكانة القدس عند المسلمين
- ٢٠٨..... لا تفريط في القبلة الأولى
- ٢١١..... ١٢ - أقبّل شهر الصيام
- ٢١١..... من فضائل شهر رمضان

- ٢١٣..... الفرق بين استعداد السلف واستعدادنا في استقبال رمضان
- ٢١٣..... الصيام الحقيقي
- ٢١٤..... رمضان شهر لتربية الإرادة
- ٢١٤..... الفهم الخاطيء عن رمضان
- ٢١٥..... هل السباب والغيبة تفسد
- ٢١٥..... فاستبقوا الخيرات
- ٢١٥..... رمضان ربيع الحياة الإسلامية
- ٢١٥..... الاستفادة من رمضان لاستلهام الماضي التليد
- ٢١٦..... شهر الانتصارات
- ٢١٧..... على الأمة الإسلامية أن تضع يدها في يد الله
- ٢١٧..... لا بد أن تذكر الأمة ربها ولا تيأس من روح الله
- ٢١٩..... رمضان والمصالحة مع الله وَجَلَّ
- ٢١٩..... رب ضارة نافعة
- ٢٢٠..... الدعوة إلى المصالحة مع الأمة ومع أنفسنا
- ٢٢١..... مصدر القوة والنصر
- ٢٢١..... من شرّ أمراض الأمة في الفترة الأخيرة
- ٢٢١..... الغفلة عن الآخرة
- ٢٢٢..... أذهلهم الطين عن الدين
- ٢٢٢..... الغفلة عن سنن الله
- ٢٢٣..... من آثار الغفلة
- ٢٢٤..... ماذا تملك أمّتنا؟!
- ٢٢٦..... من ثمرات الشدائد والمحن



- ٢٢٩..... الامتناع عن التدخين
- ٢٣٠..... الاستمرار في معركة مقاطعة بضائع الأعداء
- ٢٣٠..... تجديد التوبة والاجتهاد في العبادة
- ٢٣٣..... ١٣ - رمضان ربيع الحياة الإسلامية
- ٢٣٣..... التجارة الرباحة
- ٢٣٤..... المطهرات الثلاث
- ٢٣٦..... حُسن الصيام
- ٢٣٧..... طبيعة مزدوجة
- ٢٣٨..... حُسن القيام
- ٢٣٩..... غُفر له ما تقدّم من ذنبه
- ٢٤٠..... فعل الخير في رمضان
- ٢٤٢..... الصيام حُجّة لك أو عليك
- ٢٤٤..... خطف الطائرات
- ٢٤٥..... لا يقبل الإسلام ترويع الأمنين
- ٢٤٦..... ١٤ - التناصر من حقوق الأخوة الإسلامية
- ٢٤٦..... الحق الأول
- ٢٤٧..... ثاني الحقوق
- ٢٤٩..... ضرورة توحد المسلمين
- ٢٥٣..... ثالثاً: التعاون
- ٢٥٤..... مجالات التعاون
- ٢٥٦..... تعاون الحاكم الصالح ذي القرنين
- ٢٥٧..... عوامل القوّة لدى المسلمين

- ٢٥٨..... أين قوّة المسلمين؟
- ٢٥٩..... المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة العالميّة
- ٢٦٠..... الدعاء
- ٢٦٢..... ١٥ - قيمة المساجد في الإسلام
- ٢٦٢..... حدث مبارك في أيام مباركة
- ٢٦٤..... الإنسان جسد وروح
- ٢٦٤..... المسجد وتغذية الأرواح
- ٢٦٦..... الدور السياسي للمسجد
- ٢٦٧..... المساجد معاهد للتربية
- ٢٦٩..... المسجد معسكر الجنود
- ٢٧٠..... المساواة
- ٢٧٣..... العدل
- ٢٧٦..... الإخاء
- ٢٧٦..... فضل بناء المساجد وعمارتها
- ٢٧٧..... لماذا ضعف تأثير المسجد؟
- ٢٧٩..... ١٦ - حجاب المرأة المسلمة
- ٢٧٩..... مشروعية الحجاب
- ٢٨٠..... مواصفات الزي الشرعي
- ٢٨٤..... مظهر المرأة كما يريد الإسلام
- ٢٨٦..... الحجاب المتبرّج!
- ٢٨٦..... ولا تخضعن بالقول
- ٢٨٧..... دول إسلاميّة تحارب الحجاب!



- ٢٨٨..... هذا من آثار الصَّحوة الإسلاميَّة.
- ٢٩٢..... التزام المرأة بالزِّي الشرعي هو قَمَّة الحضارة.
- ٢٩٦..... حصار حكومة حماس.....
- ٣٠٠..... ١٧ - الرُّدُّ على بابا الفاتيكان.....
- ٣٠٠..... هجوم وردُّ واجب.....
- ٣٠٣..... التاريخ الدموي للنَّصرانية.....
- ٣٠٤..... تاريخ الإسلام يرُدُّ.....
- ٣٠٦..... هل انتشر الإسلام بالسيف؟.....
- ٣٠٧..... من قال: إنَّ الإسلام انتشر بالسيف؟.....
- ٣١٠..... لماذا شرع القتال؟.....
- ٣١٧..... الإسلام يرفض إبادة البشر.....
- ٣٢٢..... ١٨ - عيد العمال.....
- ٣٢٢..... اهتمام الإسلام بالعمال.....
- ٣٢٣..... أنبياء ضنَّاع.....
- ٣٢٦..... العمل الدنيوي ضرورة حياتية وواجب ديني.....
- ٣٣٣..... سوريا ألم وأمل.....
- ٣٣٧..... مأساة أهل السُنَّة في العراق.....
- ٣٣٨..... الدعاء.....
- ٣٤٠..... ١٩ - خطبة عيد الفطر.....
- ٣٤٠..... معاني التكبير.....
- ٣٤١..... الفرح في العيد.....

- ٣٤٣..... أعيادنا ربّانية إنسانيّة
- ٣٤٤..... القوّة البشريّة
- ٣٤٤..... القوّة الاقتصادية
- ٣٤٥..... القوّة الروحيّة
- ٣٤٦..... رسالة الشمول ورسالة التوازن
- ٣٥٠..... وضع المسلمين السنة في سوريا
- ٣٥٧..... القوّة الماديّة
- ٣٥٧..... القوّة الرُّوحيّة والفكرية
- ٣٥٩..... الزكاة
- ٣٥٩..... أين من يؤدّون الزكاة؟
- ٢٠ - خطبة عيد الأضحى في مصر..... ٣٦٤
- ٣٦٤..... المعاني الإيمانيّة في أعياد المسلمين
- ٣٦٥..... اللهو البريء والترويح عن النفس
- ٣٦٦..... المعنى الربّاني والمعنى الإنساني
- ٣٦٦..... أعيادنا ربّانيّة
- ٣٦٧..... أعياد إنسانيّة
- ٣٦٨..... الأضحية تخليد لذكرى البطولة الإيمانيّة
- ٣٧٠..... أحوال المسلمين لا تجعل فرحتنا تكتمل
- ٣٧٢..... أنوار الصحوة الإسلاميّة
- ٣٧٣..... المسلمون إلى خير
- ٣٧٣..... وجود انحرافات في التطبيق لا يعني إلغاء الشريعة
- ٣٧٤..... أثر الاستعمار في تغييب الشريعة



- المطالبة بتطبيق الشريعة ..... ٣٧٥
- الخطأ في فهم معنى الشريعة ..... ٣٧٦
- العقيدة والمفاهيم الإسلامية ..... ٣٧٦
- المشاعر والأخلاق الإسلامية ..... ٣٧٧
- القوانين الإسلامية سياج يمنع الانحرافات ..... ٣٧٨
- مصر رائدة الصحوة الإسلامية ..... ٣٧٨
- عصاة لا ملحدون ..... ٣٧٩
- مفتاح شخصيّة الأمة ..... ٣٨٠
- محاولة مقاومة المد الإسلامي ..... ٣٨٠
- حال المسلمين أسوأ دعاية لهذا الدين ..... ٣٨٠
- كونوا رجال الإسلام ..... ٣٨١
- مراتب الإسلام ..... ٣٨٢
- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ..... ٣٨٣
- الشباب هو أغلى ما تملك الأمة ..... ٣٨٤
- إتاحة المجال للدعوة إلى الإسلام ..... ٣٨٤
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة ..... ٣٨٩
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ..... ٤١٣
- فهرس الموضوعات ..... ٤٢٤

## فهرس كتب المجلد

- ١٧٤ - خطب الشيخ القرضاوي (١١) ..... ٥
- ١٧٥ - خطب الشيخ القرضاوي (١٢) ..... ٤٢٩

\* \* \*

